سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٢٠١)

ثبت بالتجربة

تجارب عبر كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة
ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل

بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها

وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

١. ٢-"البيع

[البقرة ٢/ ٢٧٥] وقوله: يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم [النساء ٤/ ٢٩] .

والوفاء بالعهد أو بالعقد: تنفيذ مقتضاه، والحفاظ عليه على الوجه الشرعي، وعلى وفق التراضي الذي لا يصادم الشرع.

النوع العاشر- إيفاء الكيل والوزن بالعدل: وأوفوا الكيل إذا كلتم، وزنوا بالقسطاس المستقيم ... هذا هو الأمر الثاني من الأوامر الثلاثة المذكورة في هذه الآية، وهو إتمام الكيل وإتمام الوزن، أي أتموا الكيل من غير تطفيف ونقص، وأتموا الوزن بالعدل دون جور أو حيف، فإن كلتم لأنفسكم أو وزنتم فلا تزيدوا في الكيل أو الوزن، ولا مانع إن نقصتم عن حقكم. ذلك خير.. أي فإن عاقبة الوفاء بالعهد وإيفاء الكيل والوزن بالعدل خير لكم في الدين والدنيا في معاشكم ومعادكم، وأحسن مآلا ومنقلبا في آخرتكم، فلا تؤاخذون أو تعاقبون يوم القيامة، ويرغب الناس في معاملتكم، ويثنون عليكم، ولا تتعرضون لإساءة السمعة، أو عقاب السلطة، فقد **ثبت بالتجربة** أن التاجر الثقة الصدوق هو المحبوب الرابح الذي يقبل عليه الناس، وأن التاجر الذي يطفف الكيل أو الوزن هو المنبوذ المبغوض الخاسر الذي يعرض الناس عنه.

وقد وردت آيات كثيرة في معنى هذه الآية، منها وأقيموا الوزن بالقسط، ولا تخسروا الميزان [الرحمن ٥٥/ ٩] ومنها: ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين [هود ١١/ ٨٥] ومنها: ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون

[سورة المطففين ٨٣/ ١- ٣] .

وكل من الوفاء بالعقود والعهود وإتمام الكيل والميزان قاعدة حضارية اجتماعية سامية، وأساس راسخ ضروري في صرح التعامل بين الناس، يؤدي إلى". (١)

---

(١) التفسير المنير للزحيلي ١٥/٧٤

٢. ٣-"ولذا خرج عمرو بن سالم الخزاعي على رأس وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستغيثين به،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا نصرت إن لم أنصر بنى كعب»

فكان ذلك سبب عودة حال الحرب العامة وفتح مكة في السنة الثامنة.

وقد **ثبت بالتجربة** أن المشركين في حال القوة والضعف لا عهود لهم، ولا أمان فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون «١» إلا من عاهد واستقام أمره، هذا هو الأساس الشرعي الذي بنى عليه ما جاءت به هذه السورة من نبذ عهودهم المطلقة، وإتمام مدة عهودهم المؤقتة لمن استقام عليها منهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله.

ولما بلغ هوازن فتح مكة جمعهم أميرهم مالك بن عوف النصري لقتال المسلمين وكانت غزوة حنين في شوال في السنة الثامنة، وبعدها حاصر الطائف بضعا وعشرين ليلة ورماهم بالمنجنيق.

ثم أقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد ذلك ذا الحجة والمحرم من السنة التاسعة وصفر وربيع الأول والآخر وجماد الأول والآخر، وخرج في رجب سنة تسع إلى غزوة تبوك وهي آخر غزوة غزاها النبي، وفيها نزلت أكثر آيات السورة الكريمة.

ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك أراد الحج ولكنه قال: يحضر البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت فلا أحب أن أحج معهم، فأرسل أبا بكر أميرا على الحج، ثم لما خرج أرسل بعده عليا

وقال له: «اخرج بهذه القصة من صدر براءة فأذن بذلك في الناس إذا اجتمعوا»

وقال: «لا يبلغ عنى إلا رجل منى»

فخرج على على العضباء ناقة الرسول فأدرك أبا بكر في ذي الحليفة وأم أبو بكر- رضى الله عنه- الناس في الحج، وقرأ على على الناس صدر سورة «براءة» .

---

(١) سورة التوبة آية ١٢.". (١)

---

(١) التفسير الواضح ١/٨٥١

٣. ٤-"جمعا آخرين، الكل ممكن وليس على التعيين دليل، فإن قيل وما الفائدة في تخصيص هذا اليوم بهذا النداء؟.

فنقول الناس كانوا مغرورين في الدنيا بالأسباب الظاهرة، وكان الشيخ الإمام الوالد عمر رضي الله عنه يقول: لولا الأسباب لما ارتاب مرتاب، وفي يوم القيامة زالت الأسباب، وانعزلت الأرباب، ولم يبق البتة غير حكم مسبب الأسباب، فلهذا اختص النداء بيوم القيامة، واعلم أنه وإن كان ظاهر اللفظ يدل على اختصاص ذلك النداء بذلك اليوم إلا أن قوله لله الواحد القهار يفيد أن هذا النداء حاصل من جهة المعنى أبدا، وذلك لأن قولنا: الله اسم لواجب الوجود لذاته، وواجب الوجود لذاته واحد وكل ما سواه ممكن لذاته، والممكن لذاته لا يوجد إلا بإيجاد الواجب لذاته، ومعنى الإيجاد هو ترجيح جانب الوجود على جانب العدم، وذلك الترجيح هو قهر للجانب المرجوح فثبت أن الإله القهار واحد أبدا، ونداء لمن الملك اليوم إنما ظهر من كونه واحدا قهارا، فإذا كان كونه قهارا باقيا من الأزل إلى الأبد لا جرم كان نداء لمن الملك اليوم باقيا في جانب المعنى من الأزل إلى الأبد.

الصفة الخامسة: من صفات ذلك اليوم قوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت.

واعلم أنه سبحانه لما شرح صفات القهر في ذلك اليوم أردفه ببيان صفات العدل والفضل في ذلك اليوم فقال: اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: هذا الكلام اشتمل على أمور ثلاثة: أولها: إثبات الكسب للإنسان والثاني: أن كسبه يوجب الجزاء والثالث: أن ذلك الجزاء إنما يستوفى في ذلك اليوم فهذه الكلمة على اختصارها مشتملة على هذه الأصول الثلاثة في هذا الكتاب، وهي أصول عظيمة الموقع في الدين، وقد سبق تقرير هذه الأصول مرارا، ولا بأس بذكر بعض النكت في تقرير هذه الأصول أما الأول: فهو إثبات الكسب للإنسان وهو عبارة عن كون أعضائه سليمة صالحة للفعل والترك فما دام يبقى على هذا الاستواء امتنع صدور الفعل والترك عنه، فإذا انضاف إليه الداعي إلى الفعل أو الداعي إلى الترك وجب صدور ذلك الفعل أو الترك عنه. وأما الثاني: وهو بيان ترتب الجزاء عليه، فاعلم أن الأفعال على قسمين منها ما يكون الداعي إليه طلب الخيرات الجسمانية الحاصلة في عالم الدنيا، ومنها ما يكون الداعي إليه طلب الخيرات الروحانية التي لا يظهر كمالها إلا في عالم الآخرة وقد **ثبت بالتجربة** أن كثرة الأفعال

سبب لحصول الملكات الراسخة، فمن غلب عليه القسم الأول استحكمت رحمته رغبته في الدنيا وفي الجسمانيات، فعند الموت يحصل الفراق بينه وبين مطلوبه على أعظم الوجوه ويعظم عليه البلاء، ومن غلب عليه القسم الثاني فعند الموت يفارق المبغوض ويتصل بالمحبوب فتعظم الآلاء والنعماء، فهذا هو معنى الكسب، ومعنى كون ذلك الكسب موجبا للجزاء، فظهر بهذا أن كمال الجزاء لا يحصل إلا في يوم القيامة، فهذا قانون كلي عقلي، والشريعة/ الحقة أتت بما يقوي هذا القانون الكلي في تفاصيل الأعمال والأقوال والله أعلم.

المسألة الثانية: هذه الآية أصل عظيم في أصول الفقه، وذلك لأنا نقول لو كان شيء من أنواع الضرر مشروعا لكان إما أن يكون مشروعا لكونه جزاء على شيء من الجنايات أو لا لكونه جزاء والقسمان باطلان، فبطل القول بكونه مشروعا، أما بيان أنه لا يجوز أن يكون مشروعا ليكون جزاء على شيء من الأعمال فلأن هذا النص يقتضي تأخير الأجزية إلى يوم القيامة، فإثباته في الدنيا يكون على خلاف هذا النص، وأما بيان أنه لا". (١)

٤. ٥-"وقوله: ﴿وليعلم الذين نافقوا﴾ أي يجعلهم يظهرون وينكشفون أمام الناس، وإلا لو لم تحدث هذه الأحداث فكيف كنت تعرف المنافق؟ سيستر نفسه. لا بد إذن أن تأتي أحداث لتظهره وتفضحه، فالمنافق يراوغ؛ لذلك يأتيه الحق بأحداث ليظهر على حقيقته، وقد كان. ﴿وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا﴾ . . وكانت المدينة مهاجمة، وإذا انتصر الكفار فسيدخلون ويسبون ويأخذون المسلمين أسرى ويفعلون كل منكر!! فقال عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري للمنافقين: اخرجوا وقاتلوا معنا، وإن لم تخرجوا لتقاتلوا معنا. . اخرجوا لتدفعوا عن أنفسكم وعن أموالكم وعن نسائكم؛ لأنهم إذا انتصروا على المسلمين فسيدخلون ويفعلون كذا وكذا، إنه دعاهم إلى القتال على طريق إثارة الحمية والأنفة فيهم وذلك بعد أن يئس من أنهم لم يقاتلوا في سبيل الله، ولما رأى إصرارهم على عدم الخروج قال لهم عبد الله: اذهبوا أعداء الله فسيغني الله رسوله عنكم.

إذن ففيه فرق بين القتال في سبيل الله وبين الدفاع عن النفس فقال ﴿قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا﴾ . . أو ادفعوا عنا ولو بتكثير سوادنا وإظهار كثرتنا حتى يظن المشركون أن معنا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٥٠١/٢٧

أناسا كثيرين. ﴿قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم﴾ . . وعندما نتابع هذا المنطق في القصة في ذاتها نجد أن «ابن أبي» كان من رأيه أن يظل رسول الله في المدينة لماذا؟ لأنه قد **ثبت بالتجربة** أنه إذا جاء قوم ليغيروا على المدينة ودخلوها فأهل المدينة ينتصرون عليهم، وإذا خرج لهم أهل المدينة فهم ينهزمون.

إذن فالقضية واضحة في ذهن ابن أبي، فهو لم يرض أن يخرج لأن التجارب أثبتت له أنهم إذا خرجوا عن المدينة ليحاربوا العدو فعدوهم ينتصر عليهم، وإذا ظلوا انتصروا، إذن فهو واثق من نتيجة الخروج، ولكن ما دامت المسألة قد صدرت من رأس النفاق عبد الله بن أبي فأنت لا تستطيع أن تحكم أين الحق، فمن الجائز أن آثار". (١)

٥. ٦-"(سيقولون لله) الذي له كل شيء وهو رب ذلك، ليس لهم جواب غيره ولما تأكد الأمر وزاد وضوحا حسن التهديد فقال:

(قل أفلا تتقون؟) أي قل لهم منكرا وموبخا: أتعلمون ذلك ولا تقون أنفسكم عقاب ربكم، فتنكروا ما أخبر به من البعث؟

وبعد أن قررهم بأن العالمين العلوي والسفلى ملك له تعالى- أمره أن يقررهم بأن له تدبير شئونهما وتدبير كل شىء فقال:

(٣) (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون) أي قل لهم: من المالك لكل شىء؟ والمدبر لكل شىء؟ وفى قبضته وتحت سلطانه وتصرفه كل شىء؟ وهو يغيث من يشاء فيكون فى حرز لا يقدر أحد على الدنو منه، ولا يغاث أحد ولا يمنع منه، لأنه ليس فى العوالم كلها ما هو خارج من قبضته.

والخلاصة- إنه المدبر لنظام العالم جميعه، وهو الذي يغيث من شاء، ولا يستطيع أحد أن يغيث منه.

ثم أجاب عن هذا السؤال قبل أن يجيبوا فقال:

(سيقولون لله) الذي بيده ذلك دون غيره.

(قل فأنى تسحرون؟) أي قل لهم على طريق الاستهجان والتوبيخ: كيف تخدعون وتصرفون

---

(١) تفسير الشعراوي ٣/١٨٦٦

عن توحيد الله وطاعته؟ فأنتم بعبادة الأصنام أو بعض البشر قد سحرت عقولكم كأنما غابت عن رشدها، واعتراها الذهول، فتصورت الأشياء على غير ما هى عليها.

وقد **ثبت بالتجربة** أن تكرار الكلام يخدع العقول والحواس حتى تتخيل غير الحق حقا، وتتوهم صدق ما يقال وإن كان باطلا، ومن ثم كثرت المذاهب الإسلامية وابتدع الرؤساء الدينيون والسياسيون من الأساليب ما خدعوا به عقول الشعوب فى دينهم ودنياهم.". (١)

٦. ٧-"روى أنه لما نزل تحريم الخمر قال بعض الصحابة: فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت الآية.

تتمة- اختلف العلماء فى التداوى بالخمر والنجاسات والسموم، وأصح الآراء فى ذلك أنه يجوز لما فى الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن للعرنيين بالتداوى بأبوال الإبل، بشرط الاضطرار الذي يبيح المحرم من طعام وشراب بدليل قوله تعالى «وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه» كمن غص بلقمة فكاد يختنق فلم يجد ما يسيغها به سوى الخمر، وكمن أصابته نوبة ألم فى القلب كادت تقضى عليه وقد أخبره الطبيب بأن لا سبيل لدفع الخطر سوى شرب مقدار من الخمر من النوع المعروف (باسم كونياك) فقد يرى الطبيب أنه يتعين فى بعض الأحيان لعلاج ما يعرض من آلام القلب لدرء الخطر كما **ثبت بالتجربة**.

أما التداوى بالخمر لمن يظن نفعها ولو بإخبار الطبيب كتقوية المعدة أو الدم أو نحو ذلك مما تسمعه من كثير من الناس فذلك منهى عنه

للحديث «إنه ليس بدواء ولكنه داء» رواه أحمد ومسلم وأبو داود.

وكان سببه أن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر وكان يصنعها فنهاه عنها فقال: إنما أصنعها للدواء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك.

وقوله: (ولكنه داء) هذا هو رأى الأطباء، إذ أن المادة المسكرة من الخمر سم تتوالد منها أمراض كثيرة يموت بها فى كل عام عدد لا يحصى من الناس.

والذين يشربون الخمر ولو بقصد التداوى يؤثر سمها فى أعصابهم بكثرة التعاطي فتصير مطلوبة عندهم لذاتها فيضرهم سمها، فعلى المسلم الصادق الإيمان ألا يغتر برأى بعض الأطباء الذين

---

(١) تفسير المراغي ٤٩/١٨

يصفونها للتداوى لمثل الأمراض التي يصفونها لها عادة.
وقد دلت التجارب على أن الذين يبتلون بشربها لا يقدمون على ذلك إلا بإغراء المعاشرين من الأهل والأصحاب، على استبشاعهم لها واعتقادهم ضررها ومخالفتهم". (١)

٧. ٨-"الآيات الثلاث الأولى بيان لحال فريق معين من الكفار، الذين عادوا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقاتلوه بعد بيان حال مشركي قومه في قتالهم له في بدر، والمراد بهذا الفريق: اليهود الذين كانوا في بلاد العرب كلها أو الحجاز منها، وهو الراجح عندي. قال سعيد بن جبير: نزلت في ستة رهط من اليهود منهم ابن تابوت اهـ. أو يهود المدينة أو بنو قريظه منهم، وهو قول مجاهد، وكان زعيمهم الطاغوت كعب بن الأشرف كأبي جهل في مشركي مكة - والآية الرابعة في حكم أمثال هؤلاء الخونة، والخامسة في تهديدهم، وتأمين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من عاقبة كيدهم. قال تعالى: إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون أي: إن شر ما يدب على وجه الأرض عند الله أي في حكمه العدل على الخلق، هم الكفار الذين جمعوا مع أصل الكفر الإصرار عليه والرسوخ فيه بحيث لا يرجى إيمانهم جملتهم أو إيمان جمهورهم؛ لأنهم بين رؤساء حاسدين للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ معاندين له جاحدين بآيات الله المؤيدة لرسالته على علم، على التقليد لا ينظرون في الدلائل والآيات، ولا يبحثون في الحجج والبينات، حتى حملهم ذلك على نقض العهود، ونكث الأيمان بحيث لا حيلة في الحياة معهم أو في جوارهم حياة سلم وأمان كما **ثبت بالتجربة.**
عبر عنهم بالدواب وهو اللفظ الذي غلب استعماله في البهائم ذوات الأربع أو فيما يركب منها لإفادة أنهم ليسوا من شرار البشر فقط، بل هم أضل من عجماوات الدواب؛ لأن فيها منافع للناس، وهؤلاء لا خير فيهم، ولا نفع لغيرهم منهم، فإنهم لشدة تعصبهم لجنسهم قد صاروا أعداء لسائر البشر. كما قال في وصف أمثالهم: أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (٢٥: ٤٤) وكما قال في الآية ٢٢ من هذه السورة: إن شر الدواب عند الله
الصم البكم الذين لا يعقلون وقد اقتبس أستاذنا الإمام هذا الاستعمال فقال في مقالة من

(١) تفسير المراغي ٢٧/٧

مقالات العروة الوثقى: وكثير ممن على شكل الإنسان يحيا حياته هذه بروح حيوان آخر، وهو يعاني تحصيل شهواتها أو قال كلمة أخرى قريبة منها أكثر مما يعانيه الإنسان في إبراز مزايا الإنسان.

وقال: الذين كفروا فعبر عنهم بفعل الكفر دون الوصف (الكافرون) للإشارة إلى أنهم كانوا مؤمنين فعرض لهم الكفر، وهذا ظاهر في جملة اليهود الذين كفروا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما كفروا بمن قبله، وهم في عرف القرآن متكافلون متشابهون، آخرهم في ذلك كأولهم، وهم أظهر في يهود المدينة الذين كانوا في عصر الرسالة المحمدية فإنهم كانوا يعلمون أن الله سيبعث النبي الكامل الذي بشر به موسى في التوراة كما تقدم". (١)

٨. ٩–"من المشهور القطعي الذي لا خلاف فيه أن الله تعالى بعث محمدا رسوله وخاتم النبيين بالإسلام الذي أكمل به الدين، وجعل آيته الكبرى هذا القرآن المعجز للبشر من وجوه كثيرة، ذكرنا كلياتها في تفسير الآية [٢: ٢٣ ص١٥٩ – ١٩١ ج ١ ط الهيئة] وأقام بناء الدعوة إليه على أساس البراهين العقلية والعلمية المقنعة والملزمة، ومنع الإكراه فيه، والحمل عليه بالقوة كما بيناه في تفسير الآية [٢: ٢٥٦ ص٣٠ – ٣٤ ج ٣ ط الهيئة] ، فقاومه المشركون وفتنوا المؤمنين بالتعذيب والاضطهاد لصدهم عنه، وصدوه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن تبليغه للناس بالقوة، ولم يكن أحد ممن اتبعه يأمن على نفسه من القتل أو

التعذيب، إلا بتأمين حلف أو قريب. فهاجر من هاجر منهم المرة بعد المرة، ثم اشتد إيذاؤهم للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى ائتمروا بحبسه الدائم أو نفيه أو قتله علنا في دار الندوة، ورجحوا في آخر الأمر قتله، فأمره الله تعالى بالهجرة، كما تقدم في تفسير وإذ يمكر بك الذين كفروا (٨: ٣٠) [ص٤٠ وما بعدها ج ٩ ط الهيئة] فهاجر ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصار يتبعه من قدر على الهجرة من أصحابه إلى حيث وجدوا من مهاجرهم بالمدينة المنورة أنصارا لله ولرسوله يحبون من هاجر إليهم، ويؤثرونهم على أنفسهم، وكانت الحال بينهم وبين مشركي مكة وغيرهم من العرب حال حرب بالطبع، ومقتضى العرف العام في ذلك العصر، وعاهد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهل الكتاب من يهود المدينة وما حولها على السلم والتعاون فخانوا

---

(١) تفسير المنار ٤٢/١٠

وغدروا، ونقضوا عهودهم له ما كانوا يوالون المشركين ويظاهروهم كلما حاربوه، كما تقدم بيان ذلك كله في تفسير سورة الأنفال من هذا الجزء.

وقد عاهد ـ صلى الله عليه وسلم ـ المشركين في الحديبية على السلم والأمان عشر سنين بشروط تساهل معهم فيها منتهى التساهل عن قوة وعزة، لا عن ضعف وذلة، ولكن حبا للسلم ونشر دينه بالإقناع والحجة، ودخلت خزاعة في عهده ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما دخلت بنو بكر في عهد قريش، ثم عدا هؤلاء على أولئك، وأعانتهم قريش بالسلاح فنقضوا عهدهم، فكان ذلك سبب عودة حال الحرب العامة معهم، وفتحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمكة، الذي خضد شوكة الشرك وأذل أهله، ولكنهم ما زالوا يحاربونه حيث قدروا، وثبت بالتجربة لهم في حالي قوتهم وضعفهم، أنهم لا عهود لهم ولا يؤمن نقضهم وانتقاضهم، كما يأتي قريبا في قوله تعالى من هذه السورة: كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله (٧) إلى قوله في آخر آية فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون (١٢) أي لا عهود لهم يرعونها ويفون بها. والمراد أنه لا يمكن أن يعيش المسلمون معهم بحكم المعاهدات المرعية فيأمن كل منهم شر الآخر وعدوانه، مع بقائهم على شركهم الذي ليس له شرع يدان به". (١)

٩. ١٠-"قد علم مما تقدم أنه لما أعلن الله تعالى براءته وبراءة رسوله من المشركين، وآذنهم بنبذ عهودهم وبعود حالة القتال بينهم وبين المؤمنين كما كانت، بعد أن ثبت بالتجربة أنهم لا عهود لهم يوفى بها، ولا أيمان يبرونها، بل يعقدونها عند الخوف، وينقضونها عند الشعور بالقدرة على الفتك - كما تقدم شرحه مفصلا - عز ذلك على بعض المسلمين، وفتح به باب لدسائس المنافقين، وتبرم ضعفاء الإيمان - وكان أكثرهما من الطلقاء الذين أعتقهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم فتح مكة، كان هو السبب لما تقدم من تكرار الأمر بقتال المصرين على الشرك، الناقضين للعهد، وتأكيده، وإقامة الدلائل على وجوبه، وكونه مقتضى الحق والعدل والمصلحة،

وإنما كان موضع الضعف من بعض المسلمين في ذلك نعرة القرابة، ورحمة الرحم، وبقية عصبية

---

(١) تفسير المنار ١٠/١٣٤

النسب ؛ إذ كان لا يزال لكثير منهم أولو قربى من المشركين يكرهون قتالهم، ويتمنون إيمانهم، ويرجونه إذا تركوا وشأنهم، بل كان لبعض ضعفاء الإيمان منهم بطانة ووليجة منهم، فبعد أن بين الله تعالى لهم ما تقدم مما أشرنا إليه آنفا وقفى عليه بفضل الإيمان والجهاد والهجرة، وحبوط أعمال المشركين حتى ما كان منها خيرا في نفسه كسقاية الحاج والعمارة الصورية للمسجد الحرام – بعد هذا – بين لهم أن ما ذكر من فضل الإيمان والهجرة والجهاد، وما بشر به أهله من رحمته منه رضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم، لا يتم إلا بترك ولاية الكافرين، وإيثار حب الله ورسوله، والجهاد في سبيله على حب الوالد والولد، والأخ والزوج والعشيرة والمال والسكن، فقال: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء أي: لا يتخذ أحد منكم أحدا من أب أو أخ وليا له ينصره في القتال، أو يظاهر لأجله الكفار، بأن يتخذه بطانة ووليجة يخبره بأسرار المؤمنين، وما يستعدون به لقتال المشركين، كما علم في هذا السياق من آية: أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة (١٦) إن استحبوا الكفر على الإيمان أي: إن أصروا على الكفر وآثروه على الإيمان بالحب وما يقتضيه هذا الحب من قتال المؤمنين وعداوتهم، كما علم من شأنهم منذ ظهر الإسلام إلى نزول هذه السورة بعد فتح مكة، ولا سيما جموعهم في حنين الآتي ذكرها. وقد علم من قبل فتحها أن حاطب بن أبي بلتعة وهو من أهل بدر قد استخفته نعرة القرابة فكتب إلى مشركي مكة سرا يعلمهم فيه بما عزم عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قتالهم ؛ ليتخذ له بذلك يدا عندهم يكافئونه عليها بحماية ما كان له عندهم من قرابة، وفي ذلك نزلت سورة الممتحنة في نهي المؤمنين عن موالاة أعداء الله وأعدائهم وعن موادتهم، فتراجع، فكل ما فيها من تعليل وتقييد للنهي عن المودة والموالاة فهو

هنا، وقيل: إن هذه الآية نزلت في قصته، وقيل: فيما تقدم من امتناع العباس من الهجرة لما دعي إليها، وقيل: في كل من ثقلت عليه الهجرة عند ما دعوا إليها، ولا يصح من ذلك شيء. وقيل: في الذين شكوا". (١)

---

(١) تفسير المنار ١٠/٢٠١

١٠. ١١-"في جميع الأقاليم ولا سيما الحارة كما **ثبت بالتجربة**، وأكل لحمه من أسباب الدودة الوحيدة القتالة، ويقال إن له تأثيرا سيئا في العفة والغيرة (وما أهل لغير الله به) وهو ما يذبح ويقدم للأصنام أو غيرها مما يعبد. والمنع من هذا ديني محض لحماية التوحيد، لأنه من أعمال الوثنية فكل من أهل لغير الله على ذبيحة فإنه يتقرب إلى من أهل باسمه تقرب عبادة، وذلك من الإشراك والاعتماد على غير الله تعالى.

وقد ذكر الفقهاء أن كل ما ذكر عليه اسم غير الله ولو مع اسم الله فهو محرم، وعد منه الأستاذ الإمام ما يجري في الأرياف كثيرا من قولهم عند الذبح - لا سيما ذبح المنذور - بسم الله، الله أكبر، يا سيد، يدعون السيد البدوي أن يلتفت إليهم ويتقبل النذر ويقضي حاجة صاحبه، (قال) وكيفما أولته فهو محرم، ومثل ذكر السيد ذكر الرسول أو المسيح ؛ إذ لا يجوز أن يذكر عند الذبح غير اسم المنعم بالبهيمة المبيح لها، فهي تذبح وتؤكل باسمه لا يشاركه في ذلك سواه، ولا يتقرب بها إلى من عداه ممن لم يخلق ولم ينعم ولم يبح ذلك ؛ لأنه غير واضع للدين (فمن اضطر) إلى الأكل مما ذكر بأن لم يجد ما يسد به رمقه سواه (غير باغ) له أي: غير طالب له، راغب فيه لذاته (ولا عاد) متجاوز قدر الضرورة (فلا إثم عليه) لأن الإلقاء بنفسه إلى التهلكة بالموت جوعا أشد ضررا من أكل الميتة أو الدم أو لحم الخنزير، بل الضرر في ترك الأكل محقق، وهو في فعله مظنون، وربما كانت شدة الحاجة إلى الأكل مع الاكتفاء بسد الرمق مانعة من الضرر، وأما ما أهل

به لغير الله فمن أكل منه مضطرا فهو لا يقصد إجازة عمل الوثنية، ولا استحسانه (إن الله غفور رحيم) إذ حرم على عباده الضار، وجعل الضرورات بقدرها، لينتفي الحرج والعسر عنهم، ووكل تحديدها إلى اجتهادهم، فهو يغفر لهم خطأهم فيه لتعذر ضبطه.

وفسر الجلال كلمة (باغ) بالخارج على المسلمين و (عاد) بالمعتدي عليهم بقطع الطريق (قال) : ويلحق بهم كل عاص بسفره كالآبق والمكاس، وعليه الشافعي.

قال الأستاذ الإمام: ولا خلاف بين المسلمين في أن العاصي كغيره يحرم عليه إلقاء نفسه في التهلكة، ويجب عليه توقي الضرر، ويجب علينا دفعه عنه إن استطعنا. فكيف لا تتناوله إباحة الرخص؟ ! ثم إن المناسب للسياق أن تحدد الضرورة التي تجيز أكل المحرم، وتفسير الباغي والعادي بما ذكرنا هو المحدد لها، وهو موافق للغة كقوله تعالى حكاية عن إخوة

يوسف: (ما نبغي) وفي الحديث الصحيح ((يا باغي الخير هلم)) وفي التنزيل (ولا تعد عيناك عنهم) (١٨: ٢٨) أي: لا تتجاوزهم إلى غيرهم، فالكلام في تحديد الضرورة وتمام بيان حكم ما يحل ويحرم من الأكل، لا في السياسة وعقوبة الخارجين على الدولة والمؤذين للأمة. وإنما كان هذا التحديد لازما لئلا يتبع الناس أهواءهم في تفسير الاضطرار إذا هو وكل إليهم بلا حد ولا قيد، فيزعم هذا أنه مضطر وليس". (١)

١١. ١٢-"(٢) الرؤية في العمل النومي:

قد ثبت بالتجربة المكررة والرؤية البصرية أن بعض الناس يفعلون في حال النوم المعطل لجميع الحواس أعمالا دقيقة كالقراءة والكتابة وتركيب الأدوية بسرعة ومهارة يعجزون عن مثلها في اليقظة، وقد كان يخرج أحدهم من منزله ثم يعود إليه وهو مغمض العينين، وقد يفتحهما ولا يرى بهما إلا ما توجهت إرادته إليه، كبعض الصيادلة الذي راقبه طبيب عرف حاله فرآه يقرأ وصفات الأطباء ويركب ما جاء فيها، فألقى إليه فيها وصفة دواء سام يقتل شاربه في الحال، فقرأها وأعاد التأمل فيها، وقال: لا شك أن هذا

غلط أو سبق قلم من الطبيب فأنا لا أركبه وألقاها، وراقب بعضهم رجلا آخر كان يخبر أن نقوده تسرق من صندوقه الحديدي في كل ليلة، فبات عنده فرآه قد قام من فراشه بعد استغراقه في النوم، وفتح صندوقه وأخذ منه بعض النقود وخرج بها، فتبعه حتى جاء مكانا خربا فتسلق جدارا من جدره المتداعية، ومشى عليه بسرعة ثم نزل في داخله وحفر في الأرض حفرة، ووضع فيها ما حمله من النقود، وعاد فتسلق الجدار، ومر عليه مسرعا والمراقب ينظر إليه ولا يستطيع أن يفعل فعله، وعاد إلى منزله، وأوى إلى فراشه، فلما استيقظ في النهار عد الدراهم، وأخبر الرجل الذي بات عنده ليكشف له حال من يسرق صندوقه بما نقص منها، فحدثه هذا بما رآه فعجب وأنكره فذهبا إلى المكان فلم يستطع الرجل أن يتسلق الجدار ويمشي عليه مسرعا كما فعل وهو نائم، ولكنهما تكلفا ذلك وتريثا فيه حتى وصلا إلى مكان طمر النقود، وبحثا عنها فوجداها في عدة مواضع، ورئي بعض غلمان أسرتنا مرارا يقوم من النوم، ويخرج لحاجته ثم يعود وهو نائم، ودخل المطبخ مرة فنظف بعض الآنية فيه، وعاد إلى

---

(١) تفسير المنار ٢/٨٠

فراشه وهو نائم.

وربما كانت هذه الحالة مؤيدة لمذهب من قال: إن للإنسان نفسين أو روحين تفارقه إحداهما في حال النوم فقط وتفارقه الثنتان معا بالموت، ويقرب هذا من قوله – تعالى –: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى (٣٩: ٤٢) .

(٣) الرؤيا والأحلام:

الرؤيا النومية والأحلام منها خواطر تتمثل واقعة في حال النوم، وسببها اشتغال الفكر بها أو أسباب تعرض للنائم فيتخيلها بنفسها أو ما يشبهها واقعا، وهي أضغاث الأحلام، ومنها الرؤيا الصادقة كرؤيا ملك مصر التي أولها له يوسف – عليه السلام –، وأمثالها كثير وقع معنا ومع غيرنا، وثبت بالتواتر ثبوتا لا يحتمل التأويل بالرغم من أنوف المكابرين، وقد بيناه من قبل بالتجارب القطعية، وأعلاه وأكمله رؤيا الأنبياء التي هي من مبادئ الوحي، وقد وقع للنبي – صلى الله عليه وسلم – رؤية الرب – تعالى – في المنام كما روى ابن عباس وأنس وظن". (١)

١٢. ١٣–"وقد استفتاني رجل في امرأة مسلمة متزوجة تختلف إلى بيت رجل غير مسلم ولا وطني، تزوره بعد العصر في شهر رمضان ثلاثة أيام في الأسبوع، فتمكث معه إلى قرب المغرب، هل يجوز له أو يجب عليه إيذان بعلها بذلك؟ ، وذكر أن سبب افتتان هذه المرأة الخبيثة بهذا الرجل الخبيث أنها عرفته عاملا في صيدلية

قصدتها مرة لشراء دواء منها، فتصباها حتى صارت تختلف إلى الصيدلية لأدنى حاجة ثم لغير حاجة إلخ.

فسدت العقائد والأخلاق وتركت العبادات، وأبيحت الأعراض واستبيحت المحرمات وعبد الشيطان في معصية الرحمن، وتوجد جمعيات من الرجال ومن النساء يزينون للناس كل هذه الفضائح والقبائح باسم التجديد والتمدن، ولهم جرائد تنشر دعاية الإلحاد والزندقة، والإباحة المطلقة، إلا من بعض قيود قانون العقوبات في الظاهر دون الباطن. وإذا أنذرهم منذر،

(١) تفسير المنار ٩/١٤٠

وحذرهم من طاعة الشيطان محذر، قالوا: وما الشيطان؟ وما الدليل على وجود الشيطان؟ فإن قلت لهم: إن أطباء الأرواح وأساتذة أمراض الاجتماع، قد حذرونا بأمر الله خالق ما يرى وما لا يرى من نزغ الشيطان وتزيينه للفسوق والعصيان، كما يحذرنا أطباء الأجساد من " ميكروبات " الأمراض، فهل من مقتضى العقل أن نرد كلام هؤلاء الأطباء بحجة أننا لم نر تلك الميكروبات المرضية، وألا نقبل كلامهم، ولا نستعمل أدويتهم إلا بعد رؤية ما رأوا، واختبار ما اختبروا؟ ألم يقم الدليل على صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام في التبليغ عن وحي الله عز وجل؟ بلى وقد **ثبت بالتجربة** والاختبار أن من اتبعوهم صحت عقائدهم واستقامت أخلاقهم، وصلحت أعمالهم، وحفظت صحتهم وأعراضهم وأموالهم، فتجربة معالجتهم لأمراض الأنفس والأرواح، أثبت من تجربة معالجة الأطباء لأمراض الأجساد، وقد ثبت بالمشاهدة والاختبار أيضا أن هؤلاء الماديين المنكرين لوجود الشياطين هم أشد فسادا وإفسادا، ومنهم: سكيرون مقامرون، زناة لوطيون، كذابون منافقون، مرتشون سراقون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون (٦: ١١٢، ١١٣) .

وفي مثل هؤلاء يقول الله تعالى في هذا السياق: وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون الغي: الفساد. والمد والإمداد الزيادة في الشيء من جنسه، وقد قرأ نافع يمدونهم بضم الياء وكسر الميم من الإمداد، والجمهور بفتح الياء وضم

الميم من المد، وقرئ في الشواذ يمادونهم بصيغة المشاركة، والمد يستعمل في القرآن في الخلق والتكوين كقوله تعالى: وهو الذي مد الأرض (١٣: ٣) ألم تر إلى ربك كيف مد الظل (٢٥: ٤٥) والبحر يمده من بعده سبعة أبحر (٣١: ٢٧) وفي مد الناس فيما يذم ويضر كقوله: قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا (١٩: ٧٥)". [1]

١٣. ١٤-"وقد أراد المرحوم الشيخ رشيد رضا أن يلم بحلقات السلسلة منذ بدء الدعوة- وإن يكن لم يحاول أن يلم بأصل الاختلاف الجذري الدائم الذي ينشئ هذه السلسلة بحلقاتها

(١) تفسير المنار ٩/٤٥٨

والذي ينتهي بما انتهت إليه حتما- فقال في تفسير المنار:

«من المشهور القطعي الذي لا خلاف فيه، أن الله تعالى بعث محمدا رسوله وخاتم النبيين بالإسلام الذي أكمل به الدين، وجعل آيته الكبرى هذا القرآن المعجز للبشر من وجوه كثيرة، ذكرنا كلياتها في تفسير:

(٢: ٣) (ص ١٩٠- ص ٢٢٨ ج ١) وأقام بناء الدعوة إليه على أساس البراهين العقلية والعلمية المقنعة والملزمة «١» ومنع الإكراه فيه والحمل عليه بالقوة، كما بيناه في تفسير (٢: ٢٥٦ ص ٢٦- ص ٤٠ ج ٣) فقاومه المشركون، وفتنوا المؤمنين بالتعذيب والاضطهاد لصدهم عنه، وصدوه (ص) عن تبليغه للناس بالقوة ولم يكن أحد ممن اتبعه يأمن على نفسه من القتل أو التعذيب، إلا بتأمين حليف أو قريب.

فهاجر من هاجر منهم المرة بعد المرة ثم اشتد إيذاؤهم للرسول (ص) حتى ائتمروا بحبسه الدائم أو نفيه أو قتله علنا في دار الندوة ورجحوا في آخر الأمر قتله فأمره الله تعالى بالهجرة، كما تقدم في تفسير (٨: ٣٠ وإذ يمكر بك الذين كفروا- ص ٦٥٠ ج ٩) فهاجر (ص) وصار يتبعه من قدر على الهجرة من أصحابه إلى حيث وجدوا من مهاجرهم بالمدينة المنورة أنصارا لله ولرسوله يحبون من هاجر إليهم، ويؤثرونهم على أنفسهم. وكانت الحال بينهم وبين مشركي مكة وغيرهم من العرب حال حرب بالطبع ومقتضى العرف العام في ذلك العصر. وعاهد (ص) أهل الكتاب من يهود المدينة وما حولها على السلم والتعاون. فخانوا وغدروا، ونقضوا عهودهم له بما كانوا يوالون المشركين ويظاهرونهم كلما حاربوه. كما تقدم بيان ذلك كله في تفسير سورة الأنفال من هذا الجزء (ص ١٥٤٧- ١٥٥٦) .

«وقد عاهد (ص) المشركين في الحديبية على السلم والأمان عشر سنين بشروط تساهل معهم فيها منتهى التساهل، عن قوة وعزة، لا عن ضعف وذلة، ولكن حبا بالسلم ونشر دينه بالإقناع والحجة «٢» . ودخلت خزاعة في عهده (ص) كما دخلت بنو بكر في عهد قريش ثم عدا هؤلاء على أولئك وأعانتهم قريش بالسلاح فنقضوا عهدهم، فكان ذلك سبب عودة الحرب العامة معهم، وفتحه (ص) لمكة، الذي خضد شوكة الشرك وأذل أهله ولكنهم ما زالوا يحاربونه حيث قدروا **وثبت بالتجربة** لهم في حالي قوتهم وضعفهم أنهم لا عهود لهم، ولا يؤمن نقضهم وانتقاضهم، وكما يأتي قريبا في قوله تعالى من هذه السورة ٧: «كيف

يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله- إلى قوله في آخر أية ١٢- فقاتلوا أئمة الكفر، إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون» . أي لا عهود لهم يرعونها ويفون بها. والمراد أنه لا يمكن أن يعيش المسلمون معهم بحكم المعاهدات المرعية، فيأمن كل منهم شر الآخر وعدوانه، مع بقائهم على شركهم الذي ليس

---

(١) لا بد أن ننبه هنا إلى منهج مدرسة الأستاذ الشيخ محمد عبده، المتأثرة بفلسفة غريبة عن الإسلام وهي فلسفة «ديكارت» مما جعلها تركز تركيزا شديدا على «العقل» وتعطيه أكثر من مجاله في مسائل العقيدة. فلا بد أن نضيف إلى البراهين العقلية والعلمية البراهين الفطرية البديهية كذلك في هذا الدين ومجاوبتها لكل الكينونة البشرية بما فيها العقل والذهن.
(٢) هذا كلام صحيح إذ أريد به أن نشر العقيدة بالاقناع والحجة هو قاعدة هذه الحركة. ولكنه يتجاوز مداه المأمون حين يراد به أن الجهاد في الإسلام لا يكون إلا دفاعا عن المسلمين، وأن السلم واجبة في غير هذه الحالة.. كما يتجه المؤلف رحمه الله.". (١)

١٤. ١٥-"وهذا رأي غير مدروس، فقد **ثبت بالتجربة** أن العمل الفني عن دين ما يجب أن يضطلع به رجل يعتنق هذا الدين ويؤمن به في قرارته، ولقد كنت في الولايات المتحدة عند عرض فيلم (الوصايا العشر) والذي لا يعرفه أكثر الناس أن النقاد اليهود قابلوا الفيلم بجفوة، ووصفوه بأنه جنسيا أكثر منه دينيا، ونقموا على مخرج الفيلم اختياره لتمثيل دور فرعون نجما محبوبا (يول برينز) أكثر من الذي قام بدور موسى (شارلتون هستون) ، ولو أن (سيسل ديميل) كان يهوديا لتلافى هذا النقد، أو لما كان عمله موضع شبهة. وشبيه بذلك ما قرأته أخيرا عن رفض مدينة (سلبي) بمقاطعة (يوركشير) الإنجليزية تمثالا ضخما للسيد المسيح من صنع المثال اليهودي (أبشتاين) بحجة أن ملامح التمثال تدل على القسوة والفظاظة، إنني أول من يمني النفس بكتابة قصة عمر رضي الله عنه للسينما، ولكن في الوقت ذاته أعتقد أن قصورنا الفني لن يحقق في الوقت الحالي مثل هذه الأمنية، حينما نستطيع أن نخرج أفلاما عن أمجادنا الدينية في نفس المستوى الذي يخرج فيه الغرب أمثال هذه الأفلام

---

(١) في ظلال القرآن ٣/١٥٨٨

عن أمجاده، فإن التردد والاعتراض يكونان وقتئذ خطأ كبيرا.
من أجل ذلك أعتقد أن مشيخة الأزهر كانت موفقة في رأيها الخاص في قصة (يوسف الصديق) ، كما كانت كذلك غير متناقضة مع نفسها حينما لم تبادر فتعترض على حديث نشر في (الأهرام) عام ١٩٥٥م جاء فيه: أن (سيسل ديميل) يبحث عن ممثل يسند إليه القيام بتسجيل (صوت الله) باللغة العربية في الطبعة التي ستوزع من فيلم (الوصايا العشر) في البلاد الإسلامية؛ لأنه ونحن الآن في عام ١٩٥٩م لم يعرض الفيلم المذكور بعد". (١)

١٥. ١٦-"أفلام دينية يروج لها أعداء الإسلام

إن بعض الأفلام الدينية التي رخصنا بصنعها، ولا تزال تعرض حتى الآن لا يرغب أعداء المسلمين في أكثر من الحصول على حق توزيعها، ولست أشك في إخلاص معظم منتجي هذه الأفلام، ولكن الإخلاص وحسن النية لا يعالج بهما القصور الفني، ولقد حشدنا كل الإخلاص والنيات الحسنة في فيلم " خالد بن الوليد " مثلا: ولكني أعتقد أننا نلنا من شخصية خالد في هذا الفيلم ما عجز عن نيله الروم والفرس، وقد يقال: إن قصة الفيلم مكتوبة في أسلوب وهيكل رائعين، ولكن الكتابة الممتازة لا تكفي وحدها، فمسرحيات " شكسبير " هي هي بنصها على مسرح " الأولد فيك " وعلى مسرح " الانشراح " في بغداد، ولكن الفارق بين الأداءين هو نفس الفارق بين ترجمة حياة ينتجها للسينما كل من ستديو " مترو جولدوين " وستديو " شبرا " والتمثيل الممتاز لا يكفي كذلك وحده ولا يكفي الإخراج، أو التصوير. . إلخ. . فإن العمل السينمائي يتألف من عشرات الحلقات المتصلة التي يجب أن تكون جميعها قوية متماسكة، وفي مستوى متقارب. . ونحن للأسف لم نصل بعد إلى الدرجة التي ننتج فيها فيلما خطيرا تصل نسبة الكمال فيه إلى درجة عالية، ولذلك يجب أن تقتصر تجاربنا على الموضوعات العادية، ولا نقحم الدين في هذه التجارب.
إن أفلام " الوصايا العشر " و " الرداء " و "كوفاديس " التي ضرب الأستاذ التابعي المثل بها قد تكلف الواحد منها بين ستة ملايين و ١٣ مليونا من الدولارات وعبئت من أجلها أقوى الطاقات الفنية، ولا يزال أناس يتصدون بالقول إنما نصنع أفلاما ممتازة على مستوى

---

(١) أبحاث هيئة كبار العلماء ٣٢٥/٣

الأفلام العالمية، والدليل على ذلك أن أصحاب هذه الأفلام لا يجدون متفرجين لها حتى في بلادنا ويطالبون الحكومة بأن توفر لهم جمهورا بقوة القانون، والدليل الآخر أن فيلما واحدا من هذه الأفلام لم ينل جائزة من الدرجة الثالثة في أي مهرجان دولي أو شبه دولي.

ويقول فريق أكثر اعتدالا: إن علينا أن نستعين بالخبراء الأجانب في إخراج أفلام عن ظهور الإسلام وفتوحاته وحضارته وأبطاله، وهذا رأي غير مدروس، فقد **ثبت بالتجربة** أن العمل الفني عن دين ما يجب أن يضطلع به رجل يعتنق هذا الدين ويؤمن به في قرارته، ولقد كنت في الولايات المتحدة عند عرض فيلم " الوصايا العشر " والذي لا يعرفه أكثر الناس أن النقاد اليهود قابلوا الفيلم بجفوة، ووصفوه بأنه جنسيا أكثر منه دينيا ونقموا على مخرج الفيلم اختياره لتمثيل دور فرعون نجما محبوبا " يول برينز " أكثر من الذي قام بدور موسى " شارلتون هستون " ولو أن " سيسل دي ميل "كان يهوديا لتلافى هذا النقد، أو لما كان عمله موضع شبهة.

وشبيه بذلك ما قرأته أخيرا عن رفض مدينة سلبي بمقاطعة " يور كشير " الإنجليزية تمثالا ضخما للسيد المسيح". (١)

١٦. ١٧-"وشكره سبحانه يكون بإقامة عيد سنوي لميلاده، وفي هذا العيد يتلى القرآن، ويذكر الناس بفضل الله: حيث بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا؛ فلهذا وذاك يكون عيد المولد النبوي سنة حسنة مندوبة.

أما الرأي الصحيح وهو رأي من يعتد به من العلماء فهو أن الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم من البدع المذمومة في الدين للأمور الآتية:

١ - لأن السلف من الصحابة والتابعين لم يستحسنوها، ولم يفعلوها حيث لم ينقل عن أحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم أو بعضهم أحيا هذه الفعلة، وأقام عيدا بمناسبة ذكرى ميلاده صلى الله عليه وسلم، ولو حصل هذا لنقل إلينا؛ لأنه يتعلق بأمر يهم الأمة في دينها ورسولها.

وذلك كما نقلوا أقواله وأفعاله في العيدين وفي رمضان والتراويح وليلة القدر وصيام ست من

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية ١/٢٤٥

شوال وصوم عاشوراء ونحوه.

٢ – أن هذا العيد داخل تحت المحدثات المذمومة في الدين مثل قوله صلى الله عليه وسلم «وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة (رحمه الله١) » . ٣ – ومما يدل على أنها بدعة مذمومة ما ثبت بالتجربة والتتبع التاريخي: أن إحياء المولد كل عام قد زاد الجهال من المسلمين بعدا عن دينهم وتشويها لسنة نبيهم؛ حيت صاحب هذه الموالد منكرات يشيب لهولها الوليد، ويتقطر قلب المسلم الغيور حسرة وأسفا على ما يرتكب باسم الرسول، وما يقترف على الإسلام باسم إكرام رسول الإسلام أمثال:

١ – إضاعة الأموال وارتكاب مزيد من المحرمات كالمبالغة في إنارة

رحمه الله_______________

(رحمه الله١) سنن أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، سنن الدارمي المقدمة (٩٥) .". (١)

١٧. ١٨–"الأساس العظيم للإسلام، حيث يقول سبحانه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (رحمه الله١) ، وقد هيأ الله سبحانه وله الحمد والمنة لدينه أنصارا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله (رحمه الله٢) » ، وفي رواية أخرى: «لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة (رحمه الله٣) » ومما يبشر بما ذكرنا ما انتشر في العالم الإسلامي وغيره من الحركات التي توصي باتباع الكتاب والسنة والسير عليهما. ثم إن تلك المبادئ والمذاهب المختلفة من شيوعية ورأسمالية غربية وغيرها من المذاهب التي يروج لها اليوم أصحابها قد ثبت بالتجربة زيفها وفشلها، وأنها لا تسعد البشرية بل تضرها في دينها وأخلاقها واقتصادها، حيث إنها من صنع البشر الذي طبيعته القصور والجهل والهوى، كما قال تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ (رحمه الله٤) .

وقد بدأت البشرية تتلفت يمنة ويسرة علها تجد منهجا صالحا ينقذها من الهاوية التي تردت فيها جميع شؤون حياتها، والإسلام وحده هو القادر على إنقاذ البشرية من تلك المهالك، وستكتشف البشرية بإذن الله تلك الحقيقة إن عاجلا أو آجلا، كما قال الله تعالى: ﴿فأما

(١) مجلة البحوث الإسلامية ٢٠٤/١٤

الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾

(رحمه الله٥) .

رحمه الله________________

(رحمه الله١) سورة الحجر الآية ٩

(رحمه الله٢) صحيح مسلم الإمارة (١٩٢٠) ، سنن الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، مسند أحمد بن حنبل (٥/٢٧٩) .

(رحمه الله٣) صحيح مسلم الإمارة (١٩٢٤) .

(رحمه الله٤) سورة النساء الآية ٨٢

(رحمه الله٥) سورة الرعد الآية ١٧". (١)

١٨. ١٩-"شرب دم الضب للسعال الديكي

من محمد بن إبراهيم إلى المكرم عبد الرحمن الحماد العمر سلمه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

بالإشارة إلى كتابك الذي تسأل فيه عن مسألة وهي: ما حكم إسقاء الأطفال المصابين بالكحة الشديدة التي تسمى بـ (السعال الديكي) دم الضب؛ لأنه **ثبت بالتجربة** أنه دواء ناجح لهذا المرض؛ ولأنه ثبت أن الأطباء غير مستطيعين غالبا لعلاج هذا المرض الذي يضر الطفل ضررا بالغا.

والجواب: إذا كان دم الضب مسفوحا فهو حرام، والتداوي بالمحرمات لا يجوز. والأصل في ذلك الكتاب والسنة والنظر.". (٢)

١٩. ٢٠-"والشارع سد الذريعة إلى تناوله بكل ممكن، ولا ريب أن بين سد الذريعة إلى تناوله وفتح الذريعة إلى تناوله تناقضا.

السادس: أن في هذا الدواء المحرم من الأدواء ما يزيد على ما يظن فيه الشفاء.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية ٨١/٦٠

(٢) مجلة البحوث الإسلامية ٢٠/٧٨

وأما قولك: إنه **ثبت بالتجربة** أنه دواء ناجح لهذا المرض. فهذا غير صحيح؛ لأنه لا تلازم بين تعاطي الدواء المحرم وبين زوال المرض بعد التعاطي؛ لأن زواله قد يكون بدواء شرعي وطبيعي وعادي، ولكن صادف زواله تعاطي هذا الدواء الذي هو في الحقيقة داء، فنسب إليه. وقد يكون زواله لا من أجل كونه دواء ولكن من باب الابتلاء والامتحان.

وأما قولك إن الأطباء عاجزون في الغالب عن علاج هذا الداء. فهذا لا يصح الاستناد عليه لإباحة التداوي بهذا المحرم؛ لأن عجز عدد من الأطباء لا يلزم منه عجز غيرهم، ولا يلزم منه عدم وجود دواء مباح مما يعرفه الأطباء. على أن الأدوية الشرعية هي المصدر الأول للتداوي، والشفاء بيد الله تعالى، والدواء المباح سبب من الأسباب التي شرع التداوي بها.

هذه إجابة مختصرة قصدنا بها التنبيه على أصل المسألة، وفيها كفاية. والله الموفق. والسلام عليكم

مفتي الديار السعودية

(ص. ف. ١١٥١ في ١٣٨٨\٥\١٢ هـ)". (١)

٢٠. ٢١-"مقال

درس من يوغوسلافيا

كان دعاة القومية والعلمانية في أوائل هذا القرن يضغطون باتجاه إقامة نظام الدولة على أساس تجاهل النزعة الدينية، متخذين من ضعف الدولة العثمانية وفساد مؤسساتها أدلة على وجوب تنحية الدين أن يكون عاملا له أهميته في بناء الدول وحياة الأمم.

ومن أبرز دعاة هذا الاتجاه ساطع الحصري الذي يشكل مجموع آرائه مرجعا لدعاة القومية والعلمانية، وعلى الرغم من صيرورة معظم هذه الآراء موضع شك من خلال التطبيق؛ إلا أن القيمين الذين ورثوا آراء الحصري لا زالوا في ضلالهم القديم، ولم تفدهم الحوادث ووقائع التاريخ الحديث عبرة، وهذا (مركز دراسات

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية ٢٦/٧٨

الوحدة العربية) يشرف على إعادة طباعة مؤلفات ساطع الحصري تحت عنوان: (سلسلة التراث القومي) .

وهذا المركز على الرغم من أنه يعلن من جملة أهدافه أنه: (يهدف إلى ايصال نداء الوحدة للجماهير العربية والأوساط الفكرية على تعدد اتجاهاتها) - إلا أنه يتبنى الوجهة القومية والعلمانية التي كان يؤمن بها ساطع الحصري بحذافيرها، ولم نجد له ما يناقض ذلك سوى إحساس باهت بفشل كثير مما طرحه أنصار تلك الأفكار؛ ولذلك فإنه تبنى إقامة عدة ندوات اشترك فيها أصحاب الاتجاه القومي والعلماني ومن انتقاهم ممن يتحدثون عن الإسلام وبالإسلام. ولكن المراجع لهذه المناقشات يكتشف بسهولة ويسر أين يقف هذا المركز وما هي الأفكار التي يروج لها.

وقد يظن ظان أننا ضد شيء يسمى الوحدة العربية، وهذا وهم يؤمن به من يجهل الحقيقة أو من يقصد تشويه السمعة والتلاعب بالعواطف. فإذا كان هناك فريق يرى الاتحاد ونبذ الفرقة أصلا من أصول العقيدة لا مبدأ ثبت بالتجربة البشرية فائدته فقط فهم المسلمون، ولكن الخلاف هو حول الأساس والرابطة التي تجتمع عليها هذه الشعوب التي توالت على حكمها جهات مختلفة، فبينما يذكر القوميون عناصر اختاروها ليؤكدوا على أهميتها ويتجاهلون الدين كعامل أساسي في هذا المجال، بحجة أن الدين يفرق والقومية تجمع، وهذا القول يقصد به إهمال دين الأغلبية، وتحييده أن يلعب دوره الطبيعي في الحياة، وإلا فإن كثيرا من هؤلاء - مع إعلانهم وتوكيدهم هذه المزاعم - لا يهملون أديان الأقلية، بل يولونها كل التقدير والاحترام ويعطونها ما لها وما ليس لها من التجلة والتبجيل، بل إن الهجوم القولي والعملي على دين الاغلبية يصب في مصلحتها وينعكس امتيازات وتقوية مركز لأتباعها.

واللوم لا يتوجه إلى أتباع أي دين أن ينصروا أهل دينهم، ويقفوا إلى جانبهم في السراء والضراء - فهذا شيء طبيعي - ولكنه يتوجه إلى من يتنصل من دينه وينخلع منه إرضاء لمن يبقى في قرارة نفسه وفيا لمبادئه ينصرها بالحق والباطل،

إن هذا الضرب من الناس يتحول إلى عدو شرس يذيق أبناء جلدته المر، ويسومهم أنواع النكال ولا يشفي غليله إلا أن يصبحوا مثله في إهمال دينهم والحملة عليه، وكل ذلك من أجل إرضاء (إخوانه في الوطنية!) فيغيظ الألوف المؤلفة ويقطع أواصره معهم من أجل حفنة يحرص على رضاها والحصول على ثقتها، وليس بقادر على ذلك مهما فعل. هذا هو منطق القوميين الأعوج الذي يتجاهل التاريخ، ويناقض الفطرة البشرية.

إن القوميين – في غلوائهم لإثبات آرائهم – يدوسون الحقائق، ويغمضون أعينهم عن الوقائع الناطقة التي قد تخرس تكلفا لا طبعا، إن الإنسان ناطق بطبعه، وقد يعرض له ما يعقل لسانه فيمنعه من الكلام، فهو في هذه الحالة أبكم لمن يراه، ولكن الناظرين إليه يتمايزون فئتين:

فئة ترى أنه أبكم طبعا.

وفئة ترى أنه كذلك لعارض عرض له.

وهذا هو مثل يوغوسلافيا. فقد رأى القوميون فيها نموذجا يحتذى لإقامة الدول على أساس قومي، يقول ساطع الحصري: (إن هذه الدولة الجديدة اصطدمت في بادئ الأمر بمشاكل داخلية كبيرة؛ لأن اختلاف التربية والتقاليد الإدارية والثقافية التي سادت المقاطعات المذكورة منذ قررن عديدة – انضم إلى اختلاف الثقافة فأوجد نزعات إقليمية عرضت كيان الدولة إلى مخاطر جدية.

إن الكروات والسلوفن كانوا أرقى من الصرب من وجهة العلم والثقافة. ولكن الصرب كانوا أرقى من هؤلاء من حيث التشكيلات الحكومية والتنظيمات العسكرية.

فكان من الطبيعي أن يحدث تنافس وتنازع بين هذين العنصرين لتولي الحكم وكان من الطبيعي أن تتعرض الدولة التي تتكون منهما لأزمات خطيرة، ولكن الشعور بالوحدة القومية كان كفيلا بالتغلب على هذه المشاكل كلها وبالقضاء على النزعات الإقليمية بأجمعها.

وهذا ما حدث فعلا: بعد زوال أزمات الحكم الأولى، وتلاشي نزعات الإقليمية المختلفة، رأى القوم أن يتركوا الاسم المركب الأول، وأن يسموا الدولة

باسم مختصر يكون أكثر دلالة على الوحدة القومية من الاسم الأول واختاروا لذلك اسم (يوغوسلافيا) بالنسبة إلى اللغة التي تربط جميع العناصر بعضها ببعض،
والدولة اليوغوسلافية التي تأسست بهذه الصورة وبعد اجتياز مرحلة الولادة العسيرة أصبحت متحدة ومتماسكة بكل معنى الكلمة.
ومن المعلوم أن شدة هذا التماسك والاتحاد بهرت الأنظار وأدهشت الأذهان خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها) . [١] ...
ونحن نرى هذا التحليل التاريخي الاجتماعي لقيام يوغوسلافيا قاصرا ولا يجيب على أسئلة تنبع من سياقه، وهو تحليل أحادي وليس شاملا، وقد صيغ بلغة تبشيرية [٢] فهو يشير إلى اختلاف المذاهب، وهذا يعني الاختلاف بين الصرب الأرثوذكس وبين الكروات والسلوفين الكاثوليك، لكن ماذا عن الإسلام الموجود في يوغوسلافيا؟
وهو يقول: (ولكن الشعور بالوحدة القومية كان كفيلا بالتغلب على هذه المشاكل كلها، وبالقضاء على النزعات الإقليمية بأجمعها) . هل صحيح أن المشاكل كلها والنزعات الإقليمية بأجمعها قد زالت من وغوسلافيا بعد أن سميت بهذا الاسم المختصر؟ !
وكذلك القول: إن الدولة اليوغوسلافية (أصبحت متحدة ومتماسكة بكل معنى الكلمة. ومن المعلوم أن شدة هذا التماسك والاتحاد بهرت الأنظار وأدهشت الأذهان خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها) .
فادعاء التماسك والاتحاد بكل معنى الكلمة يأتي الواقع العملي اليوم ليكشف ما فيه من المجازفة والإصرار على الأوهام، فحال يوغوسلافيا لا تنبئ بذلك بل بعكسه (بكل معنى الكلمة) وتكاد الأزمة الحالية تنجلي عن استحالة أن تعود أجزاء يوغوسلافيا إلى الالتئام ثانية.
وكذلك الاعتماد على ما حدث في يوغوسلافيا خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها كدليل على ثبات هذا الاتحاد.
فقد يتعاون الأعداء وأصحاب المصالح المتعارضة من أجل دفع عدو آخر، وهذا ما حدث عند الاحتلال النازي والفاشي ليوغوسلافيا، تناسى هؤلاء

اليوغوسلاف إحنهم الداخلية المتأصلة لإخراج الغزاة من أرضهم، لأنهم لا يمكنهم ذلك إلا بهذه الطريقة، وهذا يذكرنا بحالة التحالف بين دول مختلفة لإخراج العراقيين من الكويت، فلا أحد يدعي أن قوة ذلك التحالف هي نتيجة لوجود وحدة قومية بين أعضائه في الماضي أو في الحاضر أو في المستقبل. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن وجود شخصية مهيمنة مثل (تيتو) قد غطى على هذه المشكلة. وإن ظن الكثير من المخدوعين وأصحاب الأفكار الآنية أنه حلها إلى الأبد، وهذا الأمر له دلالة ثانية، فالكبت والقهر لا يقتلع المشاكل، وإن بدت غائبة عن الأنظار بل يجمدها أو يجعلها تتوارى تحت السطح مثل الهوام وخشاش الأرض في مرحلة البيات الشتوي، حتى إذا جاء (سعد الخبايا) وزالت العوائق خرجت الخبايا من الأرض لتتمتع بالدفء وتحيا حياتها الطبيعية من جديد.

إن الهدوء الذي كان يخيم على يوغوسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية، وخلال الحكم الشيوعي في عهد تيتو لم يكن نهاية المطاف، وإنما هو بكم عارض وصمت مصطنع فرضته عوامل وقتية، وقد زال بزوالها.

---

(١) ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، ص٨٤.

(٢) كل ما كتبه ساطع الحصري متأثر بهذه اللغة التبشيرية ونعني بها اللغة التي تدعو الناس إلى اعتناق شيء من خلال إظهار محاسنه والحماسة في الحديث حوله، مقابل الإهمال والتجاهل والاشمئزاز مما يراد لهم إهماله وتجاهله.". (١)

٢١. ٢٢-"مرصد الأحداث

يرصدها: حسن قطامش

أطماع بلا حدود

نحن فخورون بأن الولايات المتحدة تعتبر الشريك التجاري الأول، وأكبر

---

(١) مجلة البيان ٤٢/ ٤٣

مستثمر بمنطقة الخليج؛ حيث يبلغ حجم التبادل التجاري بين دول الخليج والولايات المتحدة نحو ٢٥ مليار دولار أمريكي. ولكن هناك قيودا على الاستثمارات الأجنبية في دول الخليج حيث تحدد نسبة مساهمة الأجانب بـ ٤٩٪ من الأسهم، ونحن نعتقد أن وقت فرض القيود على الاستثمار قد انتهى.

... [مستشار وزير التجارة الأمريكي، جريدة الخليج، العدد: (٧٢٢٥)]

الإسلام قادم

إن الإسلام بدأ ينتشر تيارا دينيا سائدا في الولايات المتحدة، إنه أسرع الديانات نموا، لقد تحول الإسلام في العقدين الأخيرين من عقيدة منعزلة إلى حركة دينية، حركة تزداد قوة وتأثيرا وعددا، تؤكد نفسها كما لم يحدث مطلقا من قبل.

... [دورية أضواء على الأنباء الأمريكية، السنة ١٤، العدد: (٢)]

الآن.. فشل الحوار! !

لقد كان الجانب الإسلامي يحسن الظن دائما بالغرب حين يدعو إلى الحوار، ولكن ثبت بالتجربة التي خاضها الجانب الإسلامي بكل الصدق النابع من الإيمان، أن الجانب الآخر لم يكن على الدوام على المستوى الرفيع من سلامة القصد وحسن الطوية؛ ليس فحسب في الأفكار والآراء التي كان يبديها ويعبر عنها، ولكن من حيث المواقف التي يتخذها إزاء القضايا والمناسبات التي كانت تتطلب ذلك، وأمام هذا الوضع يكون من حق الجانب الإسلامي أن يتساءل عما إذا كان هذا الحوار ترفا فكريا ونشاطا ثقافيا بين نخبة من المفكرين والعلماء لا نفع فيه ولا فائدة تجنى منه أو نشاطا من الأنشطة التي تنظم دون أن يكون لها تأثير في حياة الناس.

... [من تقرير منظمة الإيسيسكو، جريدة الأنباء، العدد: (٨١٩٦)]

من جرائم الهندوس

قام الجيش الهندي الغاشم بهجوم مسلح مباغت، قتل فيه الشيخ محمد رمضان سلفي، قائد وأمير جمعية أهل الحديث بجامو وكشمير، وذلك بعد عودة الشيخ

رحمه الله من إلقاء خطبة الجمعة بمسجد أهل الحديث المركزي بـ (سرينجر) .
[مجلة سياحة الأمة، العدد: (١٣)]
الشعب كله فداك
١- في كوريا الشمالية يأكل الناس العصيدة، وهي عبارة عن خليط من أعواد النبات وأوراقه. والمحظوظون منهم يأكلون البطاطس، إنه من المحتمل أن تكون هناك الآن إحدى أكبر المجاعات في هذا القرن، وقد مات بسببها حوالي ٣ ملايين شخص حتى الآن، إن الناس توقفوا عن الزواج لأنه لا يوجد غذاء للأطفال، ولا توجد غير قناة تلفزيونية واحدة، تنقل لهم أناشيد لا حصر لها تمدح (الزعيم العظيم) .
[جريدة هيرالدتيربيون الدولية، جريدة الجرائد العالمية، العدد: (٦٢١)]
٢- مع الاحتفال بعيد ميلاد الزعيم الكوري الشمالي، أنفقت الدولة ما يزيد على ٩٠ مليون دولار، منها مليون و٦٠٠ ألف دولار للألعاب النارية، و٤ ملايين دولار لاستيراد الكافيار الإيراني، ونظم مهرجان اشترك فيه ستة آلاف عارض وراقص جاؤوا من ٢٢ دولة! !
[جريدة الشرق الأوسط، العدد: (٧٣٨٦)]
وهذا هو السبب! !

لماذا تقرير المصير والاستقلال حلال على التيموريين، وحرام على الكوسوفاويين؟ لا بد أن يقال بكل وضوح إن من الأسباب الرئيسة كون الصرب في نهاية المطاف من المسيحيين الغربيين الذين تنتصر الدول الغربية لهم في كل الأحوال، وإن الكوسوفاويين الذين يطالبون بالاستقلال هم من المسلمين الذين لا ظهير لهم.
[فهمي هويدي، جريدة الشرق الأوسط، العدد: (٤٧٠٥)]

جهاد القوى الاستعمارية.. بالتطبيع! !

أعلن وزير الدولة السوداني للشؤون الخارجية الأسقف غبريال روريج أن

هناك اتصالات مكثفة حاليا بين القائم بالأعمال الأمريكي في نيروبي ومسؤولين كبار في وزارة الخارجية السودانية لحل القضايا الخلافية بهدف تطبيع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. ... ...

[جريدة الحياة، العدد: (١٣١٥٣)]

وماذا عن مسلمي الأندلس والبوسنة؟

دعا رئيس وزراء النرويج دول أوروبا إلى الاعتراف بالذنب الذي اقترف ضد اليهود في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية على كافة المستويات المعنوية والأخلاقية والمادية، ثم قدم اعتذاره عن هذه المذابح وأضاف أن حكومته قررت التبرع بمبلغ ٦٠ مليون دولار لتخليد ذكرى اليهود الذين قتلوا في أوروبا.

[جريدة الخليج، العدد: (٧٢١٩)]

بعد ٣٠ سنة قومية! !

إن الحديث عن العروبة والقومية العربية يعد نوعا من العنصرية، إن الانتماء الحقيقي يجب أن يكون للأرض الإفريقية، الوحدة العربية والقومية العربية.. كلمات كبيرة.

[الرئيس الليبي، معمر القذافي، جريدة الخليج، العدد: (٧٢٣٤)]

شاهد من.. عدوها

إنه وباستثناء الإسلاميين فإن القوى السياسية الأخرى في تركيا، غير مترابطة وبلا أيديولوجية واضحة وتتسم بالانتهازية، كما أنها عجزت عن تحقيق صلات قوية بالمجتمع.

[لوموند بلوماتيك الفرنسية، عن جريدة الجرائد العالمية، العدد: (٦٢١)]

أذكياء أكثر مما تتوقع

قال وزير الدفاع الإسرائيلي السابق إسحاق مردخاي: إن السلطة الفلسطينية قررت التصدي لهجمات يشنها مقاومون ضد إسرائيل في الفترة التي تسبق الانتخابات الإسرائيلية، وقال: الفلسطينيون أذكياء بالقدر الكافي؛ فقد أدركوا أنه إذا ارتكب خطأ وفشلوا في منع الهجوم في وقت الانتخابات فسيضر ذلك بالاتفاق كله. ... ...

[جريدة الأنباء، العدد: (٨١٨١)]

بعضهم أولياء بعض

وجه حوالي ١٥٠٠ من المثقفين المصريين نداء إلى الرئيس التركي ناشدوه فيه إجراء محاكمة عادلة لعبد الله أوجلان، وقالوا في البيان الصادر عنهم: إننا نشعر بالقلق والألم العميق على مصير الزعيم الكردي.

[جريدة الأسبوع، العدد: (١٠٧)]

سائرون على العهد

كشف ديفيد قمحي، مدير المخابرات الإسرائيلية الأسبق، عن تقديم أصدقاء لطفي الخولي المصريين من جماعة كوبنهاجن تعهدات بالاستمرار في الطريق الذي بدأوه مع العدو الإسرائيلي، وأكد ديفيد قمحي أن (إسرائيل) خسرت كثيرا بعد وفاة الخولي قائد جماعة كوبنهاجن. ...

[جريدة الشعب، العدد: (١٣٣٩)]

يا حسرة على النمور

إن النمور الآسيوية العظيمة لم يعد لها وجود، هذه الدول صغرت وتراجعت إلى دول تطلب المعونة، وأطيح بحكوماتها وتقوض نظامها السياسي، وربما نجد أن استقلالنا الذي حصلنا عليه أخيرا قد تقوض.

[مهاتير محمد، رئيس وزراء ماليزيا، مجلة المشاهد السياسي، العدد: (١٥٤)]

وأين إيجابيتكم؟

صرح خافيير سولانا، الأمين العام لمنظمة حلف شمال الأطلنطي: إننا نعاني من مشكلات خطيرة مع صربيا في رامبوييه، وذلك على العكس بالنسبة لوفد كوسوفا الذي يبرهن حتى الآن على أن موقفه إيجابي.
[جريدة البابيس الأسبانية، عن جريدة الجرائد العالمية، العدد: (٦٢١)]

أيادي أمريكا.. البيضاء!

اتهمت لجنة التحقيق المكلفة بالتحقيق في الجرائم التي ارتكبت خلال الحرب الأهلية في جواتيمالا التي استمرت ٣٦ عاما وانتهت عام ١٩٩٦م وأسفرت عن سقوط ٢٠٠ ألف قتيل اتهمت وكالة المخابرات الأمريكية (سي آي إيه) التي دعمت الجيش الجواتيمالي بشكل مباشر وغير مباشر.
[جريدة الشرق الأوسط، العدد: (٧٣٩٦)]

مؤهلات الاستقلال

في تيمور الشرقية، لم يستطع المستعمر البرتغالي طوال خمسة عقود أن يؤسس بها أي بنية أساسية، ولم يقوموا بتأهيل سكان الإقليم، إن نسبة الأمية تصل إلى ٩٠٪ إلى جانب أن الأطباء والمهندسين والمدرسين والإداريين الموجودين في تيمور معظمهم من خارج الإقليم، كما أن ميزانية تيمور حوالي ٤٠٠ بليون روبية وأن ما يأتي من ثروات الإقليم يمثل فقط ١٠ ملايين روبية.
[جريدة الشعب، العدد: (١٣٣٧)]

مرصد الأرقام

- كشفت صحيفتا الجارديان والأوبزوفر البريطانية عن إلقاء قوات التحالف

٤٠ طنا من اليورانيوم المشع على العراق أثناء حرب الخليج.
[جريدة الشعب، العدد: (١٣٣٠)]

- كان من فاتورة حرب الخليج أن حصلت الولايات المتحدة على مبلغ ٥٤ بليون دولار، وكانت تكاليفها في الحرب ٣١ بليونا أي أنها ربحت ٢٣ بليون دولار، وجمعت الحكومة البريطانية ٦ بلايين دولار ولم تزد تكلفتها عن ثلاثة بلايين، وحصلت تركيا على ثلاثة بلايين، كما حصلت إسرائيل على بليون دولار لضحايا صواريخ سكود، إضافة إلى عشرة بلايين كتسهيلات.
[مجلة روز اليوسف، العدد: (٣٦٨٣)]

- في بداية عام ١٩٩٢م كان حجم التبادل التجاري بين مصر وإسرائيل مليارا و٦٠٠ ألف جنيه، ثم انخفض إلى ٦٧٧. ٧ مليون جنيه في عام ١٩٩٦م، ثم ارتفع مع وصول نتنياهو إلى مليار و ٢٧٠ ألف جنيه.
[مجلة روز اليوسف، العدد: (٣٦٨٣)]

- خلف العنف الذي يضرب الجزائر ١٨٠ ألف يتيم و ١٤٧ ألف طفل غير شرعي.
[الشرق الأوسط، العدد: (٧٤١٤)]

- ارتفعت نسبة البطالة في الأسواق العربية لتصل ١٤٪ وهو ما يعني وجود ١٢ مليون عاطل عن العمل في الدول العربية، وتقدر الخسائر الناتجة عن ذلك بنحو ١١٥ مليار دولار سنويا.
[جريدة الخليج، العدد: (٧٢١٩)]

- انكشف في عام ١٩٩٨م استحواذ (٣٥٠) ملياردير دولاريا عالميا وحدهم على دخول ٤٥٪ من سكان العالم.

[جريدة الشعب، العدد: (١٣٢٧)]

موجز المرصد

اعترف ألكسندر لوكا شينكو رئيس روسيا البيضاء بأن بلاده ارتكبت خطأ كبيرا عندما تخلت عن أسلحتها النووية.

[مجلة المشاهد السياسي، العدد: (٢١٥٧)]

قامت بلدية إسرائيلية بتحويل مسجد في قرية مجدل عسقلان إلى (مطعم وبار) .

[جريدة الشرق الأوسط، العدد: (٧٢٢٤)]

قامت السفارة الإسرائيلية في عمان بتوزيع ما تسميه دراسات ووثائق تمعن في الإساءة إلى العقيدة الإسلامية والقرآن الكريم والنبي محمد –صلى الله عليه وسلم–.

[مجلة الإصلاح، العدد: (٤٠٣)]

لم تجد شركة دعاية إسرائيلية سوى نداء (الله أكبر) للترويج لموقع لها على شبكة الإنترنت ينشر منتديات القمار ومواقع الجنس.

[جريدة الحياة، العدد: (١٣١٤٧)]

اعتبرت محكمة فيدرالية أمريكية أن سياسة منع اللحى التي تعتمدها الشرطة في ولاية نيوجرسي، عملا تحيزيا مخالفا لحرية التعبير.

[جريدة الحياة، العدد: (١٣١٤٧)]

قال الرئيس التركي سليمان ديميريل: إن أنقرة لا يمكن أن تقبل الضربات الأمريكية في شمال العراق ... التي أدت إلى إغلاق خط أنابيب النفط الخام من العراق إلى تركيا.

[جريدة الشرق الأوسط، العدد: (٧٤٠١)]

سمحت وزارة الداخلية الإيرانية بإحياء عيد النار، وهو من طقوس الديانة الزرادشتية.

[جريدة الأنباء، العدد: (٨١٩٨)]

أفادت دراسة أوروبية نشرت في ستراسبورغ، أن أمرأة من كل خمس نساء تقع ضحية أعمال عنف في دول مجلس أوروبا الأربعين، وأن ٩٠٪ من أعمال العنف ترتكب من قبل أفراد العائلة أو أقرباء.

[جريدة الشرق الأوسط، العدد: (٧٤٠٣)]

غادر مئة مهندس وعامل من قاعدة عسكرية تابعة للصرب، غادروا إلى ليبيا لصيانة سفن حربية وغواصة ليبية.

[جريدة الحياة، العدد: (١٣١٠٧)]". (١)

٢٢. ٢٣-"الإسلام لعصرنا

السلام وانتشار الإسلام

أ. د. جعفر شيخ إدريس

رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة

وقع رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفاقية صلح الحديبية مع قريش بمكة ثم قفل راجعا مع أصحابه إلى المدينة، وبينما هم في الطريق إذ نزلت عليه صلى الله عليه وسلم سورة الفتح: [إنا فتحنا لك فتحا مبينا] [الفتح: ١] .

سأله رجل مستغربا: يا رسول الله، أو فتح هو؟

فأجابه صلى الله عليه وسلم مؤكدا: إي، والذي نفسي بيده إنه لفتح [١] .

---

(١) مجلة البيان ١٣٧/١١٠

لماذا سأل الرجل (وهو عمر) هذا السؤال مستغربا؟

وأي فتح كان فتح الحديبية؟

وهل فيه من عبرة لنا في أيامنا هذه؟

أما استغراب عمر فلأن الصلح في ظاهره لم يكن في مصلحة المسلمين؛ فهم قد منعوا من أداء العمرة، ولم يقاتلوا، وكان في الصلح بنود ظنها بعض الصحابة مجحفة بهم؛ منها: (على أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا) [٢] .

وأما نوع الفتح فيفسره قول الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم من فتح الحديبية، إنما كان القتال حيث التقى الناس. ولما كانت الهدنة، ووضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس كلم بعضهم بعضا، والتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، ولم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا في تلك المدة إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر [٣] .

قال ابن حجر مؤيدا الزهري: فإن الناس لأجل الأمن الذي وقع بينهم اختلط بعضهم ببعض من غير نكير، وأسمع المسلمون المشركين القرآن، وناظروهم على الإسلام، جهرة آمنين، وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك إلا خفية [٤] .

وقال ابن هشام أيضا مؤيدا للزهري: ويدل عليه أنه صلى الله عليه وسلم خرج في الحديبية في ألف وأربعمائة، ثم خرج بعد سنتين إلى فتح مكة في عشرة آلاف [٥] .

نستخلص من كلام هؤلاء العلماء الثلاثة أن الفتح تمثل أساسا في كثرة عدد من دخلوا في الإسلام بسبب الصلح.

ونستخلص منه أيضا أن السبب في ذلك كان السلام الذي حل محل الحرب والقتال، وأن هذا الجو السلمي أدى إلى أن يختلط الناس بعضهم ببعض من غير نكير، وإلى أن يسمع المسلمون المشركين دعوة الإسلام، وأن يجادلوهم ويناظروهم في جو آمن، وأن هذه الدعوة السلمية هي التي كانت سببا في إقناع كل العقلاء بالدخول في الإسلام.

ما مناسبة هذا لواقعنا؟

مناسبته أن الدعاة إذا وجدوا أنفسهم في حال كهذه الحال فينبغي عليهم أن يحافظوا عليها، بل ينبغي عليهم أن يسعوا لأن تكون حالهم مع من يدعوهم مثل هذه الحال، وأن يبينوا لهم بإخلاص أن القتال والعنف ليس هدفا من أهدافهم، بل إن كل ما يريدونه هو أن يعطوا حرية الدعوة إلى دين يرونه حقا ويرون فيه مصلحة للمدعوين دينية ودنيوية. وهم حين يفعلون هذا سيكونون مقتفين سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، انظر إلى الكلمات الرقيقة الحازمة التي خاطب بها قريشا، والتي كانت من أسباب عقد الهدنة، قال لهم صلى الله عليه وسلم: (إنا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم؛ فإن شاؤوا ماددناهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره) [٦] .

يبدو لي أن الحال في كثير من البلاد الديمقراطية ولا سيما الغربية شبيه إلى حد كبير بحال المسلمين مع المشركين في سنتي الهدنة، فهي حال يستطيع فيها الدعاة الاختلاط بغير المسلمين، ودعوتهم ومجادلتهم؛ بل قد **ثبت بالتجربة** في بلد كالولايات المتحدة أن عدد الداخلين في الإسلام في ازدياد مطرد بسبب هذا الجو السلمي.

وعلى الدعاة في تلك البلاد إذن أن يحافظوا على هذا الجو السلمي حتى لو كانوا في مثل قوة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين عقدوا صلح الحديبية، فكيف وهم في حال ضعف؟

إن أكثر ما يحرص عليه أعداء الإسلام في الغرب هو أن يصوروا المسلمين على أنهم وحوش إرهابية لا غاية لها إلا تحطيم الحضارة الغربية، وقد استغلوا وسائل الإعلام لإبراز هذه الصورة للمسلمين ونجحوا في ذلك إلى حد ما. ولا يفرح هؤلاء بشيء فرحهم بتصريحات يطلقها إنسان أهوج يدعو فيها إلى العنف أو القتال في داخل تلك البلاد؛ لأنها تصدق دعواهم تلك، وتساعد على تنفير الناس من

الدعاة المسلمين؛ لأنهم يعلمون أن الذي يرى فيك خطرا على نفسه وأهله لن يستمع إليك ولن يثق فيما تقول.

كنت في الولايات المتحدة أيام حادثة (أوكلاهوما) ولمست الذعر الذي عاشه المسلمون ولا سيما رواد المساجد منهم حين طلع بعض أولئك الأعداء المسمون بالخبراء ليقول في بعض وسائل الإعلام: إن الفعلة فعلة مسلمين، ورأيت كيف تنفسوا الصعداء حين تبين أن الجناة ليسوا من المسلمين.

وهذا أمر طبعي؛ فإن الأقلية المسلمة بين الكثرة الكافرة الحاكمة مستضعفة؛ فلا يناسبها أن تقاتلهم وهي تحت سلطانهم، وربما كان هذا هو السبب في نهي المسلمين عن مقاتلة الكفار حين كانوا بمكة. لقد أمروا آنذاك بأن يكفوا أيديهم ويقيموا الصلاة، فلما هاجروا وتميزوا وصارت لهم أرضهم أذن لهم في القتال ثم أمروا به.

ومما يوجب الحرص على هذا الجو السلمي المساعد على نشر الإسلام في الغرب أنه في تقديري لن يدوم. إن الدول الديمقراطية تبيح الحرية ما دام المخالفون أقلية لا خطر منها على العلمانية، أما إذا نما عددهم ورأوا فيه تهديدا للنظام العلماني فإنهم قطعا سيضحون بالديمقراطية من أجل المحافظة على العلمانية.

إنني أعلم أن هذا موضوع حساس من السهل أن يساء فهمه، فدعوني أؤكد أنني لا أريد أن أقول ولا أن ألمح إلى أن كل معاهدة صلح فهي حديبية؛ بل إن بعضها انهزامي لا يأتي بخير، ولا أريد كذلك أن أدعو إلى إلغاء الجهاد أو أدعو إلى سلم مطلق مهما كانت الظروف. إن الإسلام دين واقعي ليس ولا يمكن أن يكون استسلاميا لا مجال فيه لقتال. لكن الذي أريد أن أؤكده هو أن للقتال ظروفه كما أن للسلم ظروفه، فإذا كفى الله المؤمنين القتال بحال سلم ينتشر فيها الإسلام فمن الواجب اختيارها والمحافظة عليها والتركيز على الدعوة بالكلمة والقدوة. قال تعالى: [ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين] [النحل: ١٢٥] .

قال الإمام القرطبي معلقا على هذه الآية الكريمة: وقد قيل إن من أمكنت معه

هذه الأحوال من الكفار ورجي إيمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة. والله أعلم.

وهذا الذي قيل هو الصواب؛ لأن الغاية الأسمى التي ينشدها الداعية المسلم هي أن يجعله الله سببا لهداية الناس لا قتلهم؛ فها هو صلى الله عليه وسلم ينصح عليا رضي الله عنه بقوله: (فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم) [٧] . قال له صلى الله عليه وسلم ذلك وقد أعطاه الراية موجها إياه إلى خيبر ليبين أن القتال ليس شيئا مرغوبا في ذاته؛ لكنه قد يكون وسيلة لا مندوحة عنها لرد الظلم، سواء كان ظلما واقعا على بشر، أو ظلما متمثلا في الوقوف في طريق إيصال الدعوة إلى الناس، فإذا لم يكن هذا ولا ذاك؛ بل كان هنالك استعداد للاستماع والمجادلة والمناظرة فلا يلجأ إلى القتال، ولا سيما في ظروف كتلك التي يكون فيها الدعاة تحت سلطان الكفار.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

---

(١) فتح الباري، المغازي، الحديبية/ج٧، ص٥٥٠، ط دار السلام.

(٢) فتح الباري، الشروط، الشروط في الجهاد، ج٥، ص ٤٢١.

(٣) فتح الباري، المغازي، الحديبية، ج٧، ص ٥٥٠.

(٤) فتح الباري، الشروط، الشروط في الجهاد، ج٥، ص ٤٢٧.

(٥) فتح الباري، المغازي، الحديبية، ج٧، ص ٥٥٠.

(٦) البخاري، الشروط، الشروط في الجهاد.

(٧) البخاري، المناقب، ٣٤٢٥.". (١)

٢٣. ٢٤-"بأقلامهن

وماذا تريد المرأة من نفسها؟ !

رزان بنت سعد آل يحيى

إن المرأة وأنا واحدة من هذا الجنس تقرع قلبها قبضة الاضطراب والخوف

---

(١) مجلة البيان ١٣٨/٦٠

وهي ترى الحرب الضروس تطحن أخوات لها كن من السرعة حينما سقطن في شراكها، ويتزايد نبض فؤادها بتزايد الطروحات التي تنادي بسفور المرأة واسترجالها واقتحامها ميادين الشقاء تحت شعارات شتى براقة اللفظ ضخمة والمعنى، سقيمة المقصد بعيدة المرمى.

وفي الوقت الذي لم يأل دعاة تغريب المرأة جهدا في النيل من ثوابت الأمة والسعي لنخر قيمها وتهشيم مثلها وفق خطط مرسومة، في الوقت نفسه كان ما لدى كثير من النساء من الأهداف والطموحات والقناعات السامية القدر الضئيل! !

إنه من المؤسف ألا يكون لامرأة حازت مستوى تعليميا جيدا أهداف واضحة.

المرأة المعاصرة (في الجملة) ليست مشكلتها في ماهية الأهداف فحسب، بل في وضوح تلك الأهداف، إنه من الندرة بمكان من يمتلكن أهدافا واضحة، وإذا كان فلا يوجد في بعض المجتمعات من يعمل لهدف واضح إلا نسبة ٣٪، والذين يكتبون أهدافهم أقل من ١٪، فما نسبة النساء من بينهم؟ !

إن الضبابية التي غشت نظرة المرأة في أهدافها شتتت فكرها وشتتت رؤاها؛ ولكنها لا تدري ما السعادة التي تحن إليها؟ ولا أين مظان الأنس وراحة الصدر اللذين ترومهما؟ هي تتطلع للتميز ولو كان عن طريق موضة ساذجة أو صرخة مبتدعة، ومرة تستشرف الكمال الذي لم تتحدد معالمه لديها بعد.

فماذا تريد المرأة من نفسها؟ !

لا أظن شيئا أخطر على الإنسان من نفسه؛ فهو إنما يؤتى من قبلها بتفريطه في معالي الأمور تارة، وازوراره عن المبادرات تارة، وفتوره عن العمل تارة، وامتطائه للسلبية تارة، وتحقيره للعظائم، وتضخيمه للصغائر، وركونه للأحلام والتخيلات تارات أخرى.

لم أرد بهذا الطرح كشف عيوبنا معشر نساء المسلمين ولا تعميم الحكم على بعض الأخوات من جنسي؛ لكني أخاف على أخواتي أن يصيبهن ما أصابني عند قراءة ملف (ماذا يريدون من المرأة؟) الذي نشرته مشكورة مجلة البيان؛ فقد بدأ يداخلني وأنا أقرأ هذا العنوان وأتملى ما كتب فيه أن ما أصاب بعض النساء من

انحراف في السلوك وضعف في الاهتمامات ما كان سببه الخطوات (المقننة) التي حاكتها أصابع لفيف من المستغربين من العلمانيين واليساريين والشهوانيين فقط، دون تحميل المرأة ذاتها مسؤولية ما كان وما سيكون، ودون محاولة إلقاء الضوء على جهودنا الدعوية القاصرة؛ إذ كدنا ننسى مع موجة (اتهام الآخر) أن ما قدمناه للمرأة في ميزان الأعمال الناجحة ضئيل للغاية؛ ولذلك رغبت في التنبيه على أن المرأة نفسها بسبب أنها قد تجهل الغاية التي خلقت من أجلها، والطبيعة التي فطرت عليها، والمقاصد السامية التي رسمت لها بسبب ذلك: لم تدر ماذا يراد منها ولا ماذا يراد لها، ولا ماذا تريد هي من نفسها؟ ! فحينا تنتابها رغبة جامحة لأمر ما فتنسى عقلها، أو تفيض عاطفتها بشيء يعصف بضده فتعيش أمواجا متلاطمة تظن أنها تفتت الصخر، وإنما هي جعجعة بلا طحن.

ولم يكن هذا الذي تعيشه المرأة إفرازا فطريا بحتا، أو نشاطا تغريبيا فجا، أو تعمية إعلامية فنية؛ إنما كان نتيجة حتمية لواقع العمل الدعوي النسائي، وصورة عكسية للجهود الفاترة في صفوف الفتيات، وهذا فيما أظن لا يتحمله الرجال وحدهم؛ فإن ما قدمه الرجال ويقدمونه لن يؤثر في النساء بالدرجة الفعلية ما لم يكن فيهن من يترجم الأفكار إلى اللغة التي تفهمها المرأة، ويلامس عاطفتها ويفهم نفسيتها وفق القواعد الشرعية المعتبرة.

وهذه طائفة من العناصر أرى أن في إشهارها مشاركة في رسم مشروع استدراك بناء المرأة؛ حيث تمر المرأة بصعوبات في الدعوة والتربية ما أيسر تخطيها على من وفقها الله. ومن أهم هذه الصعوبات:

١ – أن تجربة المرأة في الدعوة إلى الله وفق الأساليب المعاصرة جديدة تفتقر إلى التعرف على التجارب السابقة؛ ونظرا لأن كثيرا منها تجارب لم يتحدد الحكم الشرعي فيها بعد، أو كانت تجارب رجالية؛ فإن تواصل المرأة مع الرجل من غير محارمها يتعرض لحساسيات شرعية جديرة بالبحث عن علاج.

٢ – وحينما تكون المحاضن التربوية التي تقوم على العناية بالمرأة نادرة يتضح مدى حجم المعاناة التي تعانيها الداعية أو من تحمل هم الإصلاح.

٣ – يزيد المعاناة قلة الوسائل الإعلامية ذات الطابع المحافظ التي تعنى بالمرأة باعتبارها ذات رسالة وهدف ساميين.

٤ – ورابع الصعوبات أن المرأة ذات طبيعة خاصة؛ فالأصل في حقها القرار في البيت، واشتغالها بمصالح المنزل والزوج والأولاد، وقد يضاف إلى ذلك انشغالها بأعباء الوظيفة المناسبة لها ولفطرتها.

٥ – يزيد الأمر سوءا تعلق نفوس بعض النسوة بالموضة وتتبعهن لها، أو تطلع بعضهن إلى مجاراة بعض أخواتهن في شكليات لا ترقى أن تزاحم قناعات يفترض رسوخها.

٦ – من الصعوبات أيضا حساسية بعض الداعيات المفرطة من النقد، وغلبة الحياء والخجل.

٧ – الشعور باليأس في مقابلة السيل الهادر من الغزو الموجه، وتعدد صور الانحراف السافر.

٨ – عدم استشعار حجم التغريب الموجه؛ بعدم الاطلاع على وسائله ومخرجاته.

٩ – قلة المعين والناصر والموجه، وبخاصة أقرب الناس لها كالزوج أو الأب أو الأخ.

هذا وإن من العوامل المؤثرة في تصحيح الوضع الراهن ما يلي:

١ – إيجاد معهد لتخريج الداعيات تتولاه وزارات الشؤون الإسلامية [*] أو رئاسة تعليم البنات، أو المؤسسات الخيرية ذات الاهتمام بالمرأة وشؤون الأسرة.

٢ – تطوير الدور النسائية لتحفيظ القرآن الكريم، وتعميمها في شتى بلاد المسلمين، وتوسيع دائرة المستفيدات منها، وتصحيح مفهوم قصرها على حفظ القرآن الكريم دون التأثر به والتدريب على العمل بما فيه، وخدمتها إعلاميا، وإقناع الناس بأثرها على بناتهم.

٣ – أهمية قيام مراكز الدعوة بتخصيص قسم مميز يهتم بالمرأة وقضاياها، ولا يكون مجرد مكتب للخادمات ونساء الجاليات! ! ويراعى في إعداده وتصميمه

الأحكام الشرعية، والجوانب التي تهتم بها المرأة.

٤ –كفالة الداعيات أسوة بالدعاة، وتوفير البديل عن الوظائف الرسمية، لتحقيق التفرغ.

٥ – إبراز جهود العاملات في حقل الشؤون الدعوية والتربوية التي تشارك في توجيه الداعيات والمبتدئات منهن، وتعمل على فتح آفاقهن عن طريق الهاتف، والهاتف المجاني.

٦ – تكثيف البرامج الترغيبية في مشاركة المرأة في الدعوة.

٧ – تكثيف المدارس الصيفية للطالبات التي يتولى الإشراف عليها نخبة من أهل العلم والدين.

٨ – على مراكز التسجيلات الإسلامية توفير الإصدارات السمعية والمرئية الدعوية والتربوية الموجهة للمرأة والأسرة والعناية بها بشكل يرغب في اقتنائها.

٩ – الاهتمام بالفتيات في المرحلة العمرية (١٥ ٢٥) ؛ فالمرحلة العمرية التي يمررن فيها منعطف خطر.

١٠ – إصدار مجلات إسلامية، واستكتاب النساء بأسمائهن الصريحة فما دام أن ما يكتبنه خيرا فلماذا يتحفظ على الأسماء بلا مسوغ.

١١ – العمل على تطوير قدرات النساء متوسطات المحافظة وعاليات المحافظة للوصول إلى درجة الداعيات الفاعلات.

إلى غير ذلك من المقترحات التي من شأنها تعريف المرأة بماذا تريد من نفسها؟ فتعمل على رسم أهدافها وإيضاحها لها، وتنتفع بها في توسيع مداركها وترقية اهتماماتها، ويصبح لديها من الإيمان بالمنهج الذي فطرها الله عليه ما يبعثر الأطروحات العلمانية، ويكشف عوارها، ويفضح مغالطة المتأثرين بها، والله أعلم وأحكم وهو الهادي إلى سواء السبيل.

(*) الألفاظ التالية (تتولاه.. على) ليست على جهة الأمر باعتباره أمرا لكن **ثبت بالتجربة** الحية

أن الأفكار التي تبنى للمجهول ولا تسند لجهة ما يكون مصير تنفيذها عالم المجهول، وقد تركت

بالفعل إسناد بعض الأفكار؛ لأن من يمكنه فعل ذلك كثير؛ فتركت الإسناد لكثرة من يجب عليهم.". (١)

٢٤. ٢٥-"مواجهة المخطط الإفسادي في بلدان المسلمين

عبد العزيز بن ناصر الجليل

لا يخفى ما تمر به بلدان المسلمين من تغيرات خطيرة وسريعة؛ وذلك ضمن مخطط إفسادي كبير على العقيدة، والشريعة، والأخلاق، والمرأة، والاقتصاد؛ ظهرت بعض آثاره اليوم على حياة الناس في بيوتهم، ومدارسهم، ومجتمعاتهم، وأموالهم، وأخلاقهم، وبعضها في الطريق إلى التنفيذ.

ومشاركة مع إخواني الدعاة الذين أقلقهم هذا الخطر وراحوا يبحثون عن كل ما من شأنه مدافعته وصده عن المسلمين أكتب هذه الخواطر السريعة التي كانت محل تفكير وحوار، والتي أحسبها تسهم في إيجاد مشروع تحصيني وقائي لأسرنا ومجتمعاتنا أمام هذا الخطر الداهم، أسأل الله ـ عز وجل ـ أن يلهمنا صحة الفهم وحسن القصد.

فأقول وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم:

يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ [البقرة: ٢٥١] ، ويقول ـ عز وجل ـ: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين﴾ [هود: ١١٦] ، ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ .

[آل عمران: ١٠٤]

ويقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر أو ليعمنكم الله بعقاب» .

---

(١) مجلة البيان ١٣٤/١٥٩

وإنفاذا لهذه التوجيهات الإلهية والنبوية يجب على أهل الغيرة والإصلاح أن ينفروا لمدافعة هذه المخططات الإفسادية وصدها عن المسلمين قدر المستطاع، وأرى أن تتم هذه المدافعة عبر جبهتين رئيستين:

- الجبهة الأولى: الاحتساب:

ويكون ذلك بالإنكار المباشر لمظاهر الفساد منذ بدايتها أو السماع بالتخطيط لها؛ وذلك بمناصحة الأشخاص المنظرين أو المنفذين لها، والإنكار عليهم شفاها، ومكاتبة؛ ومخاطبة أهل الحل والعقد في البلد وإظهار الامتعاض والإنكار؛ وهذا أمر يجب أن ينفر له طائفة معينة وهم أهل العلم من المشائخ والقضاة وطلبة العلم والوجهاء. وذلك يتطلب تعاونا وتشاورا بين أهل العلم في كل مدينة، وأن يكون هناك مجالس وتوزيع للأدوار والجهود. كما يتطلب جهات مساندة تهيئ لهم المعلومات والوثائق وحصر ما يجد من منكرات ومعلومات وترتيبها وتنظيمها، وأحسب أن هذه الجبهة قائمة الآن ولا تزال في مراحلها الأولى ولكنها بحمد الله ـ تعالى ـ في تطور وتوسع.

- الجبهة الثانية: التحصين والوقاية للمجتمع من الفساد:

وأحسب أنه لا زال هناك تقصير شديد في هذه الجبهة مع أن الثمار المرجوة منها كثيرة جدا، واستجابة الناس لها كبيرة والحمد لله. ولا يعني هذا التقليل من جهود القائمين ـ حاشا لله ـ فهم تاج الرؤوس، وأعمالهم لن تضيع عند الله عز وجل إن شاء الله تعالى، وحسبهم أن يفوزوا بالإعذار عند ربهم ـ إن شاء الله تعالى ـ وإبراء الذمة إذا حوسبت الذمم، مع ما تثمره جهودهم من مراغمة أهل الفساد، والتخفيف أو التأخير لبعض المنكرات، وإنما المقصود أن لا تنسى جبهة التحصين والوقاية التي قد تكون أكثر ثمرة وآثارا؛ وبخاصة أن المتحركين من المصلحين في الجبهة الثانية يمتلكون وسائل كثيرة ومجالات متعددة في مخاطبة الناس وتحذيرهم وتحصينهم لا يملكها غيرهم، ولو وظفت التوظيف الصحيح وتضافر الغيورون والمصلحون في تنفيذها، وتوزعت الأدوار فيها لكان لها نتائج باهرة تحبط على المفسدين أهدافهم وترد كيدهم في نحورهم.

وفي هذه الورقة بعض المقترحات في تفعيل دور هذه الجبهة وكيفية الاستفادة من الوسائل الكبيرة المتاحة في مخاطبة المجتمع وتوجيه الناس.

ومن نافلة القول أن نشبه سيل الفساد المسلط على مجتمعات المسلمين وتنوع الناس في مقاومته بسيل جارف ينتهي إلى إغراق أراض وعمران ودور؛ وأصحابها يعلمون أنه سيخرب دورهم ومزارعهم وأموالهم، فانقسموا إلى فرقتين:

الأولى: فرقة رأت أن لا خلاص من خطر هذا السيل إلا بأن يهب الجميع في قطعه من منبعه وأصله، فلم يتمكنوا من قطعه ومنعه، وأبت طبيعة السيل وقوته عليهم ذلك؛ فكلما سدوه من موضع نبع من موضع آخر، وانشغل أهل القرية بشأن هذا الوادي عن الزراعات والعمارات وغرس الأشجار وتحصين البيوت. ويمكن أن يكون في عمل هذه الفرقة تخفيف لشدة السيل أو سد لبعض منابعه، لكن لا يمنعه عن بيوت الناس وممتلكاتهم.

الثانية: رأت أن صرف الجهود كلها في عمل الفرقة الأولى قد أضاع عليهم كثيرا من المصالح ولم يستطيعوا منع السيل، فاتجهوا إلى بيوتهم في تقويم أسسها وقواعدها ورفع أسوارها عن مجرى السيل، كما اتجهوا إلى صرف سيل الوادي عن مجراه المنتهي إلى البيوت والعمران؛ وذلك بتحذير الناس من شره القادم، وبتوجيه الناس إلى أن يحصنوا بيوتهم من هذا السيل، وبتضافر الجميع على صرفه عن بيوتهم وعمرانهم إلى الرمال المحيطة بهم أو السبخات أو الحفر التي يجد السيل فيها مصرفا له يضيع فيه ويتفرق.

والمقصود من إيراد هذا المثال التأكيد على أهمية العمل في جبهة التحصين والوقاية للناس والمجتمعات من سبل الفساد الموجهة إليهم، وأن يعطى حقه من الاهتمام مع بذل الجهد من أهل العلم في الجبهة الأولى؛ وذلك بالاحتساب على المفسدين ولو للتخفيف أو التأخير، وأهم من ذلك إبراء الذمة والإعذار إلى الله عز وجل. والمقصود توزيع الأدوار وأن لا ينشغل الدعاة بجبهة عن جبهة.

وأسوق فيما يلي ما يحضرني من الوسائل القوية التي يملكها المصلحون من الدعاة وطلبة العلم ولا يملكها غيرهم من المفسدين، وكيف يمكن تفعيلها وتنشيطها وتوظيفها.

الوسيلة الأولى: المنابر الدعوية:

ويقصد بها تلك المنابر التي يخاطب فيها فئام من الناس على مختلف شرائحهم، ويحصل من خلالها تحذير الناس ووعظهم، وبيان خطر المنكرات على الفرد والبيت والمجتمع، وبيان ذلك بالفتاوى الشرعية المستندة إلى الأدلة الشرعية.

ويدخل تحت مسمى المنابر الدعوية ما يلي:

أ. خطبة الجمعة:

حيث أثرها العظيم على الناس وما تتميز به من دقة الإنصات من السامعين وتركيزهم على ما يقال فيها، وهذه المنابر نعمة من نعم الله ـ عز وجل ـ على المسلمين، ووسيلة عظيمة الفائدة يمتلكها الدعاة إلى الله ـ عز وجل ـ ولا يملكها المفسدون. وأقترح لتفعيل دور الخطبة واستثمارها في إصلاح الناس وتبغيض الفساد والمنكرات لهم النقاط التالية:

أولا: إيجاد رابطة مستمرة بين الخطباء في كل حي تجتمع في كل أسبوع، وذلك للتنسيق وتبادل الخبرات وتبادل الخطب وتحديد المواضيع المهمة للخطبة وترتيب الأولويات في ذلك. كما يقترح رابطة أوسع للخطباء على مستوى المدينة؛ في كل شهر مرة؛ وذلك لتوسيع دائرة التشاور وتنسيق الجهود.

ثانيا: يتفرغ أناس لجمع الخطب الجيدة القديم منها والجديد والتي يحتاج إليها المجتمع وطبعها وجعلها في متناول الخطباء ليرجعوا إليها في كتابة الخطبة.

ثالثا: يتفرغ أناس لجمع الفتاوى القديمة والجديدة للعلماء والتي يبين فيها أهل العلم الحكم في المنكرات القديمة والجديدة التي تعشش بين المسلمين أو هي في بدايتها؛ وذلك لرفضها من الناس ومقاطعتها وتزويد الخطباء بها لقراءتها على الناس.

رابعا: التعاون مع القائمين على إذاعات القرآن بالاقتراح عليهم تسجيل بعض الخطب المهمة التي يتفق عليها سلفا لتذاع على الناس وتكرر عليهم.

خامسا: طبع الخطب الجيدة والمهمة في رسائل صغيرة وتوزيعها مجانا أو بيعها بسعر رمزي.

سادسا: الحرص من محلات التسجيلات على تسجيل الخطب المهمة ونشرها بين الناس، وأن يصاحب ذلك تغطية من الدعاية الجيدة والتسويق القوي.

سابعا: يفعل دور أئمة المساجد وحلقات التحفيظ في توزيع أشرطه الخطباء الجيدة على بيوت الحي.

ب ـ الدروس والمحاضرات والجولات الوعظية:

وهذه من الوسائل المهمة التي لو رتبت مواضيعها وأماكنها وأوقاتها لظهر لها وقع عظيم في تحصين الناس ووقايتهم من الفساد، وهي ـ والحمد لله ـ كثيرة ومنتشرة، ولكنها تحتاج إلى

تفعيل وتنشيط وتنظيم لكي يكون أثرها أكبر مما هي عليه الآن. ومن الوسائل المقترحة لتفعيلها ما يلي.

أولا: اختيار المواضيع المهمة للمحاضرات والدروس، أو توظيف الدروس في مخاطبة الناس ووعظهم وتحذيرهم من المنكرات سواء كان ذلك عندما تأتي مناسبة في الدرس أو تخصيص آخر الوقت في الدروس للحديث عن المنكرات والتحذير منها، أو أن تعد أسئلة مهمة تطرح على الشيخ ليجيب عليها في نهاية الدرس، ويركز على مظاهر الفساد والموقف منها.

ثانيا: تحريك بعض طلبة العلم المؤثرين بما عندهم من العلم والديانة والبلاغة في أن يشاركوا وينفروا في هذه السبيل، وأن يعيدوا النظر في سلبيتهم بحجة الورع البارد.

ثالثا: التنسيق مع إذاعات القرآن والقنوات الإسلامية لنقل الدروس والمحاضرات المهمة فيها.

رابعا: مساعدة المحاضر في جمع المادة العلمية والفتاوى المهمة التي يستخدمها في إقناع الناس برفض الفساد وتحريمه ومقاطعته.

خامسا: قيام محلات التسجيل بتسجيل مثل هذه الدروس والمحاضرات المهمة والدعاية لها وتسويقها بين الناس.

سادسا: نشر هذه المحاضرات في بيوت الحي عن طريق مساجد الحي وحلقات التحفيظ ودعمهم ماديا.

سابعا: يحسن أن يكون هناك رابط أسبوعي أو شهري بين طلبة العلم الذين يقومون بالدروس والمحاضرات للتنسيق بينهم والتشاور في المواضيع المطروحة.

ج ـ الاستفادة من إذاعات القرآن والقنوات الإسلامية:

وميزة هذه الوسائل الإعلامية أنها تخاطب الفئات الكبيرة من الناس؛ لذا صارت من أهم الوسائل التي ينبغي أن يعتني بها الدعاة الى الله ـ عز وجل ـ واستثمارها في توجيه الناس وتحصينهم وتحذيرهم من الفساد الموجه لهم، ورد شبهات المفسدين. ومن أوجه الأستفادة من هذه المنابر ما يلي:

١ ـ ما يكون فيها من برامج الإفتاء، ويحسن أن توظف هذه البرامج في تحذير الناس من صور الفساد المسلطة عليهم، وبيان الحكم الشرعي فيها، والتركيز على هذا النوع من الفتاوى.

٢ ـ تقديم الدروس العلمية المسيرة التي توعي الناس بدينهم (في التفسير والعقيدة والفقه

والآداب) وترفع عنهم اللبس والتضليل.

٣ ـ إجراء المقابلات والندوات والحوارات في القضايا التي تحذر المسلمين مما يراد بهم من الفساد والشر، والرد على الشبهات وفضح أهلها.

٤ ـ ولتفعيل دور هذه المنابر يحث أهل القدرات الإعلامية من الدعاة للدخول فيها والتعاون مع القائمين عليها في تهيئة البرامج وتقديم المواد التي تحقق الأهداف.

٥ ـ نقل الخطب والدروس والدورات العلمية الشرعية التي تعقد في المساجد.

الوسيلة الثانية: إحياء اللقاءات الأسرية ودوريات الأحياء (١) :

حيث **ثبت بالتجربة** عظيم فائدتها في تأليف القلوب والتعاون على الخير، والتحذير من الفساد والمنكرات. ولو أن أهل الاستقامة في كل أسرة وكل حي ـ وهم كثير والحمد لله ـ كونوا هذه الروابط واللقاءات واستثمروها في وقاية الأسر والجيران نساء ورجالا من شر الفساد والمنكرات لكان لها الأثر العظيم. ومن الأعمال الخيرة التي تقوم بها هذه الروابط واللقاءات ما يلي:

١ ـ توزيع الأشرطة والكتيبات التي تنشر الفضيلة وتحارب الرذيلة.

٢ ـ توزيع الفتاوى التي تبين حرمة ما جد في حياة المسلمين من منكرات البيوت.

٣ ـ إقامة المسابقات الهادفة التي تنبه السامعين إلى أمور شرعية قد يجهلونها أو يغفلون عنها.

٤ ـ استضافة بعض طلبة العلم المؤثرين ليتحدثوا عن بعض المنكرات وضرورة إنكارها وتحصين البيوت وتربية الأولاد والنشء على حب الفضيلة وبغض الفساد والرذيلة.

٥ ـ العناية بشؤون المرأة وتوعيتها بأحكام الإسلام، وتحذيرها من منكرات اللباس والزينة وما يراد لها من إخراجها واختلاطها بالرجال. ويمكن أن تنشأ روابط نسائية في الأسرة تتولى المستقيمات في كل أسرة تحقيق هذه الأهداف بما سبق من الوسائل.

٦ ـ مراقبة الحي وما فيه من المنكرات والتعاون مع الهيئات لإزالتها.

الوسيلة الثالثة: أئمة المساجد:

لا يخفى دور إمام المسجد في نشاط المسجد ونشاط الحي الذي فيه المسجد؛ وهذا ملموس من بعض الأئمة الناشطين. فلو أن إمام كل مسجد قام بدوره في جماعة الحي لكان في ذلك خير عظيم، وسد منيع. ومن أهم الأنشطة التي يقوم بها إمام المسجد ما يلي:

١ ـ القراءة على جماعة المسجد في الكتب والفتاوى التي تحذر من الفساد والمنكرات في البيوت أو الأسواق وغيرها.

٢ ـ التعاون مع دورية الحي في دعم أنشطة المسجد وحلقات التحفيظ ومتابعة المنكرات في الحي.

٣ ـ استضافة طلاب العلم ليلقوا كلمات ومحاضرات وفتاوى تدعو الناس إلى الخير وتحصنهم من الفساد وتحذرهم منه.

٤ ـ متابعة المحاضرات والدروس في المساجد الأخرى، وتبليغ جماعة المسجد بها مشافهة أو عن طريق الملصقات الإعلانية.

٥ ـ التعاون مع حلقات التحفيظ في توزيع الكتيبات والأشرطة على منازل أهل الحي.

٦ ـ تفقد الأشخاص الذين لا يصلون مع الجماعة ومناصحتهم بالتعاون مع دورية الحي.

٧ ـ إقناع طلاب العلم من جماعة المسجد على فتح دروس في المسجد سواء كانت لعوام المسلمين أو للطلاب الدارسين.

٨ ـ ولتفعيل دور الإمام في المسجد يحسن تكوين رابطة لأئمة المساجد في الأحياء المتقاربة، والتشاور معهم وتبادل الخبرات في أنشطة هذه المساجد.

٩ ـ الاستفادة من المشرفين على حلقات التحفيظ في تقديم الفتاوى، واقتراح الرسائل المهمة التي تقرأ على جماعة المسجد.

الوسيلة الرابعة: حلقات التحفيظ ومكتبات المساجد:

لا يخفى دور هذه الحلقات المباركة في حفظ أبناء الحي بحفظهم لكتاب الله ـ عز وجل ـ وتربيتهم وتحصينهم من الفساد. ومع ذلك يمكن أن يستفاد من هذه الحلقات ليظهر أثرها في أهل الحي؛ وذلك بالوسائل التالية:

١ ـ توزيع الأشرطة والكتيبات على بيوت الحي.

٢ ـ إعطاء طلاب التحفيظ بعض الأشرطة والفتاوى والكتب لأخذها إلى أهليهم مما من شأنه تحذير البيوت من المنكرات والفساد.

٣ ـ الاهتمام بأولياء أمور طلاب التحفيظ، والاجتماع بهم في دورية شهرية للعناية بأبنائهم، والتناصح معهم في إصلاح البيوت وتطهيرها من الفساد.

الوسيلة الخامسة: مواقع شبكة المعلومات:

وقد برز أثر هذه المواقع في الآونة الأخيرة لما ظهرت المواقع الإسلامية للمشائخ والمؤسسات الإسلامية والمواقع التي تهتم بالمرأة والحسبة. لذا يجب الاهتمام بها وتفعيلها وتقديم المادة المناسبة التي فيها تحذير المسلمين مما يراد بهم من الفساد، وتخصص بعض أهل العلم في تتبع شبهات المفسدين وشهواتهم والرد عليها.

الوسيلة السادسة: المعلمون في المدارس:

المعلم المسلم صاحب الرسالة لا ينظر إلى وظيفته بأنها مصدر للرزق فحسب، وإنما هي من أهم المجالات التي يمكن تربية النشء فيها وتحصينهم من الفساد والمنكرات. كما يمكن التأثير من خلال التعليم على أسر الطلاب وبيوتهم بإيصال بعض الفتاوى والأشرطة عن طريق أبنائهم، وكذلك يستفاد من مجالس الآباء في المناصحة مع أولياء الأمور في التخلص من المنكرات والفساد.

الوسيلة السابعة: الحسبة والاحتساب:

من خصائص هذه الأمة أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. وكلما شاع الاحتساب وأنتشر قل الفساد واندحر المفسدون؛ سواء كان ذلك على يد مراكز الهيئات أو عن طريق المحتسبين؛ لذا ينبغي للدعاة وطلاب العلم والمحاضرين أن يحثوا الناس على مختلف طبقاتهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كل فيما يخصه وحسب علمه وقدرته.

الوسيلة الثامنة: الكتاب والمؤلفون:

إن الإكثار من الكتب والرسائل والمطويات التي تحذر من الفساد وتكشف خطط المفسدين تعتبر من أهم الوسائل التي توعي الأمة وتحذرها من كيد المفسدين وتلبيسهم وتضليلهم؛ وذلك بما يكون في هذه المؤلفات من بيان حكم الله ـ عز وجل ـ في مظاهر الفساد الذي يروج له المفسدون، وكشف سيئاتهم التي يلبسون بها على الناس.

الوسيلة التاسعة: أماكن الانتظار العامة:

وذلك مثل الانتظار في عيادات الأطباء وصرف الدواء في الصيدليات الحكومية ومحلات الحلاقة ومكاتب العقار وما شابهها.

حيث من المفيد تزويد هذه الأماكن بمطويات ورسائل وفتاوى تناسب حاجة الناس وتحذيرهم

وتحصينهم من سبل الفساد.

الوسيلة العاشرة: الدور النسائية لتحفيظ القرآن:

لم يعد خافيا أثر هذه الدور المباركة ـ ولله الحمد ـ في تحصين المرأة المسلمة من كيد أعدائها وتعليمها دينها وتحذيرها من مظاهر الفساد الموجه لها وللأسر المسلمة. والعناية بالمرأة المسلمة له أثر في نفسها كما أن له أثرا كبيرا في إصلاح الأسر والبيوت؛ حيث تنقل المرأة ما تسمع وترى وتقرأ في هذه الدور وما يوزع فيها من أشرطه وكتيبات وفتاوى إلى أسرتها وأولادها. لذا لزم أمر العناية الشديدة بهذه الدور.

الوسيلة الحادية عشرة: رسائل الجوال:

لقد ظهر في الآونة الاخيرة أثر رسائل الجوال في نشر الخير والشر؛ لذا ينبغي توظيفها من قبل المصلحين في نشر الفضيلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدلالة على الكتب والفتاوى والدروس المفيدة، والتحذير من الفساد وتعرية أهله وتبيين المنكرات ودفع الناس لإنكارها.

- تنبيهات مهمة:

الأول: لا بد في الوسائل السابقة من عمل مرتب ومنظم ترتب فيه الأولويات، وتوزع فيه الأدوار، ويجند الآلاف المؤلفة من الصالحين في إحيائه وتنفيذه بتوجيههم واستثمار طاقاتهم ولا يكتفى بالجهود الفردية.

الثاني: لا يقتصر في مخاطبة الناس ببيان الحكم الشرعي في المنكرات وتحذيرهم منها، بل ينبغي أن يتوجه الخطاب إلى القلوب وتقوية العبودية لله ـ عز وجل ـ فيها، والاستسلام لشرعه ـ سبحانه ـ والإذعان والقبول له وتخويفهم من الله ـ عز وجل ـ ومن عذابه، وتقوية محبة الله ـ سبحانه ـ وتعظيمه، والخوف من يوم الحساب والوقوف بين يدي الله تعالى.

الثالث: العناية بالجانب التربوي في أوساط الدعاة وطلبة العلم وأهل الاستقامة من شباب الأمة وفتياتها، والعناية بصحة الفهم والتصورات، وحسن السلوك والأخلاق، وأن لا يكون العمل الاحتسابي والإعلامي سببا في انشغالنا عن العمل التربوي.

الرابع: إعداد جيل إعلامي قوي يجمع بين العلم الشرعي والصمود على الثوابت الشرعية، والبعد عن الضعف والانهزامية والاستجابة لأهواء الناس، وبين الوعي الإعلامي والخبرة

الإعلامية التي تخاطب الناس وتؤثر فيهم وتكسبهم.
أسال الله ـ عز وجل ـ أن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه وليه، ويذل فيه عدوه، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر؛ إنه سميع الدعاء.". (١)

٢٥. ٢٦-"الصومال المقاومة والمستقبل

حسن محمد إبراهيم
انهار نظام المحاكم الإسلامية في الصومال باجتياح القوات الأثيوبية المدعومة أمريكيا للمناطق الجنوبية والوسطى التي كانت تخضع لنفوذها بما في ذلك العاصمة مقديشو، وشمل هذا الانهيار أجهزة المحاكم الإدارية، وميليشياتها العسكرية.
وأيا كانت أسباب الانهيار الداخلية والخارجية فإن الاجتياح الأثيوبي الذي يسنده الغطاء الجوي الأمريكي هو الذي أزال بالفعل نظام المحاكم عن الحكم، وهذا الغزو الأثيوبي الكاسح مفهوم الأسباب والأبعاد كما أشار إلى ذلك أحد رؤساء الدول العربية؛ فأثيوبيا وهي العدو التقليدي للصومال كانت ترى أن عودة الصومال إلى الوجود ككيان موحد وعودة الاستقرار إلى ربوعه سيكون على حسابها، وسيؤدي إلى ظهور العرقيات والأغلبية المسلمة المهمشة في أثيوبيا إلى السطح، وهو مما يؤدي إلى تمزق كيانها المهزوز أصلا، وما كان لها أن تنتظر حتى يستوي الصومال ـ بقيادة المحاكم ـ على سوقه، فكانت هذه الهجمة منها حربا استباقية على غرار الحروب الأمريكية الاستباقية المعاصرة، وقبل ذلك وبعده تحمل أثيوبيا نوايا توسعية بالاستيلاء على الصومال أو جزء منه ليكون منفذا بحريا لأثيوبيا، وهو الهاجس الذي لم يفارق حكام أديس أبابا منذ أمد بعيد، وبذلك نطق حكام أثيوبيا السابقون (منليك) و (هيلاسي لاسي) و (منجيستو هيلا مريم) . ثم لما اشتد الخناق على أديس أبابا بعد انفصال أرتيريا وأصبحت دولة داخلية معزولة اشتد طمعها في السواحل الصومالية التي يزيد طولها عن ٣٠٠٠ كم، لا سيما في هذه الظروف الصعبة التي يمر بها الصومال الذي مزقته الحروب الأهلية. وسبق لأثيوبيا أن عقدت اتفاقية مع نظام (أرض الصومال) في استخدام ميناء بربرة، كما أجرت مثل هذا العقد مع إدارة (بونت لاند) إلا أن ذلك كله لم يهدئ من روع أثيوبيا،

---

(١) مجلة البيان ٢٢٥/٥

بل أسال لعابها وزاد من حرصها على وضع يدها على مرافئ صومالية تكون بديلة عن أرتيريا المستعصية. ومع أن هذه الحرب الأثيوبية كانت تخدم المصالح الأثيوبية بالدرجة الأولى، غير أنها كانت في الحقيقة خدمة مدفوعة الأجر تنفذ لحساب أمريكا التي أزعجها نظام المحاكم الإسلامي.

أما الحكومة الانتقالية العميلة فما كان لها في الأمر ناقة ولا جمل، بل كانت (حصان طروادة) الذي امتطته أثيوبيا لاجتياح الصومال وحسب.

- السيناريوهات المحتملة في المستقبل:

ونوجز فيما يلي بعض (السيناريوهات) المحتملة بعد سيطرة أثيوبيا على المناطق التي كانت تحكمها المحاكم الشرعية ومنها:

أولا: بقاء أثيوبيا قوة محتلة تكرس لبسط سيطرتها على الصومال كله بغية ضمه إلى أثيوبيا لتحقيق الحلم الذي طالما راود حكامها، وإلى مثل هذا أشار نائب رئيس الوزراء في الحكومة الانتقالية (حسين عيديد) المقرب من أثيوبيا؛ حيث ذكر في حديث أدلى به إلى إذاعة الـ (بي بي سي) أنه ـ الحكومة الصومالية الانتقالية ـ ستسعى إلى إزالة الحدود بين البلدين وتوحيد العملة ونظام الجوازات والاقتصاد، وبناء جيش موحد للبلدين.

بيد أن تحقيق هذا الأمر صعب للغاية إن لم نقل باستحالته؛ وذلك لأسباب منها:

| يستحيل أن يرضى الشعب الصومالي بمختلف فئاته بهذا الاحتلال وهو الذي ناضل من قبل لنيل حريته من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا، وتمكن بعد جهد من هزيمة الاستعمار ونيل الاستقلال، وبقاء أثيوبيا لفترة أطول مدعاة لقيام منظمات تحريرية مختلفة المشارب والاتجاهات.

| تعاني أثيوبيا من وضع داخلي صعب لا تحسد عليه؛ وتورطها في حرب طويلة الأمد في الصومال يفاقم من أزمتها الداخلية التي قد تؤدي في نهاية المطاف إلى انهيارها دولة، أو نشوب ثورات داخلية تنتهي بانهيار النظام الحاكم في أحسن الأحوال.

| تعاني أثيوبيا من وضع اقتصادي حرج؛ حيث ذكرت منظمة اليونيسيف قبل عامين تقريبا أن الاقتصاد الأثيوبي تراجع إلى ما كان عليه قبل عشرين عاما، ويقوم النظام الأثيوبي على

الإعانات والصدقات التي يتلقاها من الشرق أو من الغرب، وهو ما يجعل تمويل حرب طويلة الأجل أمرا مستحيلا لا تطيقه دولة فقيرة كأثيوبيا.

ثانيا: انسحاب أثيوبيا بعد قضائها على ما كانت تعتبره عدوها الاستراتيجي وهو التيار الإسلامي وإعادة الفوضى إلى ما كانت عليه الصومال قبل المحاكم، وهذا الخيار مستبعد أثيوبيا؛ لأنه يفسح المجال لعودة الإسلاميين إلى الساحة أقوى من ذي قبل.

ثالثا: الإبقاء على جزء غير يسير من القوات الأثيوبية لضمان مصالحها الاستراتيجية واستخدام القوة إذا لزم الأمر، مع نشر قوات إفريقية إلى جانب القوات الأثيوبية المحتلة لتشريع الاحتلال وذر الرماد في العيون؛ مع تحويل تكاليف الحرب المالية والبشرية إلى الاتحاد الإفريقي بدل انفراد أثيوبيا بكل هذه التبعات، ويبدو أن هذا الخيار هو المفضل لدى أثيوبيا إلا أنه صعب التحقيق، حيث إن اجتماع أديس أبابا الذي عقده الاتحاد الأفريقي في يناير/ كانون الثاني المنصرم في هذا الخصوص، قد باء بالفشل، وهو الأمر الذي يشير إلى أن أثيوبيا ستظل في كل الحالات هي التي تتولى كبر مشروع الاحتلال وتحمل تبعاته.

رابعا: تشكيل حكومة وحدة وطنية؛ وذلك بضم بعض الشخصيات المؤثرة في المجتمع إلى الحكومة الانتقالية، بالإضافة إلى من يسمون أمريكيا بالمعتدلين من عناصر المحاكم، لامتصاص الغضب الشعبي والتستر على الخلل الجوهري الذي تنطوى عليه هذه الحكومة العميلة، وإن كان هذا المنحى هو ما يبدو أن الخطاب الأمريكي يميل إليه، إلا أنه لا يضفي على الحكومة العميلة أي مصداقية، وانسحاب القوات الأثيوبية بعد هذه التشكيلة المرقعة يجعلها عرضة لسهام المقاومة المدعومة شعبيا، وستضطر أثيوبيا إلى البقاء ولو بشكل غير رسمي حتى بعد إعادة تشكيل الحكومة الانتقالية ما لم تجبرها ضربات المقاومة على الانسحاب.

- إمكانية عودة المحاكم لهذه الأسباب:

ولا يعني انهيار المحاكم بوصفها نظاما سياسيا وانفراط عقدها التنظيمي أن الجو بات مهيأ للاحتلال، ولا يعكر صفوه أي منغص، بل إن هناك عقبات كثيرة ومقاومة شعبية صلدة تنتظر الاحتلال الأثيوبي، ويشير إلى ذلك ما يلي:

١ . البنية التحتية التي قامت عليها المحاكم من حيث القوة البشرية لم يصبها كبير أذى، وكان معظمها ينتمي قبل المحاكم إلى تنظيمات إسلامية معروفة، وتعبئتها وإعادة تنظيمها لا يستغرق وقت كبير، إذا عزمت تلك التنظيمات على مقاومة المحتل، وهذا ما تطابقت عليه جميع قناعات الفعاليات الإسلامية في الصومال، وإن لم يكن هناك إلى الآن آلية مشتركة للمقاومة بين هذه المنظمات. بيد أن بعض فصائل المقاومة قد بدأ فعلا إعلان برنامجه، وقام بعمليات منظمة ضد القوات الأثيوبية مثل (الجبهة الإسلامية لمقاومة الاحتلال) المحسوبة على الوسط السلفي، و (حركة المقاومة الشعبية في بلاد الهجرتين) المحسوبة على التيار الإخواني المحلي، والأجواء مرشحة لظهور فصائل أخرى إسلامية ووطنية.

٢ . العداء بين الصومال وأثيوبيا مستحكم وفصوله التاريخية مليئة بأحداث يصعب على الذاكرة الجماعية نسيانها أو تناسيها، والصومالي مهما كان اتجاهه أو مستواه الثقافي محقون بكراهية أثيوبيا، بالإضافة إلى أن أثيوبيا تحتل أرضا صومالية إلى الآن وهي منطقة الصومال الغربي (أوجادين) ، وتحمل في الوقت ذاته نوايا توسعية يدركها كل صومالي، وهو الأمر الذي يجعل الاطمئنان إلى الاحتلال الأثيوبي مستحيلا.

٣ . يدرك جميع الصوماليين أن الحكومة الانتقالية التي مهدت الطريق للاحتلال الأثيوبي لا تملك من الأمر شيئا، وأن رئيسها ووزراءها ما هم إلا دمى تحركها أثيوبيا، بالإضافة إلى أنها لا تحظى في الأصل بشعبية تذكر، ووجودها وعدمه في المعادلة سيان، ولن يثني المقاومة عن مواصلة مسيرتها حتى دحر الاحتلال وإزالة توابعه.

٤ . الوضع في الصومال عاد إلى ما كان عليه قبل المحاكم من فوضى وتناحر، وزال الأمن والاستقرار الذي جاءت به المحاكم الشرعية؛ حيث قتل في مقديشو وحدها خلال اليوم الأول للاحتلال ٢١ مدنيا، يضاف إلى ذلك أن زعماء الحرب الذين طردتهم المحاكم عادوا إلى مقديشو على ظهر الدبابات الأثيوبية، وهم مرفوضون شعبيا، وليس في حوزة أثيوبيا من يسمع لها أو يطيع غير هذه العينة البغيضة البائسة، وليس بإمكانها فرض نظام أمني يأمن فيه الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم؛ لأن جنودها غير آمنين على أنفسهم؛ بحيث تنهال عليهم صباح مساء مدافع المقاومة ورشاشاتها، وقد فشلت بالفعل في نزع الأسلحة من سكان مقديشو بعد أن أصدرت في ذلك قرارات صارمة قوبلت بالاستهجان والسخرية

من قبل سكان العاصمة، ولم يسلم لها قطعة سلاح أو طلقة رصاص، اللهم إلا ما كان من المسرحية الهزيلة التي سلم فيها بعض زعماء الحرب أسلحة نسبت إليهم وهم في الأصل محسوبون على الاحتلال، وقد بدأ سكان مقديشو الحنين إلى فترة المحاكم التي نعموا فيها بالأمن والاستقرار، وبدأ التململ من الاحتلال في زمن قياسي لم يكن متوقعا وهو ما يدل على أن الجو مهيأ لاحتضان كل من يرفع راية المقاومة ولا سيما إذا كان من الإسلاميين الذين أثبتوا جدارتهم القيادية في فترة المحاكم.

٥ . الصومال جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي والعربي، ويشكل عمقا استراتيجيا لا يجوز التفريط فيه؛ فهو يطل على باب المندب والمحيط الهندي الذي تمر عبره تجارة النفط، كما هو حزام أمني متقدم للجزيرة العربية؛ إضافة إلى أنه بوابة الإسلام والعروبة إلى شرق أفريقيا، وسلخه من محيطه الطبيعي . العربي والإسلامي . يفت في عضد الدول الإسلامية والعربية، وتعد مصر من أكبر المتضررين بالاستيلاء الأثيوبي على الصومال؛ بحيث ستواجه بذلك تهديدا حقيقيا في مياه النيل التي تسعى أثيوبيا إلى إحكام السيطرة عليها منذ أمد غير يسير، علاوة على أن أثيوبيا عضو في المعسكر اليهودي الذي يناقض المصالح الإسلامية والعربية؛ وعليه فإن كثيرا من الدول الإسلامية والعربية ستضطر إلى الانحياز إلى مصالحها الحيوية والاستراتيجية؛ وذلك بدعم المقاومة الصومالية ضد المحتل سياسيا ولوجستيا، وإن لم يحدث هذا التأييد في النطاق الرسمي فسيحدث في النطاق الشعبي كما يجري الآن في العراق وأفغانستان وحتى فلسطين وغيرها من القضايا الإسلامية، وسيزيد ذلك من قدرة المقاومة وأدائها.

- هل ستدفع أثيوبية من فاتورة الاحتلال؟

ونخلص من كل ما سبق إلى أن الصومال مقدم على مرحلة يكون القدح المعلى فيها للمقاومة، وأن الاحتلال الأثيوبي سيدفع فاتورة باهظة ستجبره في النهاية على الرحيل النهائي غير مأسوف عليه هو وما نتج عنه؛ لأن التابع تابع في كل الأحوال.

وهذا ما برهنت عليه الأحداث الدامية الأخيرة في مقديشو التي قلبت موازين القوى لصالح المقاومة الإسلامية في زمن قياسي لم يكن متصورا لدى كثيرين؛ حيث استطاعت إجبار

القوات الأثيوبية على التحول من مهاجمة تحاول السيطرة على كافة أحياء العاصمة إلى مدافعة تحاول تخليص جيشها المحاصر في ملعب كرة القدم.

ويرى المراقبون أن المقاومة الإسلامية اتخذت استراتيجية جديدة تقوم على أمرين مهمين:

١ ـ التنازل عن السيطرة على المدن والدفاع عنها ـ والذي **ثبت بالتجربة** أن النجاح فيها لمن يملك الآلة العسكرية الأكثر تطورا ـ واللجوء إلى حرب المستضعفين وهو ما يعني الانتشار السريع في طول البلاد وعرضها، وتكثيف العمليات داخل العاصمة التي يملك الصوماليون خبرة كبيرة بالقتال فيها، ولا سيما في ظل التأييد الواسع الذي يلقاه الإسلاميون من أهالي مقديشو الذين لم يعطوا خيارا آخر سوى المقاومة. وقد نجحت المقاومة في الاختبار الأول بجدارة ـ رغم إجماع المحللين بصعوبته البالغة ـ وكبدوا الأثيوبيين خسائر فادحة، وسحلت جثث جنودهم في شوارع مقديشو، وهو الأمر الذي أعاد إلى الأذهان صور سحل جثث أسيادهم الأمريكان قبل ١٤ عاما.

٢ ـ عدم الانفصال عن باقي الشعب لتفويت الفرصة عن العدو لاصطياد الإسلاميين والنيل من عناصرهم بعد تمييزهم عن الشعب؛ وذلك عن طريق تعبئة كافة الشعب بمن فيهم القوميون ورؤساء العشائر وحضهم على المقاومة ضد المحتل الأثيوبي الأمريكي، وقد نجحوا فيها أيما نجاح؛ حيث اتخذت المقاومة منحى شعبيا تشارك فيه كافة شرائح المجتمع، وهو الأمر الذي خفف عن كاهل الإسلاميين أعباء كثيرة، حيث اقتصر دورهم الآن على قيادة المقاومة وتوجيه مساراتها.

وقد أنتجت تلك الجهود ثمارها حيث فجرت طاقات المجتمع الصومالي في المهجر، ونظمت حملات إعلامية ومؤتمرات كبيرة في أوروبا وأمريكا أعلن في بعضها عن حركات تحررية ضد المحتل الحبشي.

هذا التصعيد الإعلامي والعسكري هو الذي أجبر ـ في نظر المراقبين ـ قادة أديس أبابا على إعلان هدنة مع المقاومة والتفاوض معها ـ على الأقل لالتقاط الأنفاس والإعداد لمواجهة أصعب ـ وقد وافقت المقاومة على تلك الهدنة بدءا من يوم الأحد الموافق ١٤٢٨/٣/١٣هـ بشروط أهمها: انسحاب القوات الأثيوبية من كافة الأماكن التي احتلتها من العاصمة، لإعادة السكان المدنيين الذين هجروا منها عنوة، ومن ثم الترتيب لانسحابها من الصومال كله.

فهل ستصغي أثيوبيا آذانها لهذه المطالب وتنسحب من الصومال بسرعة؛ مكتفية بأقل الخسائر، أم أنها مستعدة للبقاء في مستنقعه لإدارة وتمويل حرب طويلة الأمد قد تكون فصولها المقبلة أشد وأصعب؟ هذا ما ستجيب عنه أيام المستقبل القريب.

(*) رئيس تحرير مجلة المحجة التي تصدر في مقديشو.". (١)

٢٦. ٢٧-"الكاتب: محمد رشيد رضا

الشريعة والطبيعة

والحق والباطل

﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ (الرعد: ١٧) .

إن لله تعالى خليقة منها جميع ما نعرفه من هذه الأكوان، وشريعة اختلفت أحكامها باختلاف أحوال الاجتماع لنوع الإنسان، ثم ثبتت أصولها وقواعدها العامة بالسنة الصحيحة والقرآن، على وجه ينطبق على مصالح البشر في كل آن، ولولا هذا لم يصح أن تكون شريعة عامة لكل زمان ومكان، فالخليقة أو الطبيعة من الله كما أن الديانة والشريعة من عند الله، فذلكم الله ربكم الحق، وكل ما كان من الحق فهو حق، فمن قال: إن الطبيعة أوعلمها باطل، كمن قال: إن الشريعة أو العلم بها باطل، كلاهما متجرئ على مقام الربوبية بنسبة الباطل إلى الحق تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

ربما يستبعد بعض الناس هذا القول بالنسبة للطبيعة دون الشريعة، ولكن

---

(١) مجلة البيان ٢٣٦/٢٠

الذين يتلون القرآن حق تلاوته أولئك يؤمنون به، واتل عليهم قوله عز وجل: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ (آل عمران: ١٩٠-١٩١) فإذا كانت آيات الله تعالى في خلق العوالم العلوية والسفلية وحوادثها الطبيعية -كاختلاف الليل والنهار- إنما يعرفها العقلاء باستمرارهم على التفكر فيها، فلا جرم أن أكثرهم تفكرا أكثرهم علما وأجدرهم بمعرفة الله تعالى وتعظيمه، والإيمان بقدرته وكمال علمه وحكمته، وما شذوذ بعض الناظرين في علوم الطبيعيات والهيئة اشتغالا بالصنعة عن الصانع إلا كشذوذ الناظرين في علوم الشريعة المتوسعين فيها عن العدالة في الأحكام والعفة في المعاملة، وهما روح الشريعة، فإننا نسمع الناس يرمون رجالا من أوسع العلماء والقضاة الشرعيين علما بالأحكام بما لا يرمون به سائرهم، وما كان الزيغ والانحراف من هؤلاء وأولئك من علمي الطبيعة والشريعة فيكونا باطلين، وإنما هو فساد في التربية زاد بالعلم فسادا ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا﴾ (البقرة: ١٠) ومثل العلم يشقى به قوم ويسعد به آخرون مثل الحنظل والبطيخ يسقيان بماء واحد فيزيد الأول مرارة والثاني حلاوة ﴿يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين﴾ (البقرة: ٢٦) من حقية الشريعة أن جميع ماجاءت به من العقائد والآداب والأحكام موافق لمصالح الناس ومسعد لهم في معاشهم ومعادهم، ولذلك كانت كلياتها حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، فإذا نسب إليها شيء فيه مفسدة أو منافاة لمصلحة، فهو ليس منها، وإن أسند إلى علمائها ودون في كتبها؛ لأن هذا من الباطل، ومن حقية الطبيعة أنها قامت بقوانين ثابتة وسنن مطردة (يسمونها نواميس) بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بها كلما زادوا علما بسننها وقوانينها، ولو كانت مختلة النظام تجري فيها الحوادث بغير إحكام لما اهتدى الناس للانتفاع بها، ولما صح الاستدلال بها على علم مبدعها وحكمته وكمال قدرته ونفوذ مشيئته، فمن يرى في الطبيعة خللا أو فسادا فإنما يريه إياه ضعف نظره أو ظلمة بصيرته، فليتل عليه قوله تعالى: ﴿ما

ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير﴾ (الملك: ٣-٤) .

لولا الخليقة والطبيعة لم توجد الديانة والشريعة، فإن الله تعالى خلق الإنسان في هذا العالم كثير الحاجات والضرورات، ميالا بفطرته إلى الكمالات وبلوغ الغايات، وجعل له الوجدان والمشاعر والعقل ليهتدي بها إلى ما تطلبه فطرته وتقتضيه خلقته، ولكنه جعل بين أفراده تباينا في هذه المدركات تتباين بها مقاصدهم وأعمالهم، والمباينة والتفرق في هذا هما منشأ اختلال المصالح الاجتماعية، فمن ثم كان في أشد الحاجة إلى هداية رابعة تقرب المتباين وتجمع المتفرق، وقد منح الله الإنسان هذه الحاجة بالشريعة، ومقاصد الشريعة وأسسها: (١) الاستدلال بالطبيعة عامة على موجدها ومبدعها، وما اتصف به من صفات الكمال ، و (٢) تقويم الطبيعة الإنسانية بتهذيب أخلاقها وترويضها بضروب من العبادات؛ ليسهل على الإنسان الوقوف في تصرفه بالطبيعة العامة على صراط الاعتدال ، و (٣) تحديد الحقوق والواجبات وبيان أحكام العمل بها ، و (٤) تبشير من وقف من الأمم عند الحدود بالسعادة في الدنيا ووعده بالمثوبة في الآخرة، وإنذار من تعداها بالشقاء العاجل، ووعيده بالانتقام الآجل، فالعلم بالطبيعة مرتبط بالعلم بالشريعة ، يكمل بكماله وينقص بنقصه، فمن لا يعرف الكون ونظامه وطباع البشر وقواهم العقلية والجسدية، وارتباط بعضهم ببعض، وما وصلوا إليه من العلم بطبيعة الكون وكيفية تصرفهم فيه على وفق مصالحهم ومنافعهم - لا يمكنه أن يعرف مقاصد الشريعة، وكيف يؤخذ الناس - أو يأخذون بها - وهذا الأمر واضح بنفسه وإن ضل عنه كثير من المنتمين إلى علم الدين، المتوهمين أن شرع الله يعرف بالاستنباط من ألفاظ المؤلفين، وكمال العلم به يكون بالجهل بالخليقة وأحوال الخلق أجمعين.

نتيجة هذا كله أنه يجب أن لا يكون في الدين والشريعة شيء مخالف لما في الخلق والطبيعة؛ لأن كلا من عند الله وحاشا أن يصدر عن تلك الذات العلية التناقض والاختلال، وأي أمر ينافي الكمال، وما عساه يوجد في الكتب الدينية أو

يجري على ألسنة رجال الدين من قول يذم علوم الخليقة أو يرمي إلى بطلانها، أو ينهى عن تعلمها – فهو من الناس لا من الله، ألصقوه بالدين لشبه عرضت لهم أكثرها لفظية أو لمحض الجهل، على أنه يوجد في كتب العلوم الطبيعية مثلما يوجد في كتب العلوم الشرعية من الأقوال والآراء المبنية علي الظن والخرص.

واليقيني من مسائل العلوم الطبيعية، وما يلحق بها هو ما ثبت بالمشاهدة والاختبار أو البراهين القطعية كالبراهين الرياضية على الكسوف والخسوف، وكثير من مسائل الهيئة الفلكية وغيرها، ولا يطلقون اسم العلم في هذا العصر إلا على ما **ثبت بالتجربة** والاختبار العملي.

واليقيني من مسائل الدين هو ماثبت بنصوص القرآن والسنة المتواترة كأصول الاعتقاد والأركان الخمسة، وسائر المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة، فهذه المسائل اليقينية لا ينافي شرعيها طبيعيها أبدا، ومتى نافى قطعي من قسم منها ظنيا من القسم الآخر يترك الظني للقطعي إلا إذا أمكن الجمع بينهما، وإذا تعارضت الظنيات نرجح الشرعي علي غيره.

علمنا أن الشريعة والطبيعة كليهما حق من الله تعالى، والحق لا تكون آثاره ونتائجه إلا صالحة وثابتة بثباته، والباطل لا يكون إلا مضطربا ومتزعزعا، وآثاره تفنى بفنائه وتزول بزواله، فإذا تصارع الحق والباطل لا يلبث الحق أن يصرع الباطل: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾ (الأنبياء: ١٨) ، وفي الزبور الذي في أيدي أهل الكتاب ما مثاله أن الذي تكون مسرته وغبطته في الناموس الإلهي ينجح في عامة أعماله، ويكون كالشجرة عند مجاري المياه تثمر في أوانها ولا يذبل ورقها، وأما الأشرار فهم كهشيم تذروه الرياح لا يثبت لهم في طريق الدين قدم؛ لأن الرب يعلم طريق الأبرار، أما طريق الأشرار فتهلك.

والأمثال على هذا في القرآن كثيرة، ومن أبلغها وأظهرها الآيات التي افتتحنا بها هذه المقالة، ثبات الحق وزهوق الباطل ثابت في الطبيعة كما هو ثابت في الشريعة ويسميه الحكماء الذين اهتدوا إليه (الانتخاب الطبيعي) يعنون أن

طبيعة الوجود تقتضي بقاء الأصلح الأنفع في الكون وتلاشي ما سواه.

والأصلح في الطبيعة ما كان جاريا على سننها ومندرجا تحت نواميسها، والأصلح في الأمور الشرعية ما كان موافقا لأصول الدين وقواعده وأحكامه من حيث إنها هادية للأرواح في شؤونها الروحية ومصالحها الاجتماعية، فيمكننا على هذا أن نستدل من الشريعة والطبيعة معا على أن الأمة المخذولة المهضومة الحقوق المغلوبة على أمرها لا بد أن تكون على الباطل، أي زائغة عن صراط الشريعة متنكبة سنن الطبيعة ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما﴾ (طه: ١١٢) .

كأني بأكثر القراء من إخواني المسلمين، وقد انتهوا إلى هذه المسألة فاضطربت أفكارهم وانفعلت أرواحهم، وسبق الوسواس إلى أذهان بعضهم بأن قصارى هذا القول طعن بالإسلام؛ لأن أهله مخذولون في هذا الزمان في كل قطر ومكان، واعتراف بأحقية أديان أخرى ثبتت سلطة أهلها، واستقام أمرهم ونجحوا في أعمالهم وعلت كلمتهم على المسلمين، ومنهم الوثني ومن لا يدين بدين، مهلا مهلا، استوقف أيها المنتقد سربك واستغفر ربك، ولا تقف ما ليس لك به علم، فإن بعض الظن إثم، واعلم أن ما تراه من الباطل ثابتا قويا، فإنما ثباته بالتوكؤ على أركان من الحق كالنظام ومراعاة سنن الله في الخلق والأخلاق والسجايا الفاضلة كالصدق والأمانة، فالحق ثابت في نفسه، والباطل ثابت به أو شبيه بالثابت، فلو تداعت أركان الحق عند هؤلاء لسقط الباطل، بل لتبين زهوقه وبطلانه، ولما ثبت بنفسه قط، وما تراه من خذلان المسلمين واضمحلال سلطتهم مع حقية دينهم فسببه عدم السير على منهاج دينهم، وهذا كتابهم ينطق عليهم بالحق: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد: ١١) ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الأنفال: ٥٣) وقد كتبنا في (منار) السنة الأولى مقالة تحت عنوان قوله تعالى: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ (هود: ١١٧) أتينا فيها بالقول الفصل في دعوى المسلمين أن نجاحهم وارتقاءهم بدينهم، ودعوى الباحثين في طبائع الملل وعلوم الاجتماع

والعمران أن شقاء المسلمين وضعفهم العام إنما جاءا من قبل دينهم لأنه لا شيء آخر يناط به تأخرهم في جميع الأقطار، وأن ترقيهم إنما يكون باحتذاء أوربا وتقليدها، وخلاصة ما هنالك أن كل واحد من القولين له وجه وفيه قصور، والصواب أن الإسلام جامع لأسباب السعادة الدنيوية التي نالها الغربيون ومن تلا تلوهم كاليابانيين على أكمل الوجوه، وزاد على ذلك بيان أسباب السعادة الآخرة، ولكن المسلمين انسلوا مما أرشد إليه الدين من أسباب السعادة كاستقلال الإرادة والرأي، وتطهير النفس من أدران الخرافات وصدأ الأوهام وصقلها بصقال الحجة والبرهان في جميع ما تأخذ به، وإطلاق العقل من قيوده وتسريحه في عوالم الطبيعة علويها وسفليها؛ ليبحث عن حقائقها وينتفع بها، فإن الله ما قال: ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه﴾ (الجاثية: ١٣) إلا ليرشدنا إلى هذا – انسلوا من هذه الإرشادات كلها باسم الدين، وتبع هذا فساد الأخلاق والأعمال، فلا غرو إذا قال القائلون: إن الدين هو الذي حال بينهم وبين الترقي، فإنهم يرون أن دين الناس ما هم عليه، وبينا هناك أيضا أن دين الإسلام هو دين الفطرة " أي الخليقة والطبيعة " وأنه بين في القرآن سننه في هلاك الأمم بمثل قوله: ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا﴾ (يونس: ١٣) وقوله: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾ (الإسراء : ١٦) وبين سننه في نجاة الأمم وحفظها من الهلاك بمثل قوله: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ (هود: ١١٧) والمراد بالظلم هنا الشرك خاصة؛ فإن من أشرك ظلم نفسه وفي الآية الأولى ما يعم الجور في الأحكام والأعمال نص. على ذلك المفسرون، وبه يرتفع التناقض، فقد بين أن المصلح لا يهلك وإن كان مشركا، وبين في آيات أخرى أن الصلاح والإصلاح سبب إرث الأرض، وأن الله لا يصلح عمل المفسدين، وكل شيء فصلناه تفصيلا.

فالقرآن بجملته حجة على المنتسبين للإسلام بأنهم على غير الحق الذي جاءهم به، بل إن تعريف الدين عندهم بأنه سائق إلى النجاح في الحال والفلاح في المآل. حجة عليهم فإنهم غير ناجحين، وأما الأمم الناجحة المرتقية فإنها أخذت بأسباب

الترقي الدنيوي التي أرشد إليها القرآن من طبيعية وشرعية، ولكن لا على أنها من القرآن، بل على أنها نافعة في ذاتها معقولة بنفسها، والنتيجة في الدنيا واحدة، وابتغاء مرضاة الله تعالى بالأعمال النافعة يجعلها نافعة لذويها في الآخرة أيضا، فإذا كانوا قد ربحوا بهذا سلطة الدنيا وسعادتها، فنحن قد خسرنا بتركه الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، ولا ينكرن علي هذا أحد شم رائحة الإسلام؛ إذ لا يجهل أحد أنه قرن مصالح الدنيا والآخرة بعضها ببعض، وجعل غايته سعادة الدارين، ففقد إحداهما من مجموع الأمة دليل على فقد الأخرى، ولا التفات للآحاد، فإنما كلامنا في الأمم، فتدبروا وتذكروا أيها المسلمون، ولا يخدعنكم المؤولون الغاشون، ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون.

". (١)

---

٢٧. ٢٨-"الكاتب: محمد رشيد رضا

تطور الأمم وانتقالها من حال إلى حال

إن للأجسام الحية خلايا تتغذى وتزدوج وتلد وتموت فيخلفها نسلها فيكون بها الجسم حافظا لحياته فإذا ضعفت الحياة في الجسم قل توالد الخلايا وكثر فيها الموت حتى يهلك الجسم فتتصل أجزاؤه بجسم آخر قوي الحياة فتكون غذاء له كما ترى في النبات والحيوان.

إن الحياة مصدر النظام فهي بعمل خلايا الجسم الجزئية تكون خلقا كليا منتظما، وإن كان لا شعور لكل خلية في ازدواجها بمثله وإنتاجها بأن عملها ينضم إلى عمل أمثالها فيكون خلقا كبيرا له في الوجود مظهر عظيم وعمل حيوي منتظم.

إن مدار حياة الأحياء الصغرى كالخلايا والكبرى كالشجر والبقر على الخليقة وما فيها من سنن النظام ، وقلما يحتاج شيء منها إلى عناية مدبر مختار من جنسها

---

(١) مجلة المنار ٦٤١/٢

إلا الإنسان فإنه في أفراده وجمعياته لا يستغني بالطبيعة عن تعاهد بعض أفراده لبعض بالعناية والتربية الشخصية والاجتماعية.

إن لهذه الأحياء الصغرى التى تتكون منها العوالم الكبرى أمراضها ، ولهذه العوالم نفسها أمراضا وإن لكل مرض علاجا ودواء ، وإن العلاج إذا صح يحول دون إنهاكه لقوة الحياة أو الذهاب بها ما دام الجسم الحي مستعدا للحياة أي ما بقي من عمره الطبيعي بقية.

إن معالجة مرض ما تتوقف على العلم بحال ما عرض له المرض من حيث هو حي له مزاج يصح باعتداله الفطري ويمرض بأعراض تخرجه عن الاعتدال والعلم بما سبق عروضه له قبل المرض الأخير الذي يحاول علاجه وبحقيقة هذا المرض وأسبابه والعلم بالدواء وبالطريقة المثلى في المعالجة.

إن الإنسان أغرب الأحياء على هذه الأرض والعوارض التي تعرض لحياة أفراده فتمرضهم أو تقتلهم هي أخفى مما يعرض لغيره من الأحياء النباتية والحيوانية على كثرة بحثه عنها وعنايته بمعالجتها ، ولذلك يقل في الناس من يصل إلى نهاية العمر الطبيعي ، ويقل فيهم من يعيش سليما من الأمراض والأسقام كالشجر والحيوان الأعجم.

إن لحياة الإنسان الاجتماعية أمراضا وإن معالجة الأمراض الاجتماعية أعسر، والتحقق بشروطها أندر، ففي كل جيل من الأجيال ينبغ في الأمم المشتغلة بالعلوم والفنون كثير من العلماء الأخصائيين، والصناع الماهرين، وقد تمر قرون وتنطوي أجيال، تخلق فيها أحوال وتتجدد أحوال، ولا يبعث طبيب اجتماعي في الأمة، يرفعها من الحضيض إلى القمة.

إن حياة الأمة التي ليس فيها أطباء اجتماعيون، وهداة روحانيون تكون دون حياة الخلايا في الروح، وحياة النجم والشجر في الروض؛ لأن حياة النبات قلما يعوزها شيء وراء الطبيعة وسننها في بلوغها غاية ما أعدتها حكمة التكوين له من النظام والكمال الشخصي والنوعي ، وحياة الإنسان لا بد فيها من المربي لتصل إلى كماليها فإذا فقد المربي؛ كان الناس فوضى لا يصلح لهم شأن ولا يستقيم لهم أمر.

وأفراده حينئذ يشبهون خلايا الأجسام من حيث جهل كل واحد منهم بنسبة حياته إلى حياة غيره وتأثيرها في الاجتماع وغايتها في الوجود على أن أفراد الإنسان تشعر بعملها الجزئي ، ولكن يقل فيهم من يشعر بتأثير عمله في الأمة فيتحرى فيها مصلحته ويعرف اندماج مصلحته فيها.

إذا تمهد هذا فاسمع ما ألقيه عليك بشأن الأمة الإسلامية في حياتهم الاجتماعية.

إشارة إلى بدايتها وعبارة عما صارت عليه في هذا العصر يكون مثالا لانتقال الأمم من طور إلى طور من غير تصور ولا شعور.

أطوار الأمة الإسلامية:

كانت هذه الأمة في نشأتها الأولى تنفذ الرجل من أبناءها إلى المملكة فاتحا فيكون خير قائد في إبان الحرب، وخير حاكم في زمان السلم، يقيم العدل، ويعمر الأرض، ويؤمن الرعية، ويستبدل الحرية بالعبودية، فيرى أقل رعيته ولو من غير أهل دينه وجنسه أنه مساو له في الحقوق والحرية بحيث لو نال منه نيلا فشكاه إلى الخليفة الذي أنفذه لأقاده منه كما حاول عمر أن يقيد ذلك الصعلوك من جبلة بن الأيهم ملك غسان لولا أنه فر هاربا.

بهذا اتسع ملك الأمة وانبثت حياتها العالية في أمم كثيرة فأحيتها، وجددت للناس مدنية لم يسبق لهم عهد بمثلها بل لم يكتحل ناظر الزمان بنظيرها حتى هذا اليوم الذي نرى فيه من آثار العلم والاجتماع ما لم نر من قبل فإن إنكلترا وهي أعدل دول أوربا لا تساوي بين آحاد أبنائها وبين أمراء الهند، فضلا عن أن تساوي بين لورداتها وسلائل ملوكها وبين صعاليك مستعمراتها، وإن الخلفاء الراشدين ما كانوا يجيزون لأبنائهم أن ينفقوا ألوف الألوف من بيت المال في سياحتهم لأجل أن ينفخوا في الرعية روح عظمتهم ويشعروا سكان مستعمراتهم بمكان بأسهم وقهرهم كما أجازت بريطانيا العظمى للبرنس أوف ويلس ولي عهدها في سياحته الأخيرة، فمثل هذا العمل تقرير لاستعلاء المالكين واستذلال المحكومين، فهو جناية على البشر الذين لا يصلون إلى الكمال الاجتماعي إلا بكمال المساواة التي لا يفضل فيها أحد أحدا إلا بفضائله وأعماله كما قرر الإسلام.

هذا الروح الذي نفخه الإسلام في المعتصمين به حتى كان الرجل الأمي أو شبه الأمي منهم يعمل في سياسة الممالك ما يعجز عنه الفلاسفة والحكماء قد كان من شأنه أن يستولي على العالم كله فيصلحه لولا أن الملوك الظالمين وأعوانهم من الفقهاء الجامدين قد أفسدوا جسم هذه الأمة فلم يعد مستعدا لحمل هذا الروح والحياة به. فإذا كان عمرو بن العاص قد فتح مصر بجيش صغير فأحياها بالعدل وحسن الإدارة حتى وصل النيل بالبحر الأحمر وآخى بين هذا القطر وبين الحجاز (وهو ممن لم يدخل المدرسة الحربية ولا مدرسة الحقوق ولا مدرسة المهندسخانه) فقد صار القطر الإسلامي العظيم يستعبده عدد قليل من الأجانب وصار المسلم المتعلم الحامل للشهادات العالية التي يظن أنه يفضل بها عظماء سلفه كعمرو وعمر ينفذ إلى قطر إسلامي كاليمن اليوم وكالسودان بالأمس فيبغي في الأرض، ويجني على العرض والعرض، فيترك الأرض موظوبة، والأموال مسلوبة، والدماء مسفوكة، والأعراض مهتوكة، حتى أنت الأرض من حكم كل مسلم عليها، واستغاثت السماء من سلطة كل مسلم تحتها، وسمع رب العزة أنين المظلومين وبكاء الباكين، ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ (إبراهيم: ١٣) بما جاءهم على لسان النبيين.

عم الظلم فأفسد الأخلاق وأضعف النفوس وطبع على قلوب الأمة بطابع القهر والعبودية حتى لا أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، ولا تعاون على بر ولا تناصر على رفع ضر، فذهبت ريح الدولة وقوة الأمة، واستعد الفريقان بعملهم لنقمة الله تعالى بدلا من سابق نعمته، فكان تقلص ظل الحاكمين الظالمين على رءوس المظلومين الخاضعين بأيدي الأجانب لا بأيدي الأمة وبهذا كان الانتقام عاما، ولو كانت الأمة هي التي هبت لإزالة الظلم بأيديها وأخذ صولجان الحكم بيدها لكان الانتقام خاصا بالظالمين، ولبقي للأمة عزها ومجدها.

دب الفساد الاجتماعي في جسم الأمة فلم تشعر به فتعالجه، فكان أفرادها بفقدهم الشعور بما يحل بهم وبما يكون من عاقبته في مجموعهم كخلايا الشجرة أو الثمرة يعرض الفساد بجانب منها ولا تدري حتى تفسد جميعها؛ ذلك أن الظالمين

بدأوا بإزهاق روح التكافل الذي يربط بعض الأفراد ببعض فيكون سببا لسريان شعور المجموع بما يطرأ على الأفراد وانفعال المزاج الكلي بذلك، واندفاعه إلى دفع العرض الطارئ قبل سريانه واستشرائه؛ فإن من طبيعة الجسم الحي أن ينفعل مزاجه بما يعرض لأي عضو من أعضائه فيوجه قوته لدفع العرض بإعانة ذلك العضو عليه، ألا ترى أن الدم يكثر وروده على الدماغ عند انهماكه في الفكر وإلى المعدة عند اشتغالها بالهضم وإلى نحو اليد يصيبها برد أو ضرب. والأمة الحية كالجسم الحي توجه قوتها إلى إعانة كل فرد من أفرادها يصيبه ضرر أو يرهقه ظلم حتى تدفعه عنه أو تعجز فتكون من الهالكين كما إذا عجز المزاج الصحيح في جسم الحيوان عن دفع عوارض الفساد بنفسه أو بمساعدة الطبيب فإن الفساد يغلب حينئذ على الجسم فيفسده.

كيف أزهق الرؤساء المفسدون روح التكافل في جسم هذه الأمة؟ حولوا السلطة من الشورى الشرعية إلى الأثرة الاستبدادية، وفرقوا بين المسلمين في الجنسية، فقالوا: عربي وعجمي، وفارسي وتركي، وفي اللغة، فقالوا: لغة رسمية ولغة دينية، وفي المذاهب فقالوا: سني وشيعي، وحنفي وشافعي، وفي الوطن فقالوا: مصري وشامي، ومغربي وحجازي، وإذا كنت تظن أن هذا الضرب الأخير من التفريق أهون ضروبه شرا؛ فأنا أذكر لك كلمتين لرئيس ديني ورئيس دنيوي تعرف بهما مبلغ تسمم جسم الأمة الإسلامية بسم الوطنية. رأى عالم من علماء الدرجة الأولى بل شيخ من مشايخ الأزهر السابقين يلقب بشيخ الإسلام خطيبا شاميا في جامع بمصر فقال: إن هذا الجامع حسن وموقعه عظيم، ولكن من الأسف حشوه بالشوام! وقال رئيس كبير من رؤساء الدنيا في معهد من معاهد العلم الديني – وقد رأى فيه حجرات كثيرة للطلاب من قطر غير قطره –: ماذا فعل لنا هؤلاء.. حتى نعطيهم كل هذه الحجرات وأهل البلد أحق بها منهم؟ ! ، أو ما هذا معناه على أنه لم يكن هو الذي أعطاهم وإنما تلك أماكن وقفها عليهم أناس آخرون من غير قوم القائل ومن غير وطنه.

هنالك إفساد آخر هو أشد من كل إفساد وهو الحيلولة بين المسلمين وبين

هداية القرآن الذي جعل أمر المسلمين شورى بينهم لا في أيدي أفراد يستبدون فيهم وفرض عليهم مقاومة الظلم والإفساد في الأرض بقوة الأمة وغير ذلك مما يحفظ حياة الأمم بل ينميها حتى تبلغ كمالها ولولا هذا الإفساد لما تم لظالم ولا لمفسد ما أراد.

سرت كل هذه الأمراض في جسم الأمة الإسلامية من حيث لا يدري الأفراد ولا يشعرون كما علمت من التمثيل السابق، وكان من عواقبها أن أكثر الممالك الإسلامية خرجت من أيدي المسلمين وما بقي لهم فهو في طور النزع ولكن هذا العصر يمتاز على ما قبله بشعور كثير من أفراده بأن الأمة في مرض، ودولها في حرب، فإذا لم تبادر بالعلاج تم فساد المزاج، وأجهز عليها الظالم، فهلك المحكوم في أثر الحاكم، بهؤلاء الأفراد على قلتهم وضعفهم أنشأ المسلمون يستعدون لاستعادة ما فقدوا من مزايا الإنسانية ولكن المسلمين لم يغفلوا عن مراقبتهم، فهم يجتهدون في إماتة شعورهم بالضغط والاضطهاد تارة وبالرتب والرواتب تارة أخرى، ومن ثبت على نار الفتنتين اضطر إلى الفرار من ديارهم إلى ديار أخرى يأمن فيها على نفسه أن تغتال، ويجد فيها لحرية فكره ولو بعض المجال، وإلا نفوه إلى بلد قفر، أو جزيرة في البحر، حتى لا ينتشر له فكر، ولا يسمع له ذكر.

وجملة القول: إن المسلمين كانوا أحياء بالإسلام نفسه على بصيرة وبينة،
ولما عرض لهم حلم الفساد اضطرب مزاجهم؛ فتداعوا إلى إزالته فحال دون ذلك تحول السلطة الإسلامية عن صراطها، ثم ضعف الشعور بفعل هذا الحلم بجسم الأمة لقوة مزاجها وضعف سائر الأمم دونها ثم خدر المرض أعصابها فكان الحلم يفعل فعله وهي لا تشعر حتى عم الفساد كل عضو من أعضائها، ونعني بالأعضاء الشعوب والفرق التي انقسمت إليها وحدة الأمة، فلا يوجد شعب إسلامي حي ولا حكومة إسلامية إلا وهي تعفو ما بقي من رسوم الإسلام وتجد في إبسال أهله إلا ما يقال عن حكومة الأفغان من عنايتها بحفظ استقلالها بالقوة العسكرية الحديثة، وهذا ضروري ولكنه غير كاف كما نرى في تركيا، فلا بد من نشر علم الكون في الأمة وإعدادها للحكومة المقيدة بالشورى وإلا كانت من الهالكين. أما ذلك الشعور الذي

تجدد لأفراد من المسلمين وهو لا عمل له في مملكة من ممالكهم إلا إعدادا بطيئا للانتقال إلى طور آخر مجهول لعامتهم، ومشكوك فيه عند خاصتهم، لا يدرون أيكون مرضا مضنيا، أم موتا مرديا، أم يكون حياة سعيدة ، وسيادة جديدة، أساسها العلم والعدل، وغايتها العمران والفضل، فمنهم اليائس يزيد في الإفساد، ومنهم الراجي يدعو إلى سبيل الرشاد، وهكذا شأن الأمم في طور الانتقال، لا تستقر من الاضطراب على حال.

من أسباب يأس اليائسين أن المسلمين قد خرجوا بتقسيم رؤسائهم إياهم إلى شعوب وأجناس ومذاهب عن كونهم أمة واحدة فلا فائدة من كثرتهم ولا رجاء في وحدتهم، وإنما يجب الحكم عليهم بحسب حكوماتهم سواء كانت منهم أو من غيرهم فقد أعدهم الظلم والاستبداد لأن يكونوا عبيدا لمن يحكمهم.

وإذا نظرنا في حال حكوماتهم وجدنا الإسلامية منها أسرع في الإجهاز عليهم من الأجنبية (ونعني بالإسلامية المنسوبة إلى المسلمين لما كانت على قواعد الإسلام فإن هذه لا وجود لها في الأرض) فإذا كان من الغرور أن نرجو حياة الشعب الجاوي تحت سلطة هولندا والمغربي تحت سلطة فرنسا مثلا فمن الجنون أن نرجو حياة الشعوب العثمانية المتمزقة تحت سلطة تركيا والشعب الفارسي تحت سلطة حكامه ومجتهديه؛ ذلك بأن حكومات الأجانب على منعها النور الحقيقي أن ينفذ إلى عقول المسلمين فيحييهم بحرارته وهدايته لا سلطة لها إلا بقوتها الحسية على الأجسام، وأما الحكام المسلمون فإن لهم سلطتين – القوة الحسية على الأجسام والقوة المعنوية في الأرواح – لأن المسلمين توارثوا الاعتقاد بوجوب الخضوع لهم على أنه من الدين وقلما يوجد فيهم من يعلم أن من أعظم قواعد الدين أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا حكم إلا لله ومن استحل الحكم بما يخالف القواعد الشرعية المنصوصة كان مارقا من الإسلام ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ (المائدة: ٤٤) وهؤلاء العارفون على قلتهم لا يسمح لهم الاستبداد بنشر علمهم في الأمة لئلا تنبعث لإقامة الشريعة على أساس الشورى فتبطل سلطتهم الاستبدادية التي تنطوي في باطنها نزعة الألوهية.

ويقول هؤلاء اليائسون أيضا: إن الأوربيين الذين استولوا على أكثر بلاد المسلمين يتربصون بباقيها الدوائر وحكامها يمهدون لهم السبل بالظلم والقضاء بالجهل على العلم وباقتراض الأموال منهم ومنحهم (الامتيازات) في بلادهم وهم يجتهدون دائما في الاتفاق على قسمتها بينهم فلا يمر عقد من السنين إلا ونراهم قد اكتسبوا حقا جديدا فيها أو قلصوا ظل نفوذنا عن ولاية منها ثم هم أقدر البشر على سياسة الأمم والتصرف في الشعوب فإذا دخلوا ولاية قبض أفراد منهم على قواها المالية والعسكرية والعلمية والأدبية وذللوا الأمة لسلطانهم فهم يسخروننا لخدمتهم بقوتنا حتى لا يدعوا لنا سبيلا إلى استعمالها في منفعتنا، وأعظم مظهر لسياستهم العليا فينا أن سلطتهم تكون أقوى وأرسخ وربحهم يكون أكثر وأسهل في البلاد التي يبقون فيها لنا اسم السلطة ويرضون بمعناها لأنفسهم، فهم يستعبدوننا بواسطة استعبادهم لحكامنا الذين أنسنا بالعبودية لهم. فأين موضع الرجاء لهذه الشعوب الجاهلة المتفرقة المستعبدة مع هذه الأمم العالمة المستقلة المتحدة؟ ! .

هذا مجمل احتجاج اليائسين من أهل الشعور بما ينذر المسلمين من الخطر فرأيهم أن طور الانتقال الذي هم فيه سينتهي بطور دخولهم تحت سلطة الأجانب وزوال استقلالهم من الوجود زوالا أبديا كما زال استقلال بني إسرائيل إلا أن يحدث في العمران انقلاب كبير لا دليل عليه الآن.

وأما أهل الرجاء – ونحن منهم – فإنهم يعرفون ما يحتج به أهل اليأس ولا ينكرونه ولهم نظر آخر أبعد، ورأي أسد – إن شاء الله – وأرشد، يؤيدونه بآيات الوحي ويستدلون عليه بطبيعة العمران وشئون الاجتماع، ولا يتسع هذا المقال لشرح ما يجوز نشره منه، وإننا نوجز القول فيما لا مندوحة عنه.

إن المسلمين – وإن اختلفوا في اللغات والمذاهب والأوطان والحكومات – يتفقون في أمر واحد تتبعه أمور جوهرية من ناحيتها يدعون إلى ما يحييهم ويجعلهم أمة عزيزة تشعرها وحدة الاعتقاد بأن لها مصلحة واحدة يجب على شعوبها الاتحاد والتكافل في سبيلها وإن ظلوا على اختلافهم في تلك الأمور العظيمة حتى إذا ما انتشرت الدعوة إلى الأمر المتفق عليه (وهو القرآن) استتبعت الوحدة في اللغة

والوحدة في المذهب أو انتفى الافتراق في المذاهب ، وصار كل شعب من شعوب المسلمين قوة للآخر وعونا له وظهيرا على بعد الدار وقربها واختلاف الحكومات والأجناس ولا تسألني عما يكون بعد ذلك وأنت لما تعلم ما يكون قبله.

الدعوة إلى القرآن تستتبع الدعوة به إلى جميع العلوم الكونية من طبيعية واجتماعية لأجل تكميل النفس بعرفان حكم الله في صنعه وإبداعه ، ولأجل تعزيز دينه بآثار تلك العلوم ، وتستتبع طلب المزيد من نعم الله ومساهمة الأغنياء والأقوياء للفقراء والضعفاء في هذه النعم بأداء الزكاة وغيرها من الصدقات التي تقوم بها المصالح العامة والخاصة وتستتبع حكم الشورى وإقامة العدل وغير ذلك من أركان السعادة. فإذا وفق الدعاة لإقناعهم بهذا وحملوهم عليه فقل: قد نفخت فيهم روح الحياة التي لا موت بعدها. نعم إن هذا الإجمال لا يقنع القارئ بهذه الدعوى ، وإن التفصيل مع بيان الدليل لا محل له هنا على أن شرح ذلك إنما يفيد أهله الذين استعدوا للقيام به دون من يقرأ لأجل التسلي أو الانتقاد كما هو شأن أكثر الناس.

بينا في مقالة الحياة الملية من المجلد الثامن شيئا من حقيقة هذه الحياة التي هي محل رجائنا ، وذكرنا هناك العلوم التي نحتاج إليها وكيفية تمهيد العقبات التي تعترض في سبيلها ، ونحن الآن في حاجة إلى بيان أن المسلمين في طور انتقال من حال إلى حال وأن هذا الطور شبيه بطور النقه من مرض تخشى عاقبته، ولا تؤمن نكسته، وأنهم محتاجون فيه إلى الأطباء الروحانيين العالمين بأدواء الاجتماع وطرق معالجتها وإلا سبقهم الأجانب لتحويل الأمة في هذا الطور إلى حياة مذبذبة ينقطع كل رجاء للإسلام فيها.

ثبت بالتجربة والاختبار أن المتعلمين للعلوم الكونية هم الذين يسودون أمتهم كما أن الأمم السابقة في مضمار هذه العلوم تسود المتخلفة فيه فالناس تبع لهؤلاء المتعلمين صلحوا أم فسدوا ، فهم التيار الجديد الذي يحول الأمة من حال إلى حال وعقول هؤلاء المتعلمين وقلوبهم بين أيدي الأجانب فهم الذين يودعون فيها وينقشون في ألواحها المستعدة ما يريدون على علم منهم بغايته وأثره. ومما نشاهد من أثره أن أكثر المتعلمين لا قيمة للدين الذي هو الرابطة العامة للمسلمين – في نفوس

أكثرهم فهم لا يصلون ولا يصومون ، ولا يحلون ولا يحرمون وإنما هم أكثرهم التمتع باللذات الحسية ولو بذلوا في سبيلها جميع المصالح العامة. ثم هم مع هذا مغرورون بأنفسهم يحسبون أنهم أرقى من سلفهم الصالح عقولا وأرجح أحلاما وأوسع علوما وأفضل آدابا وأقدر على الأعمال الاجتماعية فلا الدين عرفوا ولا حب الأمة أشربوا ، وكيف وهم على جهلهم بشريعتها يجهلون تاريخها الذي لم يتفضل عليهم ساداتهم الأجانب بشيء حقيقي منه إلا بعض المسائل المنتقدة التي صوروها بغير صورها ، وألبسوها غير لباسها ، واستنبطوا منها ما لا تدل عليه من العيوب والمساوئ ، وغفل متعلمونا الأذكياء عما اعترف به المنصفون من فلاسفة أساتذتهم المتصرفين في عقولهم وقلوبهم من حيث لا يشعرون من تعظيم شأن مدنية المسلمين الأولين الذي أقاموا ميزان العدل بعد ميله ، وأحيوا موات العلم بعد موته كما غفلوا عن أنفسهم التي لم يوجد لها في الأرض أثرا يحمد فلا رفعوا أمة من سقطتها ولا أحيوا دولة بعد موتتها وما لي لا أذكرهم بتعصب أساتذتهم لدينهم والسعي في نشره بما يبذلون من الملايين في جمعيات الرهبان والقسيسين.

كلا، إن القصد إلى بيان حال المتعلمين في مثل مصر والآستانة ، وأنهم كالعلامة في جهلهم بعاقبة علمهم وعملهم في الأمة فكل واحد منهم يفكر في خويصة نفسه ، فهو يتعلم لغاية يجعلها نصب عينيه وهي رزق مضمون يتمتع به كما يتمتع خواص قومه. يعذر التلميذ في هذا ولا يعاب لأنه لا يتوجه إلا حيث يوجهه معلمه ومربيه فمن لم يكن له أم ولا أب ولا معلم ينفخ فيه روح حب الأمة والملة لا يرجى أن يهتم بجعل حياته الشخصية ركنا من أركان حياة أمته الملية لبذل شيء من وقته وشيء من فضل ماله في خدمتها وإعلاء شأنها.

إذا كان الكمال الشخصي يتوقف على حسن تربية الشخص البدنية والنفسية فهل يمكن أن يكون الكمال الاجتماعي بالمصادفة والاتفاق أو لترك معظم نشء الأمة فوضى والقذف بمن يراد تعليمهم من الذكران والإناث إلى الأجانب حتى الجزويت والفرير ينقشون ألواح نفوسهم بما يشاءون؟

هذه الحال التي نرى عليها أكثر الذين تعلموا العلوم العصرية والتي يظن أن

سيكون عليها أو على ما هو دونها من يتعلمون الآن تصلح أن تكون حجحا لليائسين من إصلاح حال المسلمين ، ولكن أهل الرجاء يرون في أثناء هذه الظلمات المتكاثفة بصيصا من النور يوشك أن يتألق فيقشع كل ظلمة ويظهر صراط الحق للسارين.

يرى البصير في مصر والهند نابتة على شيء من استقلال الفكر ويرى في روسيا نابتة لم يعمل في أرواحها سم الأجانب عمله في غيرها وهي مع ذلك تتطلب العلوم والتربية لأجل الحياة، ويرى في الآستانة نفسها على شدة الهيمنة فيها على الأفكار والمراقبة على العلم نابتة تلتهب غيرة وتشعر من معنى الاستقلال بما لا يشعر به سائر المسلمين ، ويرى في إيران هزة جديدة، وحركة يرجى أن تكون مفيدة، ويرى في تونس حركة أخرى حيوية، تعوزها نفحة من نفحات الحرية، وليس استقلال الفكر هو كل ما استفادت نابتتنا من الأجانب بل أصابتهم نفحة من نفحات الحياة الاجتماعية. فهذا الخير يتنازع مع تلك الشرور في هذه النفوس الضعيفة ، ولا يعوز الأمة الآن إلا الأطباء الروحانيون والزعماء الاجتماعيون الذين يشرفون على الأودية والترع والسواقي التي تجري فيها سيول الحوادث الجديدة بالأمة ويقدرون على تحويلها إلى حيث تكون محيية لأرض الأمة. ما رأيت لكاتب في هذه البلاد كتابة ، ولا علمت لعامل عملا ينبئ بمراقبته للتغيير الاجتماعي الذي ينتقل بالأمة المصرية من حال إلى حال (وحاشا من فقدنا بالأمس) إلا ما يكتبه اللورد كرومر في تقاريره السنوية، وما يدبر به أمور الحكومة الكلية، هو الذي ينظر في عاقبة الأعمال المالية الكبرى ويسيرها كما يرى، وهو الذي قال في المحاكم الشرعية: إنها ستمد إليها يد لا تعرف للقديم حرمة، وهو الذي توقع من زيادة الإقبال على تعليم البنات ما توقع ، وأشار بالنظر في مغبته، هو الذي فهم ما يرمي إليه اعتصاب تلاميذ المدارس فاهتم به اهتماما لم يفهم سره إلا الأقلون فمن لنا بمرشدين ينظرون في أمورنا الكلية بتلك العين، ويرجحون سير نابتتنا خير النجدين؟ .

هذا ما نحن في أشد الحاجة إليه لإصلاح شئوننا في هذا الطور الذي نحن فيه فالزعماء المصلحون هم الذين يحولون مجاري الحوادث التي تعمل في استعداد

الأمة وتغيرها على ما فيه خيرها وسنفرد لهم مقالا خاصا بهم.

__________". (١)

٢٨.   ٢٩-"الكاتب: محمد رشيد رضا

____

العقل والقلب والدين

كانت العرب تطلق لفظ القلب على قوة الشعور ووجدان اللذة والألم وقوة الفكر والعقل الذي يميز المرء به بين النافع والضار؛ لأن قلب الشيء عندها لبه ومحضه وخالصه ، ومن الأول قوله تعالى: ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب﴾ (آل عمران: ١٥٩) ومن الثاني: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ (ق: ٣٧) وقوله: ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ (الحج: ٤٦) وقد جرى عرف بعض الأمم على إطلاق لفظ القلب على المعنى الأول خاصة ، وجعلوا سلطانه على الأمور الأدبية ، واكتفوا بالتعبير عن الثاني بلفظ العقل وجعلوا سلطانه في الأمور العلمية ، وهو اصطلاح لا تأباه لغتنا التي تجيز تخصيص اللفظ بأحد معانيه وهو ما نجري عليه في هذه المقالة.

ثم إن أهل هذا الاصطلاح جعلوا الدين من قبيل الأول حتى صاروا يقابلون العلم بالدين كما يقابلون بين العقل والقلب ، وذهب الكثيرون إلى أن هذه المقابلة مقابلة تضاد فجعلوا العقل خصيما للقلب والعلم عدوا للدين! ورأى آخرون منهم أنها مقابلة تباين فجعلوا للقلب حكمه وللعقل حكمه ومنعوا أن يعدو أحدهما طوره ويحكم غيره.

حجة القائلين بالتضاد أن القلب موضع الشعور الوهمي الذي لا حقيقة له فهو يخاف مما لا يخاف أو لا يخيف ، ويرجو ما لا يرجى ، ويتقحم به الوجدان مواقع الهلكة فيبذل النفس والنفيس فيما لا فائدة فيه فهو سلطان أخرق جائر لا يدين له إلا

---

(١) مجلة المنار ٩/١٢٠

النساء والأطفال ومن ضعف عقله من الرجال، وأعوانه رجال الدين الذين عرفوا في كل زمان ومكان بإقامة هياكل الوهم، ومعاداة العقل والعلم، وجعل وجدان الدين آلة القهر في أيدي الرؤساء المستبدين، فإذا كان الشعور بأن في الكون سلطة غيبية يجب لها الخضوع والعبودية – هو أعلى وجدان للقلب وأنفذه حكما على الجوارح، وإذا كان سائر أنواع شعوره ووجدانه كالخوف والرجاء والبغض والحب والقسوة والرحمة تخدم هذا الوجدان وتؤيده، وإذا كانت تلك السلطة العليا قد تمثلت للوهم الإنساني في الجماد وقوى الطبيعة وفي الحيوان فعبدها الإنسان ، ثم تمثلت له في أفراد منه فعبدهم وعد نفسه قد ارتقى بذلك ارتقاء مبينا، وإذا كان العقل قد كشف لقوم بطلان الوهم في أكثر تلك المظاهر للسلطة الغيبية ولآخرين بطلانه في جميعها حتى صار المرتقون من البشر فريقين: فريقا لا يزال ينقاد لذلك الوجدان ولكنه ينزهه عن التقيد بأي مظهر من مظاهر الطبيعة ويفند أكثر ما وصفته الأديان به ، وفريقا يحكم بأن ذلك الوجدان وهم لا حقيقة له، وإذا كان هؤلاء المرتقون أقرب الناس من السعادة في معيشتهم ومن النفع للناس وأبعدهم عن الشقاء الذي تثيره الأوهام التعبدية، وتمده سائر الوجدانات الدينية، وإذا كان الحس الظاهر الذي هو أقوى من وجدان القلب وفكر العقل يخذل الأول بما ظهر من مخالفة كثير من النصوص الدينية للأمور المحسوسة وينصر الثاني ويؤيده؛ أفلا يكون القلب والعقل ضدين في ذاتهما وفي أثرهما في الناس ، ويكون من الصواب أن نجعل العقل هو الحاكم والقلب هو المحكوم وأن نؤدب الوجدان بسوط الفكر والبرهان، وندع لحكم العقل والحس جميع أحكام الأديان؟

وأما حجة الذاهبين إلى أن لكل من القلب والعقل سلطانا مستقلا يباين الآخر ولا يناقضه ، وأنه يجب أن لا يعدو واحد منهما طوره ويخرج عن حدوده فهي أنه لا ينكر عاقل أن الوجدان أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه كما أن الفكر أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه وأن لكل واحد منهما أثرا منه الضار والنافع ، وأحكاما منها الخطأ ومنها الصواب وأن الإنسان في حاجة إلى كل واحد منهما فلم يخلق له أحدهما عبثا ، وأنه لا بد لكل منهما من قانون تعليمي تكون الغاية جعل

أحكامه وآثاره نافعة للإنسان ، وأن قانون القلب هو الدين الذي يوجه جميع عوامل شعوره ووجدانه إلى الخير والفضيلة ، ويصرفها عن الشر والرذيلة. وقانون العقل هو العلم بالأكوان الذي يجلي للإنسان حقائقها ويمكنه من الانتفاع بها فإذا كان خطأ العقل في بعض المسائل لا يقضي ببطلان الثقة به ولا يقتضي إزالة سلطانه وعدم الثقة بسائر أحكامه فكذلك نقول في خطأ القلب ، وإذا بحثنا في تاريخ الإنسان نرى أن علماء القلوب الذين جاءوا بقوانين الأديان كانوا أنفع للبشر من علماء الكون الذين وضعوا قوانين العلوم المادية والنظرية ، فلو فرضنا أن الإنسان يستغني بأحد الفريقين عن الآخر لكان يجب أن يستغني عن الفلاسفة وعلماء المادة دون النبيين والمرسلين لأنه قد يكتفي في حياته المادية بتجاربه التي يسوقه إليها الإحساس الفطري عن توسيع دائرة البحث في الجماد والنبات والحيوان وتكثير الصنائع التي يشقى بها الملايين من الناس ليسعد المئات والألوف بشقائهم ، ولكنه لا يكتفي قط بترك حبل شعوره ووجدانه على غاربه ، فإن حكم وجدان اللذة والألم أقوى على النفس من كل حكم وهو عرضة للبغي والعدوان إذا لم يكن له مؤدب من جنسه يضع له حدودا لا يتعداها. وهذا المؤدب هو وجدان الدين.

لا ينكر علينا علماء المادة أنه لا يوجد في الخليقة شيء من العبث وأن كل شيء خلق كاملا أو كمل بعمل الطبيعة فيه إلا الإنسان فإنه خلق أشد الكائنات المعروفة نقصا وأشدها استعدادا للكمال ، وأن كماله يكون بعلمه وكسبه وأن كل قوة من قواه الحسية والمعنوية والنفسية والجسدية التي فطر عليها هي آلة من آلات استعداده للكمال بكسبه التدريجي ، فقوة العقل التي أودعت في الإنسان لأجل التمييز بين المعقولات الصحيحة والباطلة ووجدان الدين العام وهو الشعور بالسلطة الغيبية الذي أودع في الفطرة لأجل تأديب سائر الوجدانات بما يزعها عن الشر ويصرفها إلى الخير، كل منهما قد وجد لحكمة ظهر أثرها في ارتقاء البشر بالتدريج كما هي السنة في جميع قواهم وآثارها. فقول الماديين بالنشوء والارتقاء ظاهر في شئونهم الدينية والمدنية أو القلبية والعقلية؛ فلماذا نعد خطأ البشر في استعمال الوجدان الديني في أطوار الانحطاط موجبا للقول ببطلان هذا الوجدان وضرره ، والحكم

بإعفاء أثره ، ولا نعد خطأ العقل في تلك الأطوار موجبا للحكم ببطلان أحكامه وإزالة سلطانه؟ ! .

تقولون: إن رجال الدين قد عاثوا بسلطتهم الدينية فسادا في الدين ، وخادعوا الناس بالأوهام حتى استعبدوهم ، ونقول: إننا نرى في كل من رجال الدين ورجال العلم المفسد والمصلح فكم من عالم ببعض خواص الأشياء الطبيعية قد غش الناس بعلمه ، وكم من مدع للعلم بها قد أضرهم بجهله ، وهذه العلوم المادية في هذا العصر الذي هو أرقى عصورها قد اتخذت آلات لإهلاك العباد وتدمير البلاد ، وما السحر الذي تعترفون بأنه من أشد الأمور إفسادا لعقول البشر وضررا في مجتمعهم إلا من خداع العلم فإن كان قد استفاد منه كهنة الوثنية فقد أبطله جميع الأنبياء ، وكان أقوى الشبه للضعفاء على نبوتهم فهو ضد الدين.

ويقول أهل هذا المذهب لخصمهم من الماديين: إننا نعلم أن أقوى شبهكم على الدين أمران:

(أحدهما) ما جاء في كتب الوحي مما قام الدليل الحسي أو العقلي على خلافه كإثبات التوراة أن الله حكم على الحية بأن تأكل التراب كل أيام حياتها وإثبات العهد الجديد للتثليث.

(وثانيهما) ما فيه من الأخبار الغيبية التي لا دليل عليها كوجود الملائكة والشياطين.

والمخرج منهما سهل.

أما الأول فإذا لم تسلموا بتأويل علماء الدين لهذه المشكلات وجزمهم بأن الخطأ واقع؛ فلنا أن نقول: إن بعض ما في تلك الكتب مدرج من النساخ ، وأن ما قاله الأنبياء في أمور الدنيا لم يقصدوا به بيان حقائق الموجودات ، وإنما قصدوا استخراج العبرة والموعظة وتمثيلها للناس بحسب ما عرفوا من الكون ، وإن كانت معرفتهم ناقصة أو مخالفة للحقيقة ، ولو أرادوا أن يبينوا حقائق الأكوان مع إصلاح النفوس بقضايا الأديان لما تيسر لهم ذلك ، ولكان تصديهم له خروجا عن حدود وظيفتهم المتعلقة بالقلوب والأرواح وإثارة للشبه والشكوك فيها ، فإن المسائل

الحسية والوجودية تعرف بالنظر والتجربة والاختبار لا بالتبليغ عن الخالق. ذلك أن الإنسان مستعد بفطرته للارتقاء الحسي والعقلي بدون تأييده بالوحي وأما الارتقاء القلبي أو الوجداني فهو محتاج فيه إلى الوحي لأن منه ما يتعلق بالسلطة العليا المدبرة لجميع الكائنات وما يتعلق بحياة بعد هذه الحياة ، وهذان الشعوران لم يودعا في نفس الإنسان سدى كما تقدم بل هما المبدأ لغاية كماله الروحاني والوسيلة لتهذيب جميع أنواع وجدانه وشعوره ، وبذلك تحسن أعماله وتصلح أحواله فيكون سعيدا بقدر تمسكه به.

وخلاصة هذا الجواب أن وظيفة الوحي إصلاح القلوب والأخلاق فما يذكر فيه من أمور العالم يراعى فيه معارف المخاطبين ولا يقصد لذاته فلا يضر الخطأ فيه عندهم.

وأما الثاني وهو إخبار الوحي بما لا دليل عليه من الحس ولا من العقل فالمخرج منه أن هذا لا يقال إلا إذا كان علم الأنبياء الخاص بهم مستمدا من الحس والعقل ولكنه وحي من الله ، فإذا كان لكم طريق إلى الحكم في كلامهم المتعلق بالمادة المحسوسة فلا طريق لكم إلى الحكم في كلامهم المتعلق بالإيمان بالله وبعالم الغيب لأنه ليس من المادة ولا مما يجري على سننها، ولا المتعلق بالعبادة والحث على الفضائل وبالتنفير عن المعاصي والرذائل لأنه من باب الإنشاء الذي لا يتأتى فيه الصدق والكذب ، وإنما يعرف حسن مثله وقبيحه بأثره ، وقد **ثبت بالتجربة** أن البشر يكونون على خير وصلاح بقدر تمسكهم به وعلى شر وفساد بقدر إعراضهم عنه. ومما يدل على أنهم يستمدون هذه الأنواع من العرفان من خالق الكون ومدبره أن علماء الحس والعقل يعجزون على استمداد بعضهم من بعض عن إصلاح نفوس البشر وصرف شعورهم ووجدانهم إلى الخير من غير استعانة بشيء مما جاء به الأنبياء الذين لا يمكن إقامة برهان على أنهم استمدوا عرفانهم من الناس. وهب أنهم استفادوا شيئا من عرفانهم بالكسب والنظر ، فما تقول في تلك الآيات وذلك السلطان الذي أعطوه على الأرواح؟ يقول كثير من علماء المادة وأدباء الملاحدة: إننا نقدر على كتابة في الآداب والوعظ لا تعد هذه الأناجيل في جانبها شيئا مذكورا

وفاتهم أن في مواعظ الإنجيل من السلطان على الأرواح ما يعجز أكبر الفلاسفة عن عشر معشار تأثيره في حكمه وفلسفته.

هذا ملخص ما يذهب إليه كثير من علماء الإفرنج وفلاسفتهم في وظائف العقل والقلب ، فهم يوجبون صرف العقل والحواس التي هي آلاته إلى العلوم الكونية وصرف القلب وشعوره إلى الأمور الدينية ، ولا يجيزون لأحدها أن يتحكم في الآخر. فإذا ظهر لهما أن في العلم والتاريخ ما يخالف بعض مسائل ذكرت في كتب الدين ، أو في الدين مسائل تعارض شيئا من العلم أو التاريخ فإنهم لا يرون ذلك مجوزا لإبطال أحدهما للآخر أو مسوغا لتركه؛ لأن صلاح البشر متوقف على صرف كل من العقل والقلب إلى ما هو مستعد له لم يوجد واحد منهما عبثا ولا يترك سدى. وبهذا الرأي كان كثير من أساطينهم متدينا كبسمارك أشهر زعماء السياسة وعلماء الاجتماع وباستور من كبار علماء المادة والحياة وتولستوي من عظماء الفلاسفة في العقليات والأدبيات. ويعترف هؤلاء العلماء أن في دينهم كثيرا من المسائل التي تخالف العقل والعلم والتاريخ ، وأن في كتبها ما هو بشري غير موحى به من الله ، ويقولون: إن هذا نقص في بنية الدين وجسمه لا في جوهره وروحه ، فهو يغفر ويتسامح به لشدة الحاجة إلى روح الدين التي لا غنى للبشر عنها.

وتجد في هؤلاء العظماء المتحمس في الدين الملتهب غيرة عليه كعظيم الشعوب الجرمانية (غليوم الثاني) الذي قال: إنه لولا الوحي الديني الروحاني لقضي على النوع البشري ، وقال في المسيح: إنه يملؤنا حماسة وإننا لنشعر بناره تأجج في أحشائنا ، وقال: إن الاعتقاد بأن التوارة ربما كانت مأخوذة من شرائع حمورابي لا يمنع من الاعتقاد بوحي الله لموسى وظهوره لبني إسرائيل بواسطته يعني أن استفادة موسى من معارف البشر ، ووقوع بعض الخطأ العلمي والتاريخي في كتابه لا ينافي الإيمان بأنه كان مؤيدا بروح الله ومظهرا لعنايته وعظمته ، ولا كون كتابه أعظم صلة بين البشر وبين الله كما نطق به العاهل العظيم في كلمة أخرى ، فهو يكتفي بأن يكون النبي الموحى إليه مؤيدا من الله بما يتمكن به من

هداية الناس وتوجيههم إلى عبادة الله تعالى ، ولا يشترط أن يكون كل ما يقوله موحى به من الله وكل ما يفعله مؤيدا به من الله.

إن أصحاب هذا المذهب على اعتقادهم في الوحي والأنبياء بما لا يرضاه المسلمون، بل ولا عامة المعتقدين بالنصرانية – هم أسلم فطرة وأهدى قلبا وأكمل عقلا من عبيد المادة وأسرى الحواس الذين زعموا أن الدين من شعور القلب ووجدانه الوهمي ، وأنه يجب على الإنسان أن ينسلخ من كل وجدان، ويعيش حسيا كسائر أنواع الحيوان، استحوذ عليهم حب الشهوات الحسية فانصرفوا إليها وأسرفوا فيها، وما أحبوا الانسلاخ من المزايا الإنسانية والهداية الدينية إلا لأنها تنعى عليهم إسرافهم فيها، وتطالبهم بما هو أرقى منها، وقد كثر في متفرنجي المسلمين من يقلدهم فيها. وإن لأولئك المتبوعين من علماء الإفرنج من العذر ما ليس لهؤلاء الأتباع المقلدين لهم على غير هدى؛ لأن في الدين الذي نشأ بين أهله أولئك المتبوعون من عداوة العقل والحس وعلومهما ما ليس في دين هؤلاء ، ولأن أولئك قد أوغلوا في العلوم الكونية فشغلتهم عن غيرها كعلوم القلب والروح فلم يعرفوا حقيقته، على أنهم استعبدوا لأحقر وجدان القلب وهو اللذة الحسية ، وهؤلاء لم يتقنوا علما ولم يحسنوا عملا بل نزلوا على حكم قول الشاعر:

عمي القلوب عموا عن كل فائدة ... لأنهم كفروا بالله تقليدا

هذا وإن للمسلمين في العقل والقلب والدين منزعا آخر وهاك بيانه: يسعد الإنسان بعمله ويشقى بعمله ،وعمله تابع لدعوة وجدانه وفكره: يتفقان فيمضي فيه ويختلفان فيجيب دعوة أقواهما سلطانا على النفس وتسخيرا للحس، والوجدان هو السلطان القاهر والحاكم المطاع ، وما الفكر إلا وزير يستشار فيدهن للوجدان تارة ، وينصح له تارة فأكثر الناس يعملون بدعوة شعورهم ووجدانهم لا يعارضهم في ذلك فكر ولا رأي لأن أفكارهم مسخرة مستعبدة لشعورهم ، ومنهم من يعارض فكره شعوره في بعض ما يدعو إليه فيطيعه تارة ويعصيه أخرى؛ يطيعه إذا كانت داعية الوجدان ضعيفة ويعصيه إذا كانت قوية.

إذا كان كل من الوجدان والفكر مدعاة للعمل الذي به يسعد الإنسان ويشقى

وكان قد يقع النزاع بينهما؛ وكان لكل منهما شرة وفترة يطغى في شرته فيسرف، ويتراخى في فترته فيغفل، فلا جرم أنهما في حاجة إلى مرشد حكيم، ذي سلطان مكين، مطاع ثم أمين، يرضيان بحكومته، ويقفان عند نصيحته، مهما ظهرت لهما آيته، ورفعت فوقهما رايته، وما أراك إلا قد عرفت أن هذا المرشد هو الدين وأن ظهور آياته للنفس يؤتيها الإذعان، الذي يحيط بالفكر والوجدان، فتخضع له في عامة شؤونها طوعا، وتطيعه بالاختيار سرا وجهرا، وإن ارتفاع رايته يمثل لها القوة والسلطان، مؤدبا لأهل البغي والعدوان الذين يشذون عن حكم الإذعان، وبذلك يكون الاعتدال، واستعداد الإنسان للكمال، فالدين هو الأستاذ المؤدب للوجدان والفكر معا.

الوجدان حق، وقد يطغى فيعرض له الوهم، والعقل حق وقد يمرض فيعرض له الجهل، والحواس الظاهرة حق وقد تعتل فتدرك الشيء على غير حقيقته بل كثيرا ما تخطئ، وهي صحيحة سليمة. ولا غنى للنفس عن الوجدان كما لا غنى لها عن العقل والحواس الظاهرة، بل أقول: إنه لا خطأ ولا غلط في الوجدان الصحيح أو في حكم القلب لذاته، وإنما يعرض له الوهم من الفكر الذي هو حكم العقل ، أو من خطأ الحس الذي هو حكم المشاعر الظاهرة، وكل من العقل والمشاعر الظاهرة يخطئ فيجني بخطئه على القلب وينحرف بالوجدان عن القصد.

القلب يحب الجمال الحسي والجمال المعنوي وهو الجاه والشرف ويبغض القبح الحسي والمعنوي – يتلذذ بنيل ما يحب وبرجاء نيله ويتألم بما يكره – يحزن لوقوعه ويخاف ما يتوقع منه ، فإذا رجا ما لا يرجى أو ما لا يخاف أو أحب ما لا يحب أو يكره ما لا يكره إنما يكون في ذلك تابعا لحكم غيره؛ إذ ليس من شأنه هو أن يحكم بأن هذا جميل أو قبيح أو ضار أو نافع، وإنما الحس هو الذي يحكم في الجمال والقبح الحسيين والعقل هو الذي يحكم في الجمال والقبح المعنويين. ومهما جزم العقل بأن هذا الشيء يرجى خيره ، وذلك الشيء مما يخشى ضيره ، قبل القلب حكمه ، وسخر الجوارح للعمل بنصحه ، وقلما يطغى الوجدان في شيء إلا ويكون الفكر هو الممد له في طغيانه ، فكلما أوغل العقل في التصوير والتفكير

يوغل القلب في الانفعال والتأثر ، فالذنب للعقل والفكر في طغيان وجدان القلب وتعسفه في مجاهيل الأوهام.

لو فقد الإنسان الوجدان فأمسى لا يحب ولا يكره ولا يخاف ولا يرجو ولا يرحم ولا يقسو لهلك بترك العمل والسعي في جلب المحبوب ودفع المكروه وإبقاء الخطر، وانتظار الظفر، ومواساة البائسين، ومؤاخذة المجرمين، ولم تكن تصورات العقل وأقيسة الفكر لتغني عنه شيئا. فإذا كان أدرك الوجدان في نفسه حقا وكان لا بد منه لبقاء الإنسان وكان العقل مرشدا يخطئ ويصيب فينصح بعلم أو يغش بجهل، فهل يصح أن يقال: إنهما ضدان ، أو نطلب على حقية الأول منهما البرهان ، كيف وهو أقوى الضروريات ، التي هي مقدمات البرهان اليقينيات.

على هذه الطريقة أساء العقل التصرف في وجدان مبدأ الدين في الإنسان فقد امتاز الإنسان على سائر الحيوان بوجدان كان هو الأصل في ارتقائه التدريجي وحسب استعداده، وهو الشعور بأن في الوجود سلطة غيبية متصرفة في العالم.

هذا هو مبدأ الدين في البشر، وقد كان العقل في طفوليته يبحث عن علل الأشياء وأسبابها فكلما عجز عن إدراك شيء منها حكم بأنه هو صاحب تلك السلطة وتبعه الوجدان في الإذعان له والعبادة، وكان إذا ما ارتقى العقل في شعب من الشعوب أي استعد أفراد منه للارتقاء عن التعبد للأشياء المحدثة بعث الله تعالى فيهم من يدعو العقل إلى أعلى مقام في العرفان؛ ليتبعه القلب في العبادة والإذعان يدعوه إلى التوحيد الذي هو عبارة عن الجزم بأن كل ما يدركه الحس ويتصرف فيه الفكر فهو من المحدثات إلى تدبرها تلك السلطة الغيبية العليا المطلقة التي لا تتقيد بشيء ولا تحل فيه ليعلم العقل أن تصديه لعلم حقيقة مصدر تلك السلطة التي يجدها القلب كما تدرك الحواس المحسوسات ضرب من المحال ولذلك سميت إلها؛ لأن العقل يوله ويتحير في البحث عن حقيقتها ، فلسان أولئك الدعاة الكرام عليهم الصلاة والسلام يقول للعقل الصحيح: إنك تجد في القلب حبا وكرها ورجاء وخوفا؛ فلا تبحث عن حقيقة هذه الوجدانات ، ولا تحاول الاستدلال عليها لأنها قطعية في نفسها ، وإنما وظيفتك إرشاد القلب إلى الإحسان في استخدام الجوارح لها فأولى لك ثم

أولى أن لا تبحث عن حقيقة وجدان الدين وكنهه فضلا عن مصدره ، وإنما عليك أن تستعين به على تدبير مملكة القلب، على أننا لا نمنعك الاستدلال على مصدر تلك السلطة الراسخة في الواجدان لحكمة امتاز بها الإنسان، وإنما ندعوك إلى النظر في وحدة نظام الأكوان، والتأمل فيما أودعته من الحكمة والإتقان، لتوقن أنها لم تكن كذلك إلا لوحدة مصدرها، وعموم سلطان مدبرها، فتجله عن الظهور في حجر أو شجر أو حيوان، وعن الحلول في كوكب أو إنسان، وإلى هذا الارتقاء الديني الإشارة بقوله تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين..﴾ (البقرة: ٢١٣) إلخ وبه ارتقى العلم نفسه.

ألم تر أن العلم كان يسير مع الدين، والتهذيب كان محصورا في الكهنة والأحبار والقسيسين، نعم إن هؤلاء الزعماء للدين كانوا يقودون الشعوب بوجدانها ، ويحظرون على عقولها حرية التصرف ولهم العذر في هذه السياسة لو لم يسرفوا فيها فإنه لم يكن لضبط شئون العامة من سبيل إلا وجدان الدين مع أن فكر الأكثرين لم يرتق إلى الاستعداد للاستقلال التام والاستغناء عن سيطرة الرؤساء ، فلما استعد لذلك آتاه الله الدين الأخير الذي هو منتهى النشوء والارتقاء ، وهو الإسلام الذي وفق بين الحس والوجدان والفكر ، وآخى بين العقل والقلب فكان هو الهداية التي تم بها الاستقلال، واستعد بها البشر لنهاية الكمال.

كان زعماء الدين قد أساءوا التصرف في وجدانات القلب فساموها الإفراط والتفريط ، وشددوا الحجر على العقل فلم يجعلوا له رأيا في آداب النفس ولا في فهم العبادة بل ولا في مصالح المعاش ففصلوا بين القلب والعقل ، وجعلوا العلم عدوا للدين ، وأقاموا أنفسهم مسيطرين على كل شيء ومكنهم الدين من ذلك ببنائه على أساس التقليد. فلما جاء الإسلام كان من أول عمله نسف هذا الأساس وإبطال تلك الزعامة حتى أنه لم يجعل للنبي نفسه شيئا منها: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ (آل عمران: ١٢٨) ، ﴿فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر﴾ (الغاشية : ٢١-٢٢) حتى كان يرجع عن رأيه إلى أصحابه ، ثم إنه بين العقائد بالبراهين العقلية، وقرن الآداب والأخلاق بذكر فوائدها الروحية والجسدية، وعلل الأحكام

بالمصالح والمنافع الاجتماعية، وأمر بالعلم الكوني وجعله أقوى دعائم اليقين، وأرشد إلى سنن الكون والاجتماع وجعلها معراج الرقي في الدنيا والدين، فجعل الحواس والقلب والعقل شركاء في هدايته وإرشاده لتكون جميع قوى الإنسان متحدة في إبلاغه غاية كماله، وكان كتابه حجة عقلية على حقيته بما فيه من أرقى العلوم والعرفان، وأعظم السلطان على العقل والوجدان، مع عصمته من الاختلاف والتناقض وحفظه من التغيير والضياع، وغير ذلك مما لا محل لشرحه هنا.

أفيليق بمن عرف هذا الدين أن يقول فيه بنقيض ما جاء به اتباعا لمن فرقوا بين عقل المرء وقلبه، وبين علمه بالكون وعلمه بنفسه وبربه، أم يليق أن يترك هداية هذا الدين، ويتبع وسوسة الماديين؟ ! .

كلا، إن من عرف هذا الدين لا يمكن أن يتركه ، ولكن الذين ضلوا وأضلوا عن هدي القرآن المجيد بما وضعوا في أعناق المسلمين من وهق التقليد قد حجبوهم عن محاسن هذا الدين، وأبرزوا لهم في مكانها جميع مساوي المتقدمين، فصدق عليهم حديث الصحيحين: (لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) فهم العلة لكفر من كفر، وفجور من فجر، فعسى أن يهيئ الله للمسلمين من أهل الإصلاح من يخرجهم من جحر الضب الذي دخلوه، ويعيد إليهم هدي القرآن الذي تركوه، أو يهدي غيرهم إلى هذه الحقيقة، ويقيمهم على هذه الطريقة، فيتآخى بهم العلم والدين، ويكونون هم الأئمة الوارثين، وإن ذلك لواقع ولو بعد حين، والعاقبة للمتقين.

___________". (١)

٢٩. ٣٠-"الكاتب: محمد رشيد رضا

____

المتفرنجون والإصلاح الإسلامي

(٣)

---

(١) مجلة المنار ١٨٦/٩

الإسلام وأصول الشريعة

قد علم – مما تقدم في المقالتين الأوليين – أن من المتفرنجين من يدعو المسلمين إلى هدم أصول الشريعة الإسلامية كلها، والاستعاضة عنها بقوانين يضعها حكام كل قطر مستقل بآرائهم، وإن استمدوا أصوله وفروعه من قوانين أمم أخرى مخالفة للمسلمين في عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصالحهم، وأن من هؤلاء المتفرنجين من يلبس على المسلمين بما يدعوهم إليه من إفساد دينهم وهدم شرعهم الذي هو أعظم مقومات أمتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من ثوب الإصلاح، وإن أغرب أحوالهم المتناقضة أن بعضهم يتكلم باسم الإسلام، ويدعي إمكان الجمع بينه وبين نبذ أصوله كلها استهجانا لها؛ بزعم أنها وضعت لقوم لم يرتقوا إلى الكمال الإنساني الذي ارتقى إليه هؤلاء المتفرنجون، ومن أهم أصوله إباحة السفاح بالبغاء، أو اتخاذ الأخدان لكل عذراء تجاوزت السنة الرابعة عشرة، أي صارت بنيتها مستعدة لهذا التمتع المفسد للصحة، الجالب للأدواء القاتلة، المقلل لنسل الأمة، المشوه لآدابها، الموقع للعداوة والبغضاء بين أفرادها وبين أسرها.

جهر بهذا صاحب الخطبة أو الرسالة التي نرد عليها في هذه المقالات بما تقدم بيانه في المقالة الثانية مع الوعد بالرد عليه، وإننا نبدأ الرد في كلمة وجيزة في بيان ما يناسب المقام من تعريف ما يكون به المسلم مسلما؛ ليعلم هل يمكن الجمع بين الإسلام وبين ما جاء به، ودعا إليه أحمد صفوت أفندي من حيث هو مسلم، وإن كنا قد بينا هذا في المنار من عهد قريب؛ لئلا يقع بعض الجاهلين فيما يعده جميع المسلمين كفرا، وهو لا يدري، فنقول:

الإسلام والكفر:

إن الإسلام الصحيح عبارة عن الإذعان النفسي والخضوع الفعلي لجميع ما جاء به محمد خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى، مع الاعتقاد الجازم بأن كل ذلك حق وخير، وأن كل ما يخالفه باطل وشر، سواء كان

ذلك الجزم بدليل قطعي أو إقناعي أو بغير دليل كما هو رأي الجمهور في صحة إيمان المقلدين. فمن أذعن بالفعل ظاهرا – وهو غير مؤمن بما ذكر – فهو منافق، ومن اعتقد وأيقن ولم يذعن فهو جاحد مجاهر، كما قال تعالى – في قوم فرعون –: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ (النمل: ١٤).

وإن الإذعان والخضوع لبعض ما جاء به الرسول دون بعض – كفر كالإيمان ببعضه دون بعض، قال تعالى – فيمن خالفوا بعض أحكام كتابهم الدنيوية –: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾ (البقرة: ٨٥) ؛ ولذلك أجمع أهل الحل والعقد من الصحابة بعد التشاور على قتال مانعي الزكاة وعدوهم مرتدين عن الإسلام. وليس منه مخالفة بعض الأوامر والنواهي بجهل أو تأول أو جهالة، كغلبة غضب أو شهوة مع الإذعان النفسي في عامة الأحوال، والعمل فيما سوى هذه الشواذ، فإن الجاهل يرجع إذا زال جهله بالعلم الصحيح، والفاسق يتوب إذا زالت جهالته بذكر الله وتذكر الوعد والوعيد ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب﴾ (النساء: ١٧).

فهذا هو الإسلام الذي لا يعتد المسلمين بدين من خالفه، ولا يعدونه منهم، فلا يرثونه، ولا يرثهم، ولا يحل لهم أن يزوجوه مسلمة منهم، ولا أن يدفنوه في مقابرهم. ثم إن ما جاء به الرسول قسمان: قطعي الرواية والدلالة وغير قطعي، وقد بينا حكم كل منهما في تفسير الجزء الماضي من المنار. ومن القطعي المعلوم من الدين بالضرورة أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، ويلزمه أن شرع الإسلام باق ما بقي البشر، لا ينسخه شيء، وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم من كان في عصره من المسلمين أن يبلغوا من بعدهم، ولم يفرق أحد من سلف المسلمين وخلفهم بين من بلغتهم دعوته صلى الله عليه وسلم منه في عصره ومن بلغته من غيره بعده. فمن يدعي الإسلام ويزعم أن ما جاء به الرسول من أحكام

الشرع لم يكلف اتباعه فيه كله إلا الذين كانوا في زمنه؛ لأنه كان حاكمهم، وأن من بعدهم لا يكلفون إلا اتباع ما تشرعه لهم حكامهم، سواء كانوا منهم أو من غيرهم، وأنه لا فرق بين هؤلاء الحكام وبين الرسول في كونهم شارعين يجب اتباع أحكام شرعهم في الأمور الشخصية والمدنية والتأديبية على سواء، وينسخ المتأخر منهم ما شرعه من قبله، من يدعي ما ذكر - فقد جاء بدين جديد معارض لدين الإسلام مع انتحاله لاسمه، ولا يعتد أحد بإسلامه إلا من استجاب له وقبل دعوته، كما فعلت فرق الباطنية قديما وحديثا، فإنهم حرفوا أصول الإسلام وفروعه، وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، فلم يعتد المسلمون بانتحالهم لقب الإسلام في الظاهر، بل سموهم بأسماء أخرى كالإسماعيلية والدروز والنصيرية والبابية والبهائية، ولم يبح مسلم سني ولا شيعي ولا خارجي أكل ذبائحهم ولا تزويجهم ولا التزوج منهم؛ لأنهم أبعد عن الإسلام من أهل الكتاب، الذين يبيح السواد الأعظم من المسلمين أكل ذبائحهم والتزوج منهم، فكيف بالتوارث الذي لا يحل بين المسلمين وأهل الكتاب؟ !

فيجب على قائل ذلك القول وعلى من صدقه أن يرجعوا عنه؛ إذ قد قالوه عن جهل بحقيقة الإسلام، وعسى أن يكونوا قد فعلوا، فنحن أحرص الناس على عدم إخراج أحد ينتمي للإسلام من حظيرته، وإنما نبين الحقيقة عند الحاجة في نفسها، ولا نحكم على شخص معين بها ولا بلوازمها، وإنما نعين الأشخاص على الحكم على أنفسهم، وعلى معرفة حكم الله فيمن يعرفون حالهم، سواء كان في مسألة الشارع والتشريع أو في غيرها.

ومن الأصول المجمع عليها بين المسلمين أن لا حكم لغير الله بعد ورود شرعه، وسيأتي الكلام في ذلك ومن كان في قلبه شبهة من ذلك القول الناقض لهذا الأصل فيجب عليه أن يبحث حتى يزيلها، ويطمئن قلبه بوجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع ما ثبت عنه من أمر الشرع، وسنرد الشبهات التي ذكرها أحمد أفندي صفوت في بحث الكتاب والسنة.

بعد هذه المقدمة - التي وفينا فيها بوعدنا في آخر المقالة الثانية - نبدأ بنقل

كلام أحمد أفندي صفوت على الترتيب الذي ذكرناه في تلك المقالة، فنقول:

القياس من أصول الشريعة:

القياس ليس من الأصول التي أجمع عليها المسلمون، بل الفقهاء فيه فريقان: أحدهما يثبته وهم الجمهور، ومنهم المقتصد فيه، والقائل بأنه ضرورة تقدر بقدرها، ومنهم المقتصد فيه، والمبالغ في التوسع، وثانيهما ينكره وهم الظاهرية. وقد بينا حجج الفريقين وتحقيق الحق في ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ (المائدة: ١٠١) الآية [١] والقياسيون لم يقولوا بالقياس إلا بما ظهر لهم من الدليل عليه من الكتاب والسنة. والظاهرية لم ينفوا القياس إلا لاعتقادهم أن نصوص الكتاب والسنة وقواعدهما مغنية عنه.

وأما غلاة المتفرنجين فإنهم يردون القياس؛ لأنه مبني على كتاب الله وسنة رسوله، لا لأنهم يستغنون عنه بنصوصهما كالظاهرية من علماء السنة، بل هم يرغبون عنهما بالذات، وعنه بالتبع لهما، ويستبدلون بأصولهما وأحكامهما أحكاما أخرى يقيسون عليها، صرح بذلك أحمد أفندي صفوت في خطابه، كما نقلناه في المقالة الثانية عن ص ٢١ من رسالته، قال:

(أما القياس فنصرف النظر عنه؛ لأننا سنقيس بأنفسنا على أحكام الأصول الأخرى) أي الأصول التي تشرعها لهم حكوماتهم، كأصل الحرية الشخصية في القانون المصري، وتقدم بيان ذلك والتمثيل له في المقالة الثانية، ولا نطيل القول في هذه المسألة؛ لأنها غير مقصودة لذاتها؛ ولأن رده القياس الفقهي ليس لدليل شرعي ولا عقلي على فساده، ولا لكونه ينافي الحق والعدل، وسيأتي له ذكر في الكلام بعد.

***

الإجماع من أصول الشريعة:

قد اختلف علماء أصول الفقه الإسلامي في الإجماع الاصطلاحي الذي عرفوه بقولهم: (هو اتفاق مجتهدي أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته على أمر من

الأمور) ، فقال بعضهم بعدم إمكانه، وبعضهم بعدم إمكان العلم به وبعضهم بعدم إمكان نقله إلى من يحتج به وبعضهم بعدم كونه حجة، والإمام أحمد والظاهرية لا يحتجون إلا بإجماع الصحابة، ويستدل العلماء - الذين يحتجون بالإجماع الاصطلاحي، وهم جمهور سائر المذاهب - بآيات من القرآن وأحاديث فهموا منها إثبات حجية الإجماع، أدناها مرتبة في الرواية حديث ابن عمر: (لن تجتمع أمتي على الضلالة) ، كما رواه الطبراني في الكبير عنه، أو (لا تجتمع أمتي على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار) كما رواه الترمذي عنه، وقد نوزعوا في دلالة ما استدلوا به على إجماعهم الاصطلاحي، وقد حررنا بحث الإجماع، وما يقوم الدليل عليه منه في تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ... ﴾ (النساء: ٥٩) ، وبينا هنالك أن أصول الشريعة الإسلامية أصح وأعدل وأفضل من جميع الحكومات الشوروية التي يسمونها في عرف هذا العصر بالنيابية وبالديمقراطية [٢] .

وأما غلاة المتفرنجين فيردون إجماع المسلمين من الصحابة وغيرهم بغير علم ولا فهم؛ لأنهم يرغبون عن كل ما هو إسلامي قديما أو حديثا إلى قواعد تشريعهم الجديد، الذي نذكر بعض مسائله في الأحكام الشخصية من هذا البحث لا لمخالفة الإجماع للعدل أو للمصلحة؛ فشأنهم فيه شأنهم في القياس كما تقدم آنفا.

قال لسانهم أحمد أفندي صفوت في خطابه المعهود: وأما الإجماع وحجتهم فيه حديث: (لا تجتمع أمتي على ضلال) [٣]- فنقسمه إلى قسمين: إما إجماع العلماء أو حكم ولي الأمر السابق، وبحسب قواعد نظامنا القضائي لا نتقيد برأي مهما أجمع عليه الشراح، إلى أن نوافق على إجماعهم! . اهـ، فجعل حكم ولي الأمر السابق داخلا في معنى الإجماع، وما هو منه في شيء، وفسر إجماع العلماء بما يتفق عليه شراح كتب الفقه من الآراء - كما هو المتبادر من عبارته - وهذا الإطلاق باطل، كما علم من تعريف الإجماع الذي ذكرناه آنفا.

ثم إنه زعم أن المتأخرين هم الذين جعلوا الإجماع حجة رضاء منهم بحكم السابقين! (قال) : (ونحن نرفض حكم المتأخرين والسابقين) فهو بعد قوله: إن

علماء المسلمين يستدلون على حجية الإجماع بالحديث الذي ذكره، ولم ينازع في دلالته على ذلك – يرفضه بصفته مسلما، ويدعي أن المتأخرين وحدهم هم الذين جعلوه حجة. وذلك دليل على أنه لا يعرف معنى الإجماع ولا تاريخه، وأنه لا يفهم معنى ما يقوله، وما يكتبه بالعربية، دع ما فيه من الخطأ والغلط اللغوي، فهو إذا لا يرفض شيئا من أصول الشريعة – دع فروعها التي هي تبع لها في الرفض – لأنه لا دليل عليه، ولا لأن دليله معارض بما هو أقوى منه، ولا لأنه غير مطابق لمصلحة المسلمين في هذا العصر، وإن كان هو وأمثاله يزعمون ذلك بغير علم – بل لأنه يستبدل بما شرع الله وبكل ما يبنى ما يشرعه الناس، وإن اختلف في كل قطر إسلامي باختلاف أفكار الشارعين أصحاب السلطة والنفوذ فيه، بحيث يكون للمسلمين عشرات من الشرائع في أحكام الزواج والطلاق وما يتبعهما وفي سائر الأحكام؛ حتى يخرجوا عن كونهم أمة واحدة كما سماهم الله تعالى. ومن يرفض أصول الشريعة الإسلامية وجميع أحكام أهلها من المتقدمين والمتأخرين – لما ذكرنا من العلة – كيف يبالي بتفريق شمل الأمة، وتقطيع جميع الروابط والمقومات التي كانت بها أمة؟ ! ومن كان مكانه من الإسلام والعلم بمصالح أهله ما ذكرنا فهل يستبعد منه أن يعد هذا الفساد إصلاحا وطنيا، كما نسمع من هؤلاء المتفرنجين كثيرا، ونرى مثله فيما يكتبون أحيانا؟ !

قلنا: إن فريق الغلاة من هؤلاء المتفرنجين يرفضون الإجماع وهو اتفاق علماء الشرع المستقلين من المسلمين؛ لأنه إجماع المسلمين، وما ذاك إلا أنهم مرقوا من دينهم ولا يحبون أن يبقى لهم به صلة ما، بل يحاولون إفساد عقيدة كل من استطاعوا فتنته من أهل هذا الدين، كما يفعل أمثالهم من دعاة الأديان أو دعاة الإلحاد.

قلنا: إنهم يرفضون القياس الإسلامي أيضا؛ لأنه يستند على نصوص الكتاب والسنة التي لا يدينون بهما، ولكنهم يجيزون القياس على ما يستحسنون من نصوص القوانين الوضعية. كما أنهم يستحسنون العمل بما يتفق عليه علماء هذه القوانين من أي ملة كانوا، ومن قبل رأي الأفراد من قوم فهو أجدر بقبول رأي

الجماهير منهم.

وقلنا: إنهم لا يرفضون ذلك بدليل عقلي ولا شرعي، فيكون موضوع المناقشة بيننا وبينهم كما وقع بين سلفنا كالظاهرية والقياسية ونفاة الإجماع الأصولي على إطلاقه ومثبتيه وكما وقع الآن بين المستقلين في الفهم منا.

وأما غير الغلاء المرتدين من المتفرنجين فيوجد فيهم من يجد في صدره حرجا من الفقه الإسلامي؛ إذ يرى كثيرا من فروعه غير معقولة أو غير عادلة، ويرى أن قائليها لا حجة لهم عليها، غير أقيسة لهم يعتقد أنهم آراء لهم أو مفهومات لعبارات كتب مذهبهم، لا يظهر لها أصل من نصوص الكتاب والسنة، أو دعوى إجماع لم يثبت باتفاق المحدثين والمؤرخين على نقله، ولا حجة على جعله كالنص الذي لا سبيل إلى نقضه.

ويوجد فيهم من قد ينكر كون القياس حجة، أو من ينكر كثيرا مما ذكروا له مسالك العلة، ومن ينكر حجية الإجماع أو إمكانه أو إمكان العلم به، وأكثر منهم من ينكر كونه حجة دائمة باقية كالكتاب والسنة، وكون آراء الفقهاء الاجتهادية شرعا ثابتا يجب العمل به، وإن ظهر لنا من النصوص خلافه، أو **ثبت بالتجربة** ضرره في مصالح الأمة الشخصية أو المنزلية، أو شئونها الاجتماعية والسياسية.

ويوجد فيهم – وفي غيرهم من مستقلي الفكر – من يظنون بادي الرأي أن أكثر أحكام الفقه القضائية والسياسية آراء للمجتهدين، إن كانت كلها أو جلها موافقة للمصلحة في الزمن الذي وضعت فيه، فقد صارت غير موافقة لمصلحة المسلمين أنفسهم في هذا الزمن.

وفي كل فريق ممن ذكرنا مقتصد في نقده لهذا الفقه ومسرف، ومستدل ومقلد، ومن المستدلين الواسع الاطلاع، والحافظ لقليل مما ينتقد من الأحكام، ومنها بعض الأحكام الشخصية التي ألفت اللجنة المعهودة لأجلها. ومن يراجع مجلد المنار الرابع يرى فيه مناظرة في نقد الفقه الإسلامي بين كاتبين من أشهر الكتاب المعتدلين.

وقد مر على أول بحث حضرته بمصر في هذه المسألة زهاء عشرين سنة،

وكان في دار سعد زغلول باشا ولم أنس كلمة قالها ثم قاسم بك أمين لمن ذكر في الأمثلة المنتقدة مسألة الربا وهي: (إن تحريم الربا المنصوص في القرآن وكل ما نص في القرآن يجب أن يؤخذ بالتسليم من غير بحث، وإنما نبحث في أقوال الفقهاء) . اهـ. وبعد هذا بسنة أو سنتين زرت الأستاذ الإمام في يوم عيد، فألفيته في مكتبه داخل الدار مع أحمد فتحي زغلول باشا محتجبا عن جماهير المهنئين الذين يجلسون في حجرة الاستقبال، ريثما يشربون القهوة، وينصرفون، فلما جلست إليهما وجدتهما يبحثان في مسألة الإجماع، ورأيت الأستاذ يوافق جليسه في بعض ما ينكره من مباحث هذه المسألة، فقلت لهما: إني أفهم في الإجماع معنى آخر غير المشهور في كتب الأصول، وهو اتفاق أهل الحل والعقد كلهم أو أكثرهم مجتمعين على ما لا نص عليه من الأمور المتعلقة بمصالح الأمة القضائية أو السياسية، سواء كان في استنباط الأحكام لها أو في تنفيذها، وأرى أن ذلك ينطبق على أدلة الإجماع، ويوافق عمل السلف كجمع الخلفاء الراشدين أهل العلم والرأي للتشاور فيما لم يرد فيه نص من الكتاب، ولم تجر به سنة نبوية، وفي مبايعة الخلفاء، فقال الأستاذ: إن هذا المعنى صحيح، لا إشكال فيه، ولا اعتراض عليه، واستحسنه أحمد فتحي غاية الاستحسان. وقد بينت هذا المعنى بعد ذلك بما كتبته في المقالة الثالثة عشرة، وهي المقالة الأخيرة من مقالات (محاورات المصلح والمقلد) في بحث الوحدة الإسلامية في السياسة والقضاء المنشورة في مجلد المنار الرابع، وقد اطلع عليه الأستاذ الإمام يومئذ، فأعجبه، ثم زدته بيانا في تفسير ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ (النساء: ٥٩) المنشور في أواخر المجلد الثالث عشر وأوائل المجلد الرابع عشر من المنار، بعد أن نقلت من الأستاذ الإمام قوله: إنه اهتدى إليه بعد البحث في المسألة والتفكر فيها عدة سنين، وإنه كان يظن لم يسبق إليه حتى رأى النيسابوري صرح به في تفسيره، وقد ذكرت هنالك أن النيسابوري أخذه عن الرازي وزاده بيانا، ثم أيدت قولهما، ووضحته بكلام السعد التفتازاني في مسألة انعقاد المبايعة بالإمامة وقد حققت في المسألة أن الإجماع في الإسلام في معنى مجالس نواب الأمة في القوانين الإفرنجية،

إلا أنه أكمل منها. والقياس - وهو ركن الاجتهاد للأفراد - معهود عندهم أيضا، يجري عليه القضاء ووكلاء الدعاوي وشراح القوانين، فالقوم قد اقتبسوا من أصول الفقه الإسلامي وفروعه ما ارتقت به قوانينهم، ونحن أهملنا وقصرنا، ورضينا بالجهل الذي هو التقليد، حتى صار أهل شرعنا ينفرون ويفرون منه ويقلدون الإفرنج أو يجتهدون في قوانينهم، ولو لم يحرمهم علماء السوء الجامدون وأمراء الجهل الظالمون من الاجتهاد في شرعهم لما فروا إلى شرائع الأجانب وقوانينهم.

ألا أنه لا علاج لردة بعض المرتدين، ولابتداع كثير من المبتدعين ولا لضعف سائر المتفرنجين - الذين لا يزالون مؤمنين - إلا سلوك سبيل الاستقلال في فهم الشرع، وبيان مكانته من المساواة والعدل، وموافقته لمصالح الناس، من جميع الأجناس وشرح معنى قولنا: إنه أعظم مقومات هذه الأمة، تبقى ببقائه، وتزول بزواله، وتفصيل ما يتبع ذلك من مقاصد الذين ربوا هؤلاء المتفرنجين على كراهته، وهم لا يشعرون بعلة ذلك ولا بعاقبته، فإذا ظل صنف الفقهاء والمتكلمين منا على جمودهم، وإيجاب تقليد ما اختاره المقلدون المتأخرون الذين يعالجون مصنفاتهم - فسيغلبهم هؤلاء المتفرنجون وأعوانهم على هدم ما بقي من شرعهم ودينهم، بل يجعلونهم أعوانا لهم على هذا الهدم، على جهل بذلك أو على علم، وها نحن أولاء نرى مبدأ تشريع جديد، ووضع طريف يلبس بتليد، يصيح بجانبيه مثل هذا الصوت الشديد، الذي أوجب هذا الرد العتيد وقد رأينا من أصحاب العمائم من نصر ذلك القصد الخفي، ولم نر منهم من أنكر هذا الصوت الجلي، فأين الغيرة على الدين؟ !

إنا لنراها تظهر على أشدها في تضليل من يدعو إلى هداية الكتاب والسنة، ولم نر لها أثرا في تخطئة من يدعو إلى ترك كل من الكتاب والسنة، فإن كان ذنب الأول أنه يؤثر الاجتهاد على التقليد فالثاني يهدم كلا من الاجتهاد والتقليد! ، وزال اعتذار الجامدين على التقليد بأن كلمة الدهماء مجتمعة عليه، فصار سببا للتفرق في الدين والارتداد عنه.

وإذا كان الإجماع (وهو ما يقرر باجتهاد جماعة أهل الحل والعقد) -

والقياس (وهو ما يستنبطه بالاجتهاد أفراد أهل العلم) هما أرقى ما اقتبسه منا الإفرنج، وسبقنا إليهما ثابت بالنقل والعقل، وظهر أنه لا علة لرد من يرفضهما من المتفرنجين المارقين، إلا كونهما من هداية الدين، وتقييدهما بنصوص الكتاب والسنة، وكونهما من آثار أئمة هذه الأمة، فننتقل إلى الكلام معهم في أصلي الكتاب والسنة؛ لنتبين هل ينبذونهما لذاتهما، أم لعلل يستنكرونها فيهما؟ ، وموعدنا في ذلك المقالة الرابعة.

((يتبع بمقال تال))

---

(١) يراجع في المجلد ١٨ من المنار، وفي ج٧ من التفسير وهو بحث يستغرق ٧٥ صفحة.

(٢) يراجع ذلك في مجلدي المنار ١٣ و١٤، وفي الجزء الخامس من التفسير.

(٣) صوابه: ضلالة، كما تقدم آنفا.". (١)

٣٠. ٣١-"الكاتب: محمد رشيد رضا

فتاوى المنار

أسئلة عن أحاديث الصحيحين وما قيل من أغلاطها

ورواية أبي هريرة، والفرق بين أحاديث التشريع وغيرها

س ١-٩ من صاحب الإمضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله هادي الأنام، والصلاة والسلام على البشير النذير خاتم الرسل الكرام وعلى آله هداة الأمم ومنار الإسلام.

أما بعد: من أحمد محمد شهاب إلى حضرة من بعثه الله مجددا لما اندرس من معالم الدين، ناصر السنة، وقامع البدعة، حامي بيضة الإسلام، إمام الأئمة

---

(١) مجلة المنار ٤٢٩/٢٠

الأعلام [*] صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا.

السلام عليكم ورحمة الله، اطلعت على كتاب سبل السلام شرح بلوغ المرام الذي صححه وعلق عليه حضرة الأستاذ النابه الشيخ محمد عبد العزيز الخولي المدرس بقسم التخصص في القضاء الشرعي، فإذا الكتاب طبع في مطبعتين إحداهما المطبعة المنيرية لصاحبها حضرة الشيخ محمد منير أغا، والأخرى للشيخ محمد علي صبيح، وقد جاء في نسخة المطبعة الأولى صحيفة ٩ جزء ١ تعليق لحضرة المصحح على شرح الحديث الشريف ١٢ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا وقع الذباب في شراب فليغمسه ثم لينزعه؛ فإن في أحد جناحي داء وفي الآخر شفاء) نقلا عما كتبه حضرة الطبيب محمد توفيق صدقي العالم المتدين في كتابه سنن الكائنات صحيفة ١٦٢ جزء١٠ ومما جاء فيه: إن من عادة الذباب أن يجتمع على القاذورات والنجاسات، ثم ينتقل منها على طعام الإنسان أو يسقط في شرابه أو يقف فوق عينيه، وبذلك تنتقل جراثيم الأمراض إلى الإنسان وتنتشر بين أفراد هذا النوع، واستشهد على ذلك بما قرره أطباء الإنكليز في حرب الترنسفال من انتقال العدوى في أفراد الجيش بواسطة الذباب، إلى أن قال: إذا وقف الذباب على الأعين وجب طرده في الحال وإذا وقف على الطعام أو سقط في الشراب فالأسلم تطهيرهما بالنار. أما ما رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فهذا الحديث مشكل وإن كان سنده صحيحا، فكم في الصحيحين من أحاديث اتضح لعلماء الحديث غلط الرواة فيها، كحديث (خلق الله التربة يوم السبت) مثلا وغيره مما ذكره المحققون، وكم فيهما من أحاديث لم يأخذ بها الأئمة في مذاهبهم، فليس ورود هذا الحديث في البخاري دليلا قاطعا على أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله بلفظه؛ مع منافاته للعلم وعدم إمكان تأويله، مع أن مضمونه يناقض حديث أبي هريرة وميمونة؛ وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الفأرة تقع في السمن، فقال: (إن كان جامدا فاطرحوها وما حولها وكلوا الباقي، وإن كان ذائبا فأريقوه أو لا تقربوه) فالذي يقول ذلك لا يبيح أكل الشيء إذا وقع فيه الذباب؛ فإن ضرر كل من الذباب والفئران عظيم، على أن حديث

الذباب هذا رواه أبو هريرة، وفي حديثه وتحديثه مقال بين الصحابة أنفسهم! خصوصا فيما انفرد به كما يعلم ذلك من سيرته، وهب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك حقيقة، فمن المعلوم أن المسلم لا يجب عليه الأخذ بكلام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في المسائل الدنيوية المحضة التي ليست من التشريع، بل الواجب عليه أن يمحصها ويعرضها على العلم والتجربة، فإن اتضح له صحتها أخذ بها وإن علم أنها مما قاله الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم) بحسب رأيهم، وهو يجوز عليهم الخطأ في مثل ذلك! وقد حقق هذه المسألة القاضي عياض في كتابه الشفاء، فليراجعه من شاء. ومما رواه فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق، وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب) انتهى.

والذي نريد أن نعرفه من فضيلتكم:

١- ما هي أحاديث الصحيحين التي اتضح لعلماء الحديث غلط الرواة فيها؟

٢- ما في حديث وتحديث أبي هريرة رضي الله عنه من المقال؟ وما الذي قيل في سيرته؟

٣-إذا كان لا يجب الأخذ بكلام الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم) في المسائل الدنيوية المحضة، أفلا يكون الأخذ بها سنة أو مندوبا؟

٤- هل يوجد ضابط لا يتطرق إليه القيل والقال في التمييز بين ما قيل من النبي صلى الله عليه وسلم في المسائل الدنيوية، وما قاله من قبل نفسه، وما قاله على سبيل التشريع؟

٥- جواز خطأ الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم) ، فما قالوه من أنفسهم ودليله وحكمه؟ وهل ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من هذا القيل محصور وما هو؟

٦- التوفيق بين حديثي الذباب والفأرة؟

٧- هل حديث الذباب مع ما يشتمل عليه من الأخبار، يقال من قبل الرأي أو التشريع.

٨- كيف يكون القول الصادر عن الطبيب محمد توفيق صدقي كفرا مع قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق، وما قلت فيه من قبل نفسي) .. إلخ، وما درجة هذا الحديث ومن خرجه؟

٩- جاء في تعليق النسخة طبعة صبيح، طعن مر على ما كتبه الدكتور محمد صدقي وأنه كفر، فهل يجوز هذا الطعن، وما حكم قائله؟

نرجو الإفادة عن كل ما تقدم بتوسع، حتى تكون الأمة على بينة منه، وإنا منتظرون فيما تكتبون الشفاء، والمعهود في سماحتكم الوفاء، ودمتم محفوظين، وبعناية المولى القدير ملحوظين، والسلام.

... ... ٢٨/١١/١٩٢٧

... ... المخلص

... ... أحمد محمد شهاب

... ... رئيس نقطة الحبابية مركز منوف منوفية

(المنار)

نحيي السائل بخير من تحيته، من السلام ورحمة الله وبركاته ونعمته،

ونسأله تعالى أن يجعلنا أهلا لحسن ظنه وإخلاص نيته، ونخبره بأن أسئلته المهمة قد سبق لنا تحقيقها في المنار؛ لذلك نجيب عنها بالاختصار، فنقول:

(أجوبة المنار بالترتيب)

١- أحاديث الصحيحين التي ظهر غلط الرواة فيها

لم أقف على إحصاء لأحاديث الصحيحين التي اتضح لعلماء الحديث أن الرواة غلطوا فيها، وعلماء الحديث قلما يعنون بغلط المتون فيما يخص معانيها وأحكامها الذي هو مراد السائل، وإنما كانت عنايتهم التامة بالأسانيد وسياق المتون وعباراتها والاختلاف والاتفاق فيها والمرفوع والموقف منها، وما عساه أن يكون مدرجا

فيها من كلام بعض الرواة ليس من النص المرفوع إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وإنما يظهر معاني غلط المتون للعلماء الباحثين في شروحها وما فيها من أصول

الدين وفروعه وغير ذلك، ولو لم يكونوا من المحدثين في الاصطلاح على أنهم يرجعون في ذلك إلى أصول المحدثين؛ كقولهم: إن صحة السند لا تقتضي صحة المتن في الواقع ونفس الأمر حتما، وعدم صحة السند لا تقتضي وضعه في الواقع ونفس الأمر حتما، وقولهم: إن من علامات وضع الحديث - وإن صح سنده - أن يكون مخالفا لنص القرآن القطعي، وفي معناه كل قطعي شرعي كبعض أصول العقائد أو الأعمال المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة، بحيث يتعذر الجمع بينهما، ولهذا جزموا بغلط حديث أبي هريرة عند مسلم في خلق السموات والأرض في سبعة أيام الذي أوله: (خلق الله التربة يوم السبت) ؛ لأنه مخالف لآيات القرآن الصريحة في خلق السموات والأرض وما فيها في ستة أيام، بل حكموا بغلط حديث شريك بن أبي نمر في الإسراء والمعراج من أحاديث الصحيحين في السند والمتن وهو الحديث الذي فيه أن الإسراء والمعراج كانا في رؤيا منامية، وذكروا له عللا أشار إليها مسلم مقرونة بسياقه على أن بعض العلماء والحفاظ انتصروا له فيه.

وإذا كانت مخالفة القطعي سببا للحكم؛ إما بعدم صحة الحديث لعدم الثقة برواته، وإما لغلطهم في سياق متنه. فمن الضروري أن تختلف الأفهام في ذلك باختلاف مدارك أصحابها ومعارفهم، فالذين لا يعلمون أن الشمس لا تغيب عن الأرض ولا تحتجب عن جميع سكانها من البشر ساعة ولا دقيقة، لا يرون شيئا من الإشكال في حديث أبي ذر في بيان أين تكون بعد غروبها؛ لأنهم يظنون أن غروبها عنهم غروب عن جميع العالم.

ولكن حفاظ الحديث ورجال الجرح والتعديل، قد انتقدوا بعض أحاديث الصحيحين، وجرحوا بعض رجالهما بحسب أفهامهم ودرجات معرفتهم، وجاء آخرون فانتصروا للشيخين في أكثر ما انتقد عليهما، وأشهر هؤلاء المنتقدين وأوسعهم تتبعا وإحصاء الحافظ أبو الحسن الدارقطني صاحب السنن المشهورة، وإذا أردت معرفة ذلك مع ما فيه وما يرد عليه، فراجع الفصلين الثامن والتاسع من مقدمة الحافظ ابن حجر لشرح البخاري. فأما الأحاديث المنتقدة في البخاري فهي ١١٠ أحاديث، منها ما انفرد به ومنها ما أخرجه مسلم أيضا - وما انتقدوا من إفراد

مسلم أكثر من إفراد البخاري - وإذا قرأت ما قاله الحافظ فيها، رأيتها كلها في صناعة الفن التي أشرنا إلى المهم منها عندهم. ولكنك إذا قرأت الشرح نفسه (فتح الباري) رأيت له في أحاديث كثيرة إشكالات في معانيها أو تعارضها مع غيرها، مع محاولة الجمع بين المختلفات وحل المشكلات بما يرضيك بعضه دون بعض، فهذا النوع ينبغي جمعه وتحقيق الحق فيه بقدر الإمكان، كما حاول الطحاوي في كتابه مشكل الآثار، وترى نموذجا منه في كلامنا على أشراط الساعة ومشكلاتها في الروايات الصحيحة وغيرها، على أن من أطال البحث فيه وفيما قبله يدهش لدقة الشيخين ولا سيما البخاري في انتقاء أحاديث الصحيحين وتحريهما فيها.

وأما موضوع الفصل التاسع؛ وهو تضعيف كثير من رجال الجامع الصحيح فقد سردها فيه الحافظ سردا وأحصاها عدا، وترى أن الطعن في أكثرهم مبني على الاختلاف في أسباب الطعن والجرح، فيبني هذا جرحه على ما يخالف اصطلاح الآخر، وترى أن المطعون فيهم قلما يخرج لهم حديث في الجامع الصحيح إلا في المتابعات؛ للتقوية لا لأصل الاستدلال به، فإن جعله أصلا كان له من الشواهد والمتابعات ما يقويه، مثال ذلك حديث كثير بن شنظير (بكسر الشين) البصري عن عطاء: في الأمر بتغطية الأواني في الليل وربط الأسقية وإقفال الأبواب ومنع الصغار من الخروج مساء خشية الجن أو الشياطين، كثير هذا قال فيها ابن معين ليس بشيء، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال الساجي: صدوق فيه بعض الضعف ولكن احتج به الجمهور، وقال البخاري عقب تخريج حديثه من كتاب بدء الخلق: قال ابن جريج وحبيب عن عطاء (فإن للشياطين يعني أن ابن جريج وحبيبا المعلم رويا هذا الحيث أيضا إلا أنهما قالا: (فإن للشياطين انتشارا وخطفة) بدل قول كثير بن شنظير (فإن للجن) إلخ، أقول: ويختلف في غير هذه الكلمة أيضا، ولم يذكر البخاري المتابعة إلا لعلمه بأن كثير هذا قد قيل فيه ما قيل، وهو لم يخرج له غيره إلا حديثا آخر في السلام على المصلي، له متابع عند مسلم.

فأنت ترى أن هذا من دقائق التحري في الروايات، وإنما اخترت التمثيل بحديث كثير هذا على كثرة نظائره؛ للإشارة إلى شيء يتعلق بالمتن لم يكن مما

يلتفتون إليه ويبحثون فيه، وهو ما فيه من الخبر عن انتشار الجن والشياطين في أول الليل والخوف على الأولاد منهم، في هذا من الإشكال أن أكثر أهل الأرض لا يمنعون أولادهم من الخروج في هذا الوقت، وتمر الأعصار ولا يعرف أحد أن الشياطين فعلت بأحد منهم شيئا – هذا إشكال يخطر في بال كل متعلم في الأمصار التي انتشرت فيها العلوم والفنون التي يسمونها العصرية، وكل متعلم على طريقتهم في القرى والمزارع، فيقولون: إنه مخالف للواقع في تعليل منع الصغار من الخروج في المساء أي في أول الليل، وقد يزيد على هذا بعض المشتغلين بالعلوم الدينية؛ أن هذا خبر عن أمر يتعلق بعالم الغيب، فلا يقبل فيه انفراد راو واحد فيه من هذه الطرق الثلاث التي لا تخلو واحدة منها من علة، فكثير ضعفه بعضهم، وكذلك حبيب المعلم قال فيه النسائي: إنه ليس بالقوي، وقال أحمد: ما احتج بحديثه، وفي رواية عنه وعن ابن معين ثقة. وأما ابن جريج فهو على فضله وسعة علمه وكثرة روايته مدلس، روى عن كثيرين لم يسمع منهم، وكان يدلس على المجروحين كما قاله الحافظ الدارقطني، والذي عليه أئمة هذا الشأن أنه إذا قال حدثني فهو ثقة وإلا فلا. قال يحي بن سعيد: كان ابن جريح صدوقا، فإذا قال حدثني فهو سماع، وإذا قال أخبرني فهو قراءة، وإذا قال (قال) فهو شبه الريح (لا قيمة له) ، وقال الأثرم: قال أحمد: إذا قال ابن جريح: (قال) و (أخبرت) جاء بمناكير، وإذا قال أخبرني وسمعت فحسبك به، واختلفوا في روايته عن عطاء، قال علي بن المديني (من كبار شيوخ البخاري ورجال الجرح والتعديل) في كتابه سألت يحي بن سعيد عن حديث ابن جريج عن عطاء الخراساني، فقال: ضعيف. قلت: إنه يقول أخبرني، قال: لا شيء كله ضعيف إنما هو كتاب دفعه إليه. أقول: فعلى هذا لا ينفعنا في تصحيح هذا الحديث قوله أخبرني كما رواه البخاري عنه، ولولا مسألة الشياطين لم يكن في متن الحديث إشكال؛ فإن الأوامر فيه كلها نافعة لا تتعلق بحفظ الطعام والشراب مما يدخل فيها من الحشرات الضارة، وكذلك إغلاق الباب عند النوم وإطفاء السراج، على أنه يمكن أن يراد بالشياطين فيه شياطين الإنس الذين يؤذون الأطفال، وفي مصر خطفة منهم يأخذونهم فيستخدمونهم لأنفسهم أو

لغيرهم، ويكرهون البنات على البغاء عند استعداد سنهن لذلك أو قبله، فيزول إشكال المتن فيه.

***

٢- الجواب عن حديث أبي هريرة وتحديثه

أقول: إن أبا هريرة (رضي الله عنه) كان من أحفظ الصحابة، وهو صادق في تحديثه. ولكن إسلامه كان في سنة سبع من الهجرة، فصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين ونيفا، فأكثر أحاديثه لم يسمعها من النبي صلى الله عليه وسلم وإنما سمعها من الصحابة والتابعين، فإن كان جميع الصحابة عدولا في الرواية كما يقول جمهور المحدثين، فالتابعون ليسوا كذلك، وقد ثبت أنه كان يسمع من كعب الأحبار، وأكثر أحاديثه عنعنة. على أنه صرح بالسماع من النبي صلى الله عليه وسلم في حديث (خلق الله التربة يوم السبت) .. إلخ، وقد جزموا بأن هذا الحديث غلط من أصله، وفي تفسير الحافظ ابن كثير أن أبا هريرة أخذه عن كعب الأحبار.

وأما نهي عمر له عن التحديث؛ فلأن عمر (رضي الله عنه) كان يرى التشديد في رواية الحديث وكتابته، وهذه مسألة كبيرة سبق للمنار سبح طويل فيها.

وقد كتب بعض المبشرين بالنصرانية مقالا طويلا بالطعن في حديثه، وجاءوا بشبهات على ذلك من بعض الكتب؛ وغرضهم من الطعن فيه الطعن في رواية السنة وصحتها، وقد فندنا كلامهم في مقال مفصل نشرناه في الجزئين الأول والثاني من مجلد المنار التاسع عشر فليراجعه السائل، فما نظن أنه يبقى مقالا لقائل، وهو يتضمن التفصيل في الرد على الدكتور محمد توفيق صدقي - رحمه الله - الذي أجملناه في المجلد الثامن عشر.

***

٣- حكم كلام الرسل - عليهم السلام - في الأمور الدنيوية

إن ما يرد في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم من الأوامر والنواهي والآراء الدنيوية المحضة يسميه علماء الأصول إرشادا، كما قالوا في حديث جابر

الذي تكلمنا عليه في الجواب عن السؤال الأول وهذا لفظه (خمروا الآنية وأوكئوا الأسقية وأجيفوا الأبواب، وأكفتوا صبيانكم عند المساء فإن للجن انتشارا وخطفة، وأطفئوا المصابيح عند الرقاد فإن الفويسقة (أي: الفأرة) ربما اجترت الفتيلة فأحرقت أهل البيت) ومثله (كلوا الزيت وادهنوا به فإنه طيب مبارك) رواه الحاكم وابن ماجه من حديث أبي هريرة بسند صحيح، وفي الأمر به روايات أخرى ضعيفة، ومثله (كلوا البلح بالتمر) .. إلخ رواه النسائي وابن ماجه والحاكم من حديث عائشة بسند صحيح، وكذا رأيه صلى الله عليه وسلم في تلقيح النخل وسيذكر والعمل بأمر الإرشاد لا يسمى واجبا ولا مندوبا؛ لأنه لا يقصد به القربة فليس فيه معنى التعبد، قال القرطبي: جميع أوامر هذا الباب من باب الإرشاد إلى المصلحة، ويحتمل أن تكون للندب ولا سيما في حق من يفعل ذلك بنية امتثال الأمر ، اهـ. من الفتح وهو مأخوذ من قول بعض العلماء قبله: إن كل مباح يفعل في الإسلام بنية القربة يصير عبادة يثاب عليها.

أقول: ولكنه لا يسمى سنة ولا مندوبا بذاته؛ فإن القربة هنا هي النية.

***

٤- الضابط القطعي بين ما قاله الرسول رأيا وإرشادا وما قاله تشريعا

ظاهر حديث رافع بن خديج في صحيح مسلم (إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر) وحديث عائشة وأنس عن مسلم أيضا من تعليله صلى الله عليه وسلم تلك المسألة: مسألة تلقيح النخل بقوله صلى الله عليه وسلم: (أنتم أعلم بأمر دنياكم) ظاهره أن جميع أمور الدنيا متروكة إلى الناس، يتصرفون فيها باجتهادهم لا يتعلق بها تشريع، ذلك بأنه (صلى الله عليه وسلم) لما جاء المدينة ورآهم يؤبرون النخل ارتأى أنه ليس له تأثير، وسمع بعضهم منه ما يدل على ذلك، فترك تأبير نخله فلم يثمر التمر الجيد المعتاد بل خرج شيصا رديئا، فذكروا له ذلك فقاله كما سبق لنا بيانه، وذكر لهم أنه قال: ظن أي لا عن وحي، وأنهم أعلم بدنياهم.

وليس هذا على إطلاقه؛ فإن من أمور الدنيا ما فعله أو تركه ضار قطعا

بشخص العامل أو بالناس، فيتعلق به تشريع التحريم، وما كان مظنة النفع والضرر فيتعلق به تشريع الندب والكراهة، وكل ما يفعل بنية القربة ورجاء الثواب من الله تعالى فهو عباده إذا كان مشروعا، وبدعة إذا لم يكن مشروعا، وكل ما رتب على فعله ثواب أو عقاب فهو ما يتعلق به التشريع، والضابط العام أن التشريع ما ثبت بنص يدل على طلب الشارع لفعل شيء على سبيل القطع وهو الوجوب، أو غير القطع وهو الندب، أو طلبه لترك شيء بالنهي عنه أو الوعيد عليه على سبيل القطع وهو المحرم، أو غير القطع وهو المكروه أو بالإباحة الرافعة للحظر. فأفعال الرسل الدنيوية العادية تدل على أن ما يفعلونه مباح لا حظر فيه على الناس، ولا وجوب ولا ندب إلا بدليل خاص يدل على ذلك.

فالتشريع لهم ولغيرهم عام إلا إذا قام الدليل على التفرقة بين الرسول وأمته؛ كالخصائص المختصة بنبينا (صلى الله عليه وسلم) دون الأمة وهي معروفة.

وقد بينت كتب أصول الفقه هذه المسألة في شرح الأحكام الخمسة. ولكنني لم أر لأحد ضابطا عاما لا يمكن فيه القيل والقال، فهنالك الأصل الذي تشير إليه أحاديث تأبير النخل، فلفظ (أمور دنياكم) عام تدخل فيه جميع أمور الزراعة والصناعة، وكل ما يصل إليه البشر باختيارهم وبحثهم، ولا يحتاجون فيه إلى وحي إلهي، وتدخل فيه أمور الطعام والشراب واللباس إلا ما استثنى نص القرآن من تحريم الميتة والدم المسفوح؛ وما أهل به لغير الله وشرب الخمر، أو نص الحديث كلبس الحرير (الخالص أو الغالب) للرجال، والأكل والشرب في أواني الذهب والفضة؛ لما في ذلك من الإسراف والنهي عنه في القرآن، فهذه أمثال لما استثني بعينه. وآيات حظر التحريم بغير وحي من الله تعالى وتسميته افتراء على الله؛ كقوله تعالى: ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾ (يونس: ٥٩) ،وقوله: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ (الأعراف: ٣٢) وغيرهما.

وفوق هذا أصل الإباحة بنص قوله تعالى: ﴿خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ (البقرة: ٢٩)

ولكن لا يدخل في عموم الحديث والآيات إباحة ما فيه ضرر ولا ما يتعلق به حقوق الناس، أو يقال: إنه من المستثنى بنصوص وقواعد أخرى؛ لأن التنازع في الحقوق والمصالح وإن كان مما يدخل في استطاعة البشر الاهتداء إلى الأحكام الفاصلة فيه، يحتاج في قواعده إلى تشريع إلهي تخضع له النفوس باطنا بوازع الدين والعقيدة؛ كما تخضع له ظاهرا بوازع السلطان والقوة.

وهنالك أمور مشتبهات لها جهات مختلفة؛ كإطلاق اللحية وقص الشارب أو إعفائه وفرق الشعر وخضب الشيب. هذه أمور صح أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بها، وهي من أمور العادات والزينة المباحة في الأصل، ولكن علل بعضها بمخالفة أهل الملل الأخرى؛ ليكون المسلمون أمة مستقلة في جميع مشخصاتها ممتازة عن غيرها، يقتدى بها ولا يقتدى بغيرها فهذه الأمور الدنيوية العادية، قد نظر فيها إلى مصلحة اجتماعية للأمة. ولما لم تكن من الأمور التعبدية التي يقصد الامتثال فيها لذاته، يصح أن يقال فيها: إنها تتبع علتها وجودا وعدما، وقد ترك المسلمون فرق الشعر خلافا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله، وصار من يفرق شعره يعد متشبها بغير المسلمين من الإفرنج وغيرهم، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره أولا، فلما رأى أهل الكتاب بعد الهجرة يسدلون شعورهم صار يفرقه مخالفة لهم، وقد اختلفت الحال اليوم، وقد سبق لنا بيان لها في مواضع من التفسير والمنار، منها المطول والمختصر، وآخر المختصر ما ذكرناه في تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (الأنفال: ٢٤) هو في الجزء العاشر من المنار م ٢٨ الذي صدر في شعبان بتاريخ ٣٠ رجب الماضي، أعني الذي صدر قبل هذا الجزء.

***

٥- جواز خطأ الأنبياء في آرائهم ودليله وحكمه وحصره

قال الله تعالى لخاتم رسله: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾ (الكهف: ١١٠) الآية، وقال صلى الله عليه وسلم: (إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر) رواه مسلم والنسائي

من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه، وقال أيضا: (إنما أنا بشر مثلكم وإن الظن يخطئ ويصيب، ولكن ما قلت لكم قال الله فلن أكذب على الله) رواه الإمام أحمد وابن ماجه من حديث طلحة رضي الله عنه بسند صحيح، وقال أيضا: (إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو يتركها) رواه الجماعة من حديث أم سلمة رضي الله عنها، والجماعة هنا الإمامان مالك وأحمد والشيخان البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة، وموضوع الحديث الخطأ في الحكم؛ بسبب خلابة المخطئ من الخصمين وقوة حجته.

ومن أصول العقائد الإسلامية المأخوذة من هذه النصوص وأمثالها؛ أن الرسل عليهم السلام بشر، يجوز عليهم كل ما يجوز على البشر من الأمور البشرية التي لا تخل بمنصبهم من الصدق والأمانة في تبليغ الرسالة، والعصمة عن مخالفة ما جاءوا به من أمر الدين.. إلخ، وقد اتفق المسلمون على جواز وقوع الخطأ من الرسل عليهم السلام في الرأي والاجتهاد. ولكن الله تعالى لا يقرهم على خطأ يتعلق بالتشريع كمصالح الأمة، بل يبينه لهم كما حصل في اجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم في مسألة الأسرى ببدر مع المشاورة، إذ رجح رأي الصديق في أخذ الفداء منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾ (الأنفال: ٦٧) الآية، وفي اجتهاده صلى الله عليه وسلم في الإذن لبعض المنافقين بالتخلف عن غزوة تبوك، فأنزل الله تعالى عليه ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ (التوبة: ٤٣) ، وفي اجتهاده صلوات الله وسلامه عليه قبل ذلك في الإعراض عن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى الفقير عندما جاءه؛ وهو يكلم كبراء قريش راجيا هدايتهم؛ لئلا ينفروا منه لكبريائهم، فأنزل الله عليه ﴿عبس وتولى * أن جاءه الأعمى﴾ (عبس: ١-٢) إلى قوله: ﴿كلا﴾ (عبس: ١١) ردعا عن مثل هذه السياسة، وقد كان صلى الله عليه وسلم يرجع عن رأيه لرأي أي من أصحابه كما فعل عند ما اختار النزول في مكان يوم بدر، فأشاروا عليه بما هو خير منها، وأولى من ذلك رجوعه إلى رأي الأكثرين بعد المشاورة كما فعل يوم

أحد، ولكني لم أقف لأحد من العلماء على إحصاء لحصر هذه المسائل في موضع واحد يرجع إليه، وهذا أشهر ما ورد في هذا الباب، وهو الذي يتبادر إلى الذهن وقت الكتابة من غير مراجعة كتاب.

***

٦-٧ - الجمع بين حديثي الذباب والفأرة

وهل الأول رأي أو تشريع؟

الفقهاء يفرقون بين الحديثين؛ بأن الفأرة مما له دم سائل، فلا يعفى عن تنجيسه لما ينجسه إذا كان ميتا والذبابة ليست كذلك، فيعفى عن تنجيسها لما تقع فيه أو يقال: إنها لا تنجسه. وأما الحكم الطبي فيهما فواحد فكلاهما ضار في الطعام والشراب باتفاق الأطباء، فإن كان ضرر الذبابة الواحدة لا يبلغ ضرر الفأرة الواحدة، فللكبر والصغر دخل في ذلك، ويجوز أن يكون مقدار ثقل الفأرة من الذباب أضر منها، والمعول في مثل هذا على خبرة الأطباء.

وحديث الذباب المذكور غريب عن الرأي وعن التشريع جميعا، أما التشريع في مثل هذا فإن تعلق بالنفع والضرر فمن قواعد الشرع العامة أن كل ضار قطعا فهو محرم قطعا، وكل ضار ظنا فهو مكروه كراهة تحريمية أو تنزيهية على الأقل إن كان الظن ضعيفا، فغمس الذباب في المائع الذي يقع فيه لا يتفق مع قاعدة تحريم الضار، ولا مع قاعدة اجتناب النجاسة. وأما الرأي فلا يمكن أن يصل إلى التفرقة بين جناحي الذبابة في أن أحدهما سام ضار والآخر ترياق واق من ذلك السم فإن صح الحديث بلفظه، ولم يكن فيه غلط من الرواة، ولم يكن معناه معروفا مسلما في ذلك الزمان، فالمعقول فيه أن يكون عن وحي من الله تعالى، وحينئذ يمكن أن يعرف ببحث الأطباء المبني على القواعد الحديثة؛ كالتحليل الكيميائي والفحص الميكروسكوبي، بأن يجمع كثير من أجنحة الذباب اليمنى واليسرى كل على حدته، وينظر في أكبر منظار مكبر، ثم يحلل فينظر هل يختلف تركيبه ثم تأثيره في بعض الأحياء كشأنهم في هذه النظائر، فإن **ثبت بالتجربة** القطعية أن الجناحين سواء في الضرر كما هو الغالب في النظر، ثبتت معارضة الواقع

القطعي لمتنه وهو ظني؛ لأنه خبر واحد، فيحكم بعدم صحته إن لم يكن تأويله كما هو الظاهر، ولا خلاف في ترجيح القطعي على الظني من منقول ومعقول ومختلف، كما بينه شيخ الإسلام في كتاب النقل والعقل.

هذا، وإننا لم نر أحدا من المسلمين، ولم نقرأ عن أحد منهم العمل بهذا الحديث، فالظاهر أنهم عدوه مما لا دخل له في التشريع كغيره من الأحاديث المتعلقة بالمعالجات الطبية والأدوية، وقد تكلم علماؤنا في معناه، وذكروا اعتراضا عليه لبعض الناس جهلوه به، وهو قوله كيف يجمع جناحاه بين الداء والشفاء؟ وردوا عليه بأن كثيرا من المخلوقات تجتمع فيها المتضادات؛ كالحية فيها السم ولحمها يجعل في الترياق منه، والنحلة يخرج من فمها العسل النافع ومن أسفلها القذر الضار. ونقلوا عن بعض الأطباء أن في الذبابة سما، فإذا وقعت في طعام أو شراب أو غيرهما تلقى بسمها على ما تخشى أن يضرها: أي كما تفعل كل الحشرات السامة، وذكروا أن من المجربات شفاء لسعة الزنبور بدلكها بالذباب أو بالزنبور نفسه. وفي الطب الحديث أن نسم الجنة الخفية التي يسمونها الميكروبات منها الضار والنافع، وإنهما يتدافعان ويتقاتلان في دم الإنسان حتى يغلب أحدهما الآخر، فعلى هذا لا يمكن القطع بأن متن الحديث مخالف للواقع ونفس الأمر، وأن كل ذباب يغمس في الطعام أو الشراب فهو ضار إلا بتجارب خاصة بهذا الأمر.

هذا، وإن إخراج البخاري لهذا الحديث في جامعه لا يعصمه من التماس علة في رجاله تمس مناعة صحته، فإن مداره عنده على عبيد بن حنين مولى بني زريق، انفرد به وليس له غيره، فهو ليس من أئمة الرواة المشهورين الذين تخضع الرقاب لعدالتهم وعلمهم وضبطهم كمالك عن نافع عن ابن عمر مثلا، ومن الغريب أنه لم يذكر في تهذيب التهذيب أن له رواية عن أبي هريرة، فإن كان بينهما واسطة يكون منقطعا. ولكن لم يذكر الحافظ ذلك على تحريه لمثل هذه العلل. وفيه أن أبا حاتم قال فيه: كان صالح الحديث، وهي من أدنى مراتب التوثيق، حتى قدم الحافظ الذهبي وغيره عليها كلمة (لا بأس به) فإذا غلب على قلب مسلم أن رواية ابن حنين هذا غير صحيحة وارتاب بغرابة موضوع حديث الذباب لا يكون قد ضيع

من دينه شيئا، ولا يقتضي ارتيابه هذا أو جزمه بعدم صدق ابن حنين فيه الطعن في البخاري؛ لأنه قبل روايته لأنه لم يعلم جارحا يجرحه فيه إلا هذا الشذوذ الذي يجبره حديث أبي سعيد عند النسائي وابن ماجه بمعناه وإن كان على غير شرط البخاري في الصحيح. ولكن يرد على المرتاب تصحيح لابن حبان لحديث أبي سعيد، وقد يقول: إذا وجدت علة في رواية البخاري تمنعني من القول بصحة الحديث مع كونه أشد الحفاظ تحريا فيما يخرجه في صحيحه مسندا، فهل يمنعني منه تصحيح ابن حبان المعروف بالتساهل في التصحيح؟ وكل من ظهر له علة في رواية حديث، فلم يصدق رفعه لأجلها فهو معذور شرعا، ولا يصح أن يقال في حقه: إنه مكذب لحديث كذا، كما أن من اعتقد أن حديث كذا صحيح، وكذبه يصدق عليه أنه مكذب، ويترتب عليه حكم التكذيب.

(تنبيه) إن ابن حنين رواي حديث الذباب من مسلمة الأعاجم، والظاهر أنه من النصارى. وراوي حديث الشياطين المتقدم وهو ابن شنظير منهم أيضا، وكل منهما غير مشهور بالعلم والرواية، فالظاهر أن البخاري اكتفى بعدم الطعن فيهما.

***

٨-٩ - تكفير محمد توفيق صدقي لعدم تسليمه حديث الذباب

إن الذي كفر الدكتور محمد توفيق صدقي رحمه الله تعالى؛ لاعتقاده أن حديث الذباب مخالف للواقع لا يصح رفعه إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم جاهل كما علم من الجواب الذي قبل هذا، وقد يصدق عليه حديث (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) رواه البخاري من حديث أبي هريرة وابن عمر مرفوعا، وله روايات أخرى عند غيره أيضا، وأنا وإن لم أعرفه ولا رأيت تكفيره، أتمنى لو يكون مثل المرحوم الدكتور محمد توفيق صدقي فيما اختبرت من قوة إيمانه وقدرته على إقامة البراهين العلمية على عقائد الإسلام كلها، وفي قدرته على رد الشبهات عنها، وفي غيرته على الإسلام التي حملته على درس الكتب الكثيرة؛ لأجل الدعوة إليه والدفاع عنه جدلا باللسان وتأليفا للكتب، وإنني أعلم علم

اختبار واسع دقيق لا علم غيب أن هذا الرجل كان من أقوى المسلمين دينا في اعتقاده وفي عبادته واجتنابه لما حرم الله تعالى. فإذا كان مثل هذا الرجل يعد كافرا؛ لأنه لم يصدق رفع حديث كحديث الذباب ليس من أصول الإسلام ولا من فروعه، وهو يجل الرسول صلى الله عليه وسلم عن قول مثله، فأين نجد المسلمين الصادقين؟ !

هذا، وإنني أعلم بالاختبار أيضا أن ذلك المسلم الغيور لم يطعن في صحة هذا الحديث كتابة؛ إلا لعلمه بأن تصحيحه من المطاعن التي تنفر الناس عن الإسلام، وتكون سببا لردة بعض ضعفاء الإيمان وقليلي العلم الذين لا يجدون مخرجا من مثل هذا المطعن إلا بأن فيه علة في المتن تمنع صحته، وكان هو يعتقد هذا. وما كلف الله مسلما أن يقرأ صحيح البخاري ويؤمن بكل ما فيه وإن لم يصح عنده أو اعتقد أنه ينافي أصول الإسلام.

سبحان الله! أيقول ملايين المسلمين من الحنفية أن رفع اليدين عند الركوع والقيام منه مكروه شرعا، وقد رواه البخاري في صحيحه وغير صحيحه عن عشرات من الصحابة بأسانيد كثيرة جدا، ولا إثم عليهم ولا حرج لأن إمامهم لم يصح عنده؛ لأنه لم يطلع على أسانيد البخاري فيه، وكل من اطلع من علماء مذهبه عليها يوقن بصحتها؛ ثم يكفر مسلم من خيار المسلمين علما وعملا ودفاعا عن الإسلام ودعوة إليه؛ بدليل أو شبهة على صحة حديث رواه البخاري عن رجل يكاد يكون مجهولا، واسمه يدل على أنه لم يكن أصيلا في الإسلام وهو عبد بن حنين، وموضوع متنه ليس من عقائد الإسلام ولا من عباداته ولا من شرائعه ولا التزم المسلمون العمل به، بل ما من مذهب من المذاهب المقلدة إلا وأهله يتركون العمل ببعض ما صح عند البخاري وعند مسلم أيضا من أحاديث التشريع المروية عن كبار أئمة الرواة؛ لعلل اجتهادية أو لمحض التقليد، وقد أورد المحقق ابن القيم أكثر من مائة شاهد على ذلك في كتابه إعلام الموقعين، وهذا المكفر للدكتور منهم، فنسأله بالله تعالى أن يصدقنا: هل قرأ صحيح البخاري كله واعتقد كل ما فيه والتزم العمل بكل ما صححه؟ ثم إن كان يدعي هذا فنحن مستعدون لدحض دعواه

مع هذا كله نقول بحق: إن صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله. ولكنه ليس معصوما هو ورواته من الخطأ، وليس كل مرتاب في شيء من روايته كافرا! ما أسهل التكفير على مقلدة ظواهر أقوال المتأخرين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

___________". (١)

٣١. ٣٢-"الكاتب: محمد رشيد رضا

____

الحكومة السورية الجديدة

أجمهورية تكون أم ملكية

وفق موسيو بونسو المندوب السامي الفرنسي الأخير لسورية ولبنان لما لم يوفق له من قبله من المندوبين، فألف فيها حكومة مؤقتة عهد إليها بتأليف جميعة تأسيسية منتخبة تضع قانونا أساسيا لحكومة البلاد على قاعدة الاستقلال والسلطان القومي، ثم ينتخب بمقتضى هذا القانون مجلس نيابي للبلاد يكون من وظائفه عقد اتفاق مع الدولة الفرنسية تحدد به علاقتها بسورية موضوعا وزمنا، وقد وعد هذا المندوب بالسماح لمنتخبي أعضاء الجمعية التأسيسية بالحرية التامة التي لا يشوبها شيء من تدخل السلطة المحتلة في انتخابهم.

عهد بتأليف الحكومة المؤقتة إلى الشيخ تاج الدين الحسيني نجل الأستاذ المحدث الشيخ بدر الدين الحسيني الشهير فألفها من بعض الوطنيين وبعض الحكوميين ووقف هو فيها موقف الوسط بين الفريقين، فلما وقع الانتخاب انتخب هو من قبل كل منهما، فكانت هي البراعة الثانية التي أتقنها ونجح فيها، وأما البراعة الأولى فهي أنه ما زال يسعى لرياسة الحكومة سعيها منذ سنين حتى أمكنه استمالة السلطة الفرنسية من ناحية وقوة المعارضة الوطنية من ناحية، ولكن الثقة به عند الأولى أقوى، وهو يستعين بمكانته عند كل منهما على الأخرى.

---

(١) مجلة المنار ٣٧/٢٩

إنني قد سررت بوجود سيد شريف وشيخ معمم يملك هذه البراعة، وأتمنى من صميم قلبي لو يوفق لحفظ مركزه بالإخلاص لقومه وحسن الصلة بينهم وبين الدولة التي امتحنوا بها – وأحب له الثبات على الزي العلمي العربي في وقت ينفر فيه الجمهور العصري من زي رجال العلم الإسلامي حتى صار بعضهم أميل إلى البرنيطة منه إلى العمامة ولا سيما المتفرنجين الذين يعدونها كقلانس رجال الكهنوت الديني عند النصارى وغيرهم الذين حبسوا أنفسهم على خدمة دينهم وإرشاد أهله إلى الاعتصام به ودعوة غيرهم إليه ودفاعهم عنه، وحملة العمائم عند المسلمين ليسوا كذلك، وإن سروري بوجود الشيخ تاج الدين على رأس الحكومة السورية متحليا بعمامته البيضاء (ولم يبق له من هذا الزي القومي غيرها) لا يشوبه رجاء في خدمة للدين الإسلامي يقوم بها، وإنما أنا خصم لدعاية التفرنج التي يقبح أهلها – قبحهم الله – كل ما هو من مشخصات أقوامهم وأوطانهم ومن مقوماتها أيضا ويدعون إلى استبدال غيره به بشبهة التجديد الذي معناه احتقار تاريخهم وأمتهم وتفضيل غيرها عليها، فأنا ألاحظ في هذا قول صديقنا الأمير شكيب أرسلان في المقابلة بين قومنا العرب وبين الإفرنج:

يملك إذا ما بات فيهم متوجا ... فيا طالما قد كان فينا معمما

هذا وإن مسيو بونسو وعد بعدم تدخله في انتخاب الجمعية التأسيسية كما قلنا، ولكن الوزراء الحكوميين وسياستهم الفرنسية تدخلوا وبذلوا جهدهم في ترجيح كفة رجالهم على الوطنيين، ويقال أيضا: إن بعض الموظفين الإفرنسيين في الأقضية قد تدخلوا أيضا، ومع هذا كان النجاح الأكبر في الانتخاب لجماعة الوطنيين المشهورين بمعارضتهم لكل ما فعلته السلطة العسكرية في البلاد من المنكرات وللانتداب الفرنسي نفسه.

بعد أن تم انتخاب الجمعية التأسيسية وانتخب صديقنا هاشم بك الأتاسي رئيسا لها، وبدأ الأعضاء يجتمعون كثر خوض الناس والصحف فيما تقره من شكل حكومة البلاد هل هو الجمهورية أم الملكية، وصار كل من يرجح رأيا يدلي بحججه على ترجيحه، وترجح الصحف أن الرأي الغالب في البلاد تفضيل الملكية على

الجمهورية، وإن الجمعية التأسيسية ستقرر هذا الرأي بالأكثرية، وإن لم يسمع أحد من أعضائها كلمة في هذا الموضوع، ونقلت إلينا أن المرشحين لمنصب الملك هم الشريف علي حيدر بك، والشريف علي بن الحسين، وأخوه الشريف زيد، والأمير فيصل آل سعود نجل ملك الحجاز ونجد. ومن الناس من يذكر السيد تاج الدين الحسيني رئيس الحكومة السورية، وأحمد نامي بك سلفه، وأن رجاء هذين في رياسة الجمهورية أقوى، فأما الشريف علي حيدر فله رجال في سورية يرشحونه، وقد سبق نجله الشريف عبد المجيد بك (الداماد) إلى هذا السعي منذ سنين إذا اتخذ مدينة بيروت مقاما له، وأما نجلا الملك حسين أخوا الملك فيصل فيسعى لهما أو لأحدهما أخوهما الملك، ويروى أن مجيء رئيس ديوانه وبعض كبار الوزراء والرؤساء للدولة العراقية إلى سورية في هذا العهد يراد به السعي لذلك بصفة غير رسمية، ولذلك كذبوا ما عزي إليهم.

وحجة من بقي في سورية من أنصار هذا البيت أنه أرجى لتحقيق وحدة بلاد الحضارة العربية العراق وسورية والأردن، وكذا فلسطين ولو بعد حين في دائرة الأمبراطورية المرنة – بتوحيد التعليم وتوحيد اللغة التي يستمد منها العلم العصري والفنون وتوحيد المعاملات الاقتصادية وغير ذلك، فإن وجود الشريف علي أو الشريف زيد ملكا في سورية بين حكومتي أخويه: فيصل وعبد الله يمهد السبيل لذلك وهو مرجو عندهم.

وأما خصومهم فلا يسلمون لهم هذا، ويرون أن انفراد إنكلترة بالسلطان من مصر إلى خليج فارس أعظم خطرا على الأمة العربية وعلى الملة الإسلامية، على ما ظهر من سوء نيتها في مسألة الصهيونية والتعدي على أرض الحجاز، ويعدون من غوائله أيضا ما يخشى من وقوع الشقاق بين سورية وجارتيها الحجاز ونجد كما هو واقع على حدود العراق وشرق الأردن.

وعندي أن أقوى الموانع من اختيار أحد أفراد هذا البيت أنه قد ثبت بالتجربة أنهم مفتونون بحب الملك والإمارة وأنهم يبذلون في هذه السبيل استقلال البلاد ومنافعها ورقبتها أيضا للأجنبي الذي يكفل لهم لقب ملك أو أمير، فهذا الشريف عبد

الله أظهر قد جاء منطقة شرق الأردن، التي كانت تابعة لحكومة سورية باتفاق فرنسة وإنكلترة وليس فيها احتلال أجنبي؛ لأن الجنرال غورو لم يعتد عليها بعد احتلاله لدمشق وإسقاطه لحكومة فيصل فولاه أهلها والنازحون إليها من رجال حكومة سورية العسكريين والمدنيين أمرها، فلم يلبث أن جلب لها الاحتلال البريطاني وجعلها تابعة لفلسطين في الانتداب عليها، ثم ترك للحكومة البريطانية ما كان بيده من أمر سكة الحديد الحجازية بكتابة رسمية، ثم عقد معها محالفة فيها من مخازي الذل والاستعباد ما ضج منه بدو أهلها والحضر، ولو لم يكن منه إلا أن الأمر والنهي والتصرف المطلق فيها لجلالة ملك الإنكليز حتى إن له أن يحشد فيها من الجنود البريطانية ما شاء، وأنه ليس للأمير المولى من قبله أن يحشد جنديا واحدا بدون إذن بريطاني، لكفى خزيا وذلا ومهانة واستعبادا وخطرا على الحجاز.
وقد أرسلت البلاد وفودا إلى الأمير يحتجون على المعاهدة ويطلبون منه رفضها فحبس بعضهم وأهان بعضا وهدد آخرين، وكان من جوابه لبعضهم أنه لو لم يكن في المعاهدة من الفائدة إلا تصريحها بأن للبلاد أميرا لكفى، قال: ولا يخفى ما في هذا اللقب من الإشارة إلى الاستقلال! فليتعز إذا عن استعبادهم بهذه الإشارة.
وأما الشريف علي فقد كان الذين رغبوا إلي السعي للصلح بينه وبين ابن السعود يقولون: إنه خير من أبيه وإخوته، وإنه إذا صالحه على شيء وفى له....
ثم علمنا من الثقات أنه عرض على الدولة الإنكليزية أن يعترف لها بالحماية الرسمية والانتداب على الحجاز [١] في مقابلة مساعدته على صرف ابن السعود عنه.. . فأجابته بأنه لا يسعها في مسألة الحجاز إلا الحياد التام؛ لأنه المركز الديني الذي يسوء العالم الإسلامي كله تدخل أي دولة غير مسلمة فيه.
لم يمكنه جعل الحجاز كله تحت السيادة البريطانية ليتمتع بلقب (ملك) في ظل هذا السلطان ولكن أمكنه أن يبيع الدولة البريطانية أهم بقعة حربية بحرية اقتصادية من بلاد الحجاز، وهي البقعة الممتدة من خليج العقبة المنيع على شاطئ البحر الأحمر إلى معان ذات الموقع البري العظيم وأهم محطات سكة الحديد الحجازية قلب البلاد، ولكن كيف باعه وبأي ثمن باعه؟

كنا نجهل كيف سمح الشريف علي بن الحسين بسلخ هذه المنطقة العظيمة الشأن من أرض الحجاز وجعلها تابعة لشرق الأردن الواقع تحت السلطان البريطاني حتى كشفه لنا الريحاني في كتابه (تاريخ نجد) فإنه قال بعد ذكر ما خسره الملك علي من نقل الإنكليز لوالده من العقبة إلى قبرص، وهو ما كان يمده به من المال ما نصه:

(وهناك خسارة أكبر للحجاز كانت تتعلق بسفر الحسين، وكان الأمير عبد الله يسعى لها، فهو الذي أقنع أخاه وحكومة أخيه بأن يسلموا بضم العقبة ومعان إلى شرق الأردن، وقد ضرب الأمير يومئذ على الوتر الحساس؛ إذ قال في إحدى مذكراته لجلالة أخيه ما معناه: سلموا بضم العقبة ومعان وأنا أضمن لكم من الإنكليز ما يأتي: أي ثلاثمائة ألف ليرة تعويض الضم ومئتا ألف ليرة ثمن الأملاك غير المنقولة، وقرض قيمته خمسمائة ألف جنية يعقد حالا، ثم إبعاد ابن السعود عن الحجاز حتى تربة والخرمة، وجعل الخط الحجازي رهن إشارتكم في كل وقت.

(أية حكومة في موقف تلك الحكومة الهاشمية لا تقبل بيع قطعة من أملاكها بهذا الثمن؟ وأي ملك في مركز الملك علي لا تغره تلك الأرقام؟ ولكنها أرقام في كتاب الأحلام) اهـ الريحاني.

ونحن نقول: إن كل حكومة أمينة غير خائنة لا تبيع شيئا من بلاد أمتها لدولة أجنبية مهما يكن الثمن الذي يبذل عظيما، على أن الثمن الذي خدع به الأخ أخاه حقير بالنسبة إلى خليج العقبة وحده الذي يقول العارفون: إن زقاق البوسفور دونه مناعة، ثم نقول: إن كل ملك غير خائن ينزه نفسه رذيلة بيع وطنه لدولة أجنبية بثمن بخس، وكل ثمن تباع به الأوطان فهو بخس.

فكيف إذا كان هذا الملك مسلما وشريعة الإسلام لا تبيح للملوك والسلاطين بيع بلاد الإسلام لغير المسلمين وتجعل لهم السلطان عليها.

فكيف إذا كانت هذا البلاد من أرض الحجاز المقدسة التى أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بأن لا يبقى فيها ولا في سياجها من جزيرة

العرب دينان، وأخبر بأن الإسلام سيأرز أي ينكمش وينضوي إلى الحجاز إلخ، هل يعقل – والحال هذه – أن ينقض رجل مسلم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرض مهد دينه لخطر استيلاء الأجنبي عليه طمعا في المال، أو في لقب لا قيمة له في مثل هذا الحال؟ وإذا عقل وقوع هذا من رجل دنيء الأصل خسيس المنبت يريد أن يعلو بين الناس بالمال واللقب، ولو بخسران الدين والشرف، فهل يتصور من شريف صحيح النسب، عالي الأدب والحسب؟

نعم قد وقع بالفعل ما هو بعيد عن المعقول والمنقول والدين والشرف. وإن الافتتان بزهو الملك وتنفجه وشهواته لا يكفيان في الإسفاف والتسفل إلى هذا الدرك الأسفل إلا إذا صحبه جهل فاضح وخذلان من الله تعالى، نعم قد خدع الشريف الأمير عبد الله ابن الشريف الملك الحسين أخاه الشريف الملك عليا بأن يبيع للإنكليز أعظم مواقع الحجاز وحصونه البرية والبحرية بثمن ذكره له، فأجابه إلى ذلك من غير عقد ولا قبض ثمن، فكانت هبة مجانية للإنكليز، وقد أعلن الشريف عبد الله هذا الظفر بانقطاع هذه المنطقة من الحجاز وإلحاقها بشرق الأردن في عاصمة إمارته وأمر بإطلاق مائة مدفع ومدفع إيذانا وسرورا بهذا الفتح المبين؟

فهل يأمن السوريون إذا ولوا عليهم من هذه حالهم أن يبيعوا ما يمكن بيعه من سورية لمن يشتريه من الأجانب وليست سورية بأعظم عندهم من الحجاز الذي هو مهد دينهم وموطن إمارتهم وفخرهم؟ وأولاد حسين بن علي كلهم صنائع الإنكليز، وأولاهم بذلك الشريف زيد الذي يربونه في بلادهم.

وأما الأمير فيصل السعودي فهو الذي يشهد العقل والمصلحة لمرشحيه بجودة الرأي والإخلاص للبلاد؛ إذ هو الذي يرجى أن تكون بولايته عليها مستقلة غير مهددة بعبث النفوذ الأجنبي باستقلالها، ولغير ذلك من الفوائد الإيجابية والسلبية الى نشير إليها بعد أن نصرح بأننا لا نريد بهذا الدعاية والترغيب، ولماذا؟ لأمرين:

(أحدهما) : أننا نشك في قبول فرنسة أن يكون هو الملك لسورية ووراءه أعظم قوة عربية تشد أزره وهي قوة والده في مملكتي الحجاز ونجد، فإن رضيت فرنسة بذلك كان برهانا على إخلاصها لسورية وصدقها الباطن والظاهر في جعلها

حرة مستقلة بل برهانا على انتهاج خطة جديدة في صداقة الأمة العربية والإسلام ونحن نستبعد هذا منها على اعتقادنا بل يقيننا بأنه أفضل سياسة تحيي نفوذ فرنسة السياسي والاقتصادي والأدبي في الشرق؛ لأننا دعوناها إلى هذه الصداقة مرارا فلم تجب.

(ثانيهما) : أننا نشك في قبول الأمير فيصل ووالده الإمام عبد العزيز لذلك إلا باحتفاظ في قانون البلاد الأساسي فإن حكومة سورية النيابية لا بد أن تصدر من القوانين والأحكام باسم ملكها ما هو مخالف للمجمع عليه من الشرع الإسلامي كما هو المنتظر من مجلس تشريعي مثل المؤتمر السوري العام الذي وضع القانون الأساسي الأول لها عقب إعلان استقلالها وتولية فيصل عليها فإنني قد اجتهدت في إقناعه – وأنا رئيسه– بأن يقيد حرية القوانين بما لا يخالف الآداب العامة للأمة؛ لأجل منع المجاهرة بالفواحش فرفض هذا بأكثرية الآراء التي كان من أصحابها بعض المتدينين، وقد صرح بعض الأعضاء في تعليل رد هذا القيد بأن تقريره يبيح للشرطة أن يمنعوا من يجلس مع امرأة في ملهى أو مقهى (محل شرب القهوة) في الطريق يعاقرها الخمر.

لهذا رأينا ملاحدة السوريين واللادينيين منهم أول من أنكر فكرة ترشيحه، ومنهم من صرح بأن تعصبه الديني يحمله على أن يراعي الشريعة الإسلامية في سياسته، وأول من كتب في ذلك من السوريين الذين في مصر الآن أحد أعضاء حزب الدكتور شهبندر والأمير ميشيل لطف الله: كتب مقالة في المقطم نال فيها من إخلاص أشهر الوطنيين من رجال الجمعية التأسيسية لذلك وعرض بخيانتهم وتصديهم لبيع وطنهم؛ لأنه فهم أنهم من القائلين بترشيح الأمير فيصل السعودي لعرش سورية، وذكرهم بأن من أهل البلاد من لا يرضيهم هذا الترشيح ويجب الاعتداد برأيهم قبل إبرام أمر كهذا، وهم النصارى في البلاد واللاجئون إلى مصر من الوطنيين، ويعني الكاتب حزبه المشار إليه.

ونحن نقول: إن الملاحدة اللادينيين يكرهون من وجود ملك مسلم متدين في سورية ما لا يكره النصارى، فالملك المسلم المتدين بالفعل قد يكون خيرا للنصارى

واليهود من المسلم المنافق لأن ظاهره وباطنه سواء؛ ولأنه لا يستحل إيذاءهم ويراعي حريتهم في دينهم بإخلاص وجداني، وأما المنافقون في الدين لا يلبسون لباس الإسلام إلا بقدر ما يعطيهم من الحقوق والمنافع الدنيوية، فهؤلاء لا يرجون الحظوة والانتفاع عند الملك المتدين الصادق.

هؤلاء يفضلون حرمان وطنهم من الاستقلال واستذلال الأجانب له على استقلاله تحت راية ملك أو أمير مسلم صادق لا يعرف الدهان والنفاق، وقد قال من عبر عن عقيدتهم من إخوانهم المصريين: إننا لولا تغلب الشعور الديني على السواد الأعظم من أهل بلادنا لاسترحنا من هذا النزاع والكفاح مع الإنكليز برضانا بسيادتهم علينا، وكنا نكون حينئذ من أسعد الناس وأهنئهم معيشة.

بعد هذا أقول: إن كل ذكي منصف عارف بتربية الأمير فيصل السعودي يعلم أنه لا يخشى منه أن يخون البلاد أو يفرط بحق من حقوقها أو يكون آلة بيد الأجنبي ليضمن له منصبه فيها – فدينه يمنعه وتربيته تمنعه، وشرف أبيه ومنبته يمنعه من مثل هذه الخيانة، فهو لم يترب على الإسراف فى حب الاستعلاء والتحكم، ولا في الشهوات ليفضلها على مصلحة البلاد، على أنه مع هذا يعلم أنه إذا اضطره مقاومة الأجانب إلى ترك هذا الملك المقيد باتباع أهوائهم فإنه يعيش في مملكة أبيه عيشة أفضل وآثر عنده من هذه العيشة الدنيئة الذليلة.

قرأنا في بعض الجرائد ما يراه المرشحون له من الفوائد فلا حاجة إلى ذكرها، ولكننا نذكرهم بفائدة منها قد غفلوا عنها وكان ينبغي أن تكون أول ما يخطر بالبال، وهي أنه لا يرجى أن يتولى أمر البلاد السورية أحد غيره يقدر على حفظ الأمن في بادية البلاد الواسعة ويزيل منها غوائل الغزو بين الأعراب بمنعه وإقامة العدل بينهم ثم ينقلهم من البداوة إلى الحضارة بالتدريج، وقد رأى ما فعل والده في هذه السبيل، وفي ذلك من الفوائد الاقتصادية وغيرها ما لا يخفى.

ولو كان نصبه مرجوا عندنا لشرحنا فوائده بالتفصيل خدمة للبلاد لا له كما يتوهم من لا شعور لهم بلذة خدمة الأمة والملة وشعور الإخلاص لله تعالى فيها وفي غيرها، فإن هاتين اللذتين الروحيتين العقليتين أعظم عند أهلهما من جميع اللذات

البدنية والنفسية كالوظائف وجمع الأموال (ومن ذاق عرف) .
إن أتيح للبلاد ملك كفيصل السعودي كانت الملكية خيرا لها من الجمهورية، وإن كان لا يتاح لها إلا بعض المفتونين بعظمة السلطة وشهواتها، فالجمهورية أقل شرا؛ لأنه يصدق عليها المثل (نحس متغير خير من نحس مستمر) .
وقد اقترح الكاتب الحر اللوذعي أمين الريحاني على الجمعية التأسيسية أن تكون حكومتها جمهورية لا دينية، وأن تختار لرياستها فارس بك الخوري من كبار الوطنيين المسيحيين لتثبت الأكثرية الإسلامية فيها لمن يتهمهم بالتعصب وهضم حقوق الأقليات براءتها من هذه التهمة، وقد كان هذا الاقتراح غريبا عند كل الطوائف مع اتفاق الجميع على أهلية فارس بك لمثل هذه الرياسة؛ ولكن انتخابه لمثل هذا الغرض يتضمن الاعتراف الرسمي من الجمعية بأن الذين يتهمون المسلمين هذه التهمة يعتقدون صحتها، وأن المسلمين في حاجة إلى إقامة (شهود نفي) يدفعونها بها، وإن الشاهد العدل على هذا هو ترك الأمة ما عليه جميع الأمم من حق الأكثرية الساحقة وإعطاؤه لأقلية إن كانت ضعيفة في عددها وثروتها فهي قوية بعطف أوربة كلها عليها، فإن النصارى في سورية الحاضرة التى ألفت الجمعية التأسيسية لوضع حكومتها لا يبلغون ١٠ في المائة بل قيل: إنهم ٥ أو ٦ في المائة، وعقلاء المسلمين من أعضاء الجمعية التأسيسية وغيرهم يعلمون أن الذين يتهمونهم بالتعصب وهضم حقوق غيرهم لا يعتقدون صحة هذه التهمة، وإنما يحاربونهم بها حتى يضطروهم إلى ترك جميع حقوقهم الملية، ومن أهمها هذا الحق الثابت في قوانين جميع الأمم، وقد ثبتت براءتهم من هذه التهمة في عهد استقلالهم القصير فلم يشك أحد من النصارى منهم ما كان يشكو المسلمون ولا يزالون يشكون من حكومة لبنان.
وقد رد على الريحاني كاتب مسيحي من وجوه أقواها قوله: إذا كان الغرض ما ذكرت فلماذا قيدته بالأقلية المسيحية وبفارس بك الخوري ولم تتركه على إطلاقه؟ وتقول: أو يذكر فارس بك الخوري من قبيل المثل للاستحقاق؟
وقد نسينا في أول المقال أن نذكر ما نقلته الصحف من ترشيح فرنسة لرجل

من أسرة سلطان المغرب الأقصى لما رأته من طاعتهم لها وكونهم لا علم لهم ولا إرادة غير ما تريد منهم فذكرناه هنا تتمة للفائدة، ولا يرضى بذلك من أهل البلاد أحد من الوطنيين المستقلي الفكر كما هو ظاهر بالبداهة.

نعم إن الجمعية التأسيسية لم تقل شيئا، وإن ما ظهر في جميع أعمالها من الروية والأناة مبشر بالخير، ونسأل الله تعالى أن يؤيد اجتهادها بالتوفيق والنجاح.

__________". (١)

٣٢. ٣٣-"الكاتب: شكيب أرسلان

____

لماذا تأخر المسلمون؟

ولماذا تقدم غيرهم؟!

(١)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد: ١١) ،

﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الأنفال: ٥٣) ، ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (غافر: ٥١) ، ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ (الحجرات: ١٥) .

كتب إلي تلميذي المرشد الشيخ محمد بسيوني عمران إمام مهراجا جزيرة سمبس برنيو كتابا يقترح فيه على أخينا المجاهد أمير البيان أن يكتب للمنار مقالا بقلمه السيال في أسباب ضعف المسلمين في هذا العصر وأسباب قوة الإفرنج واليابان وعزتهم بالملك والسيادة والقوة والثروة. وقال - في كتاب آخر - إنه قرأ ما كتبناه في المنار وتفسيره من بيان الأسباب في الأمرين وما كتبه الأستاذ الإمام في مقالات (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) في الموضوع، وإنما غرضه أن

---

(١) مجلة المنار ٢٢٩/٢٩

يكتب في ذلك أمير البيان بقلمه المؤثر المعبر عن معارفه الواسعة، وآرائه الناضجة لتجديد التأثير في أنفس المسلمين بما يناسب حالهم الآن، لتنبيه غافلهم، وتعليم جاهلهم، وكبت خاملهم، وتنشيط عاملهم. وبنى الاقتراح على الأسئلة الآتية التي صارت مثار شبهة على الدين عند غير علمائه، فهو يعلم مما سمعه من دروسنا في مدرسة الدعوة والإرشاد ومما كتبناه مرارا في أن كتاب الله تعالى حجة على أدعياء الإسلام والإيمان، وليسوا هم حجة عليه.

افترصت هذا الاقتراح لحمل أخي ووليي الأمير شكيب على كتابة شيء مثل هذا للمنار، وأنا الذي أنصح له دائما بتخفيف أحمال الكتابة عن عاتقه لكثرة ما يكتب لصحف الشرق والغرب وللأصدقاء وغيرهم، فأرسلت إليه كتاب الشيخ محمد بسيوني عقب وصوله إلي، فأرجأ الجواب عنه لكثرة الشواغل إلى أن عاد من رحلته الأخيرة إلى أسبانية وقد أثرت في نفسه مشاهد حضارة قومنا العرب في الأندلس والمغرب الأقصى، وشاهد تأثير محاولة فرنسة تنصير شعب البربر في المغرب تمهيدا لتنصير عرب إفريقية المرزوئين باستعبادها لهم كما فعلت أسبانية في سلفهم في الأندلس – فكتب الجواب منفعلا بهذه المؤثرات، فكان آية من آيات بلاغته، وحجة من حجج حكمته، لعلها أنفع ما تفجر من ينبوع غيرته، وانبجس من معين خبرته، فسال من أنبوب براعته، جزاه الله خير ما جزى المجاهدين الصادقين.

***

كتاب الشيخ

محمد بسيوني عمران

حضرة مولاي الأستاذ المصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار نفعني الله والمسلمين بوجوده العزيز. آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد:

فإن من قرأ ما كتبه في المنار وفي الجرائد العربية العلامة السياسي الكبير أمير البيان، الأمير شكيب أرسلان، من مقالاته الرنانة المختلفة المواضيع، عرف

أنه من أكبر كتاب المسلمين المدافعين عن الإسلام، وأنه أقوى ضلع للمنار وصاحبه في خدمة الإسلام والمسلمين، وإني أرجو من الله تعالى أن يطيل بقاءهما الشريف في خير وعافية، كما أرجو من مولاي الأستاذ صاحب المنار أن يطلب من هذا الأمير الكاتب الكبير أن يتفضل علي بالجواب على أسئلتي الآتية وهي:

(١) ما أسباب ما صار إليه المسلمون (ولا سيما نحن مسلمو جاوة وملايو) من الضعف والانحطاط في الأمور الدنيوية والدينية معا، وصرنا أذلاء لا حول لنا ولا قوة، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ (المنافقون: ٨) فأين عزة المؤمنين الآن؟ وهل يصح لمؤمن أن يدعي أنه عزيز وإن كان ذليلا مهانا ليس عنده شيء من أسباب العزة إلا لأن الله تعالى قال: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ (المنافقون: ٨) .

(٢) مالأسباب التي ارتقى بها الأوربيون والأمريكانيون واليابانيون ارتقاء هائلا؟ وهل يمكن أن يصير المسلمون أمثالهم في هذا الارتقاء إذا اتبعوهم في أسبابه مع المحافظة على دينهم (الإسلام) أم لا؟

هذا، والمرجو من فضل الأمير أن يبسط الجواب في المنار عن هذه الأسئلة وله وللأستاذ صاحب المنار – من الله – الأجر الجزيل.

... ... محمد بسيوني عمران

... ... سنبس – برنيو الغربية في ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٤٨

***

جواب الأمير شكيب أرسلان

إن الانحطاط والضعف اللذين عليهما المسلمون شيء عام لهم في المشارق والمغارب لم ينحصر في جاوة وملايو، ولا في مكان آخر، وإنما هو متفاوت في دركاته، فمنه ما هو شديد العمق، ومنه ما هو قريب الغور، ومنه ما هو عظيم الخطر، ومنه ما هو أقل خطرا.

وبالإجمال حالة المسلمين الحاضرة – ولا سيما في القرن الرابع عشر للهجرة أو العشرين للمسيح – لا ترضي أشد الناس تحمسا بالإسلام وفرحا بحزبه، فضلا

عن غير الأحمسي من أهله.

إن حالتهم الحاضرة لا ترضي لا من جهة الدين ولا من جهة الدنيا، ولا من جهة المادة ولا من المعنى. وإنك لتجد المسلمين في البلاد التي يساكنهم فيها غيرهم متأخرين عن هؤلاء الأغيار لا يسامتونهم في شيء إلا ما ندر، ولم أعلم من المسلمين ممن ساكنهم أمم أخرى في هذا العصر ولم يكونوا متأخرين عنهم إلا بعض أقوام منهم، وذلك كمسلمي بوسنة مثلا فإنهم ليسوا في سوي مادي ولا معنوي أدنى من سوي النصارى الكاثوليكيين، أو النصارى الأرثوذكسيين الذين يحيطون بهم، بل هم أعلى مستوى من الفريقين، وككثير من مسلمي الروسية الذين ليس المسيحيون الذين يجاورونهم أرقى منهم. ولقد كان المسلمون في أذربيجان قبل الحرب أرقى من الطوائف المسيحية التي تساكنهم، ولا خلاف في أن مسلمي الصين إجمالا على تأخرهم هم أرقى من الصينيين البوذيين، هذا إذا كانت النسبة بين الفريقين باقية كما كانت قبل الحرب العامة، وفيما عدا هذه الأماكن نجد تأخر المسلمين عن مسامتة جيرانهم عاما مع تفاوت في دركات التأخر.

ويقال: إن العرب في جزيرة سنغافورة هم أعظم ثروة من جميع الأجناس التي تساكنهم حتى من الإنكليز أنفسهم بالنسبة إلى العدد، ولا أعلم مبلغ هذا الخبر من الصحة، ولكنه على فرض صحته ليس بشيء، يقدم أو يؤخر في ميزانية المسلمين العامة.

ولا إنكار أن في العالم الإسلامي حركة شديدة، ومخاضا عظيما شاملا للأمور المادية والمعنوية، ويقظة جديرة بالإعجاب، قد انتبه لها الأوربيون وقدروها قدرها، ومنهم من هو متوجس خيفة مغبتها، لا يخفي هذا الخوف من تضاعيف كتاباتهم، إلا أن هذه الحركة إلى الأمام لم تصل بالمسلمين حتى اليوم إلى درجة يساوون بها أمة من الأمم الأوربية أو الأميركية أو اليابان.

فبعد أن تقرر هذا وجب أن نبحث في الأسباب التي أوجدت هذا التقهقر في العالم الإسلامي بعد أن كان منذ ألف سنة هو الصدر المقدم، وهو السيد المرهوب المطاع بين الأمم شرقا وغربا، فقبل أن نبحث في أسباب الانحطاط يجب أن نبحث

في أسباب الارتقاء فنقول:

أسباب ارتقاء المسلمين الماضي

إن أسباب الارتقاء كانت عائدة في مجملها إلى الديانة الإسلامية التي كانت ظهرت جديدا في الجزيرة العربية فدان بها قبائل العرب، وتحولوا بهدايتها من الفرقة إلى الوحدة، ومن الجاهلية إلى المدنية، ومن القسوة إلى الرحمة، ومن عبادة الأصنام إلى عبادة الواحد الأحد، وتبدلوا بأرواحهم الأولى أرواحا جديدة، صيرتهم إلى ما صاروا إليه من عز ومنعة، ومجد وعرفان وثروة، وفتحوا نصف كرة الأرض في نصف قرن، ولولا الخلاف الذي عاد فدب بينهم منذ أواخر خلافة عثمان وفي خلافة علي (رضي الله عنه) لكانوا أكملوا فتح العالم ولم يقف في وجههم واقف.

على أن تلك الفتوحات التي فتحوها في نصف قرن أو ثلثي قرن برغم الحروب التي تسببت بها مشاقة معاوية لعلي والحروب التي وقعت بين بني أمية وابن الزبير – قد أدهشت عقول العقلاء والمؤرخين والمفكرين، وحيرت الفاتحين الكبار، وأذهلت نابليون بونابرت أعظمهم، وله تصريح في ذلك.

فالقرآن أنشأ إذا العرب نشأة مستأنفة وأخرجهم من جزيرتهم والسيف في إحدى اليدين والكتاب في الأخرى يفتحون ويسودون ويتمكنون في الأرض.

ولا عبرة بما يقال في شأن العرب قبل الإسلام، وما يروى من فتوحات لهم، وما ينوه به من أخلاق عظام في الجاهلية، فهذه قد كانت ولا تزال آثارها ظاهرة، ولا يكفي مدنية العرب القديمة وأنها من أقدم مدنيات العالم، ومما يرجح أن الكتابة قد بدأت عندهم، ولكن دائرة تلك المدنية كانت محدودة مقصورة على الجزيرة وما جاورها. وقد أتى على العرب حين الدهر سادهم الغرباء في أرضهم، وأذلهم الأجانب في عقر دارهم، كالفرس في اليمن وعمان وفي الحيرة، وكالحبشة في اليمن، وكالروم في أطراف الحجاز ومشارف الشام. والحقيقة أنهم لم يستقلوا استقلالا حقيقيا إلا بالإسلام، ولم تعرفهم الأمم البعيدة وتخنع لهم وتتحدث بصولتهم، ولم يقعدوا من التاريخ المقعد الذي أحلهم في الصف الأول من الأمم الفاتحة إلا

بمحمد صلى الله عليه وسلم.
فالسبب الذي به نهضوا وفتحوا، وسادوا وشادوا، وبلغوا هذه المبالغ كلها من المجد والرقي يجب علينا أن نبحث عنه وننشده، ونحفي المسألة ونمعن في النشدان: هل هو باق في العرب وهم قد تأخروا برغم وجوده وتأخر معهم تلاميذهم الذين هم سائر المسلمين؟ أم قد ارتفع هذا السبب من بينهم، ولم يبق من الإيمان إلا اسمه، ومن الإسلام إلا رسمه، ومع القرآن إلا الترنم به من دون العمل بأوامره ونواهيه، إلى غير ذلك مما كان في صدر الملة؟

فقد المسلمين السبب

الذي سار به سلفهم

إذا فحصنا عن ذلك وجدنا أن السبب الذي به استقام هذا الأمر قد أصبح مفقودا بلا نزاع وإن كان بقي منه شيء فكباقي الوشم في ظاهر اليد. فلو كان الله تعالى وعد المؤمنين بالعزة بمجرد الاسم دون الفعل لكان يحق لنا أن نقول: أين عزة المؤمنين؟ من قوله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ (المنافقون: ٨) ولو كان الله قد قال: ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ (الروم: ٤٧) بمعنى أنه ينصرهم بدون أدنى مزية فيهم سوى أنهم يعلنون كونهم مسلمين، لكان ثمة محل للتعجب من هذا الخذلان بعد ذلك الوعد الصريح بالنصر. ولكن النصوص التي في القرآن هي غير هذا، فالله غير مخلف وعده والقرآن لم يتغير، وإنما المسلمون هم الذين تغيروا، والله تعالى أنذر بهذا فقال: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد: ١١) فلما كان المسلمون قد غيروا ما بأنفسهم – كان من العجب أن لا يغير الله ما بهم، وأن لا يبدلهم الذل والضعة من ذلك العز وتلك الرفعة، بل كان ذلك منافيا للعدل الإلهي. والله عز وجل هو العدل المحض.

كيف ترى في أمة ينصرها الله بدون عمل ويفيض عليها الخيرات التي كان يفيضها على آبائها، وهي قد قعدت عن جميع العزائم التي قد كان يقوم بها آباؤها؟ ! وذلك يكون مخالفا للحكمة الإلهية، والله هو العزيز الحكيم.

ما قولك في عزة بدون استحقاق، وفي غلة بدون حرث ولا زرع، وفي فوز بدون سعي ولا كسب، وفي تأييد بدون أدنى سبب يوجب التأييد؟

لا جرم أن هذا مما يغري الناس بالكسل، ويحول بينهم وبين العمل، بل مما يخالف النواميس التي أقام الله الكون عليها، ومما يستوي به الحق والباطل، والضار والنافع، وحاشا لله أن يفعل ذلك. ولو أيد الله مخلوقا بدون عمل لأيد من دون عمل محمدا رسوله ولم يحوجه إلى القتال والنزال والنضال، واتباع سنن الكون الطبيعية للوصول إلى الغاية. وتصور أمة لله عندها مائة وهي تؤدي من المائة خمسة فقط أتعد نفسها قد أدت ما عليها وتطمع في أن يكافئها الله كما كان يكافئ أجدادها الذين كانوا يؤدون المائة مائة، وإن قصروا عن المائة أدوا بالأقل تسعين أو ثمانين؟ كلا. هذا مخالف لما وعد الله على رسله ومخالف للعقل والمنطق، وليس هذا هو الشرط الذي شرطه الله على المؤمنين، وليس هذا هو البيع الذي يستبشر به المؤمنون.

قال الله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ (التوبة: ١١١) فأين حالة المسلمين اليوم من هذا الوصف الذي في كتاب الله؟

وأين حالتهم من سلفهم الذين كانوا يتهافتون على الموت لإحراز الشهادة وكثيرا ما كانوا ينشدون الموت ولا يجدونه؟ وكان فارسهم يكر وهو يقول: إني لأشم ريح الجنة، ثم لا يزال يكر ويخوض غمرات الحرب حتى إذا استشهد قال: هذا يوم الفرح، وإذا فاتته الشهادة برغم حرصه عليها عاد إلى قومه حزينا.

المقابلة بين حالي

المسلمين والإفرنج اليوم

اليوم فقد المسلمون أو أكثرهم هذه الحماسة التي كانت عند آبائهم، وقد تخلق بها أعداء الإسلام الذين لم يوصهم كتابهم بها، فتجد أجنادهم تتوارد على حياض المنايا سباقا، وتتلقى الأسنة والحراب عناقا، ولقد كان مبلغ مفاداتهم بالنفائس

وتضحيتهم للنفوس في الحرب العامة فوق تصور عقول البشر، كما يعلم ذلك كل أحد، فالألمان فقدوا نحو مليوني قتيل، والفرنسيون فقدوا مليونا وأربعمائة ألف قتيل، والإنكليز فقدوا ستمائة ألف قتيل، والطليان فقدوا أربعمائة وستين ألف قتيل، والروس هلك منهم ما يفوق الإحصاء، وهلم جرا. هذا من جهة النفوس، وإنكلترا بذلت نحو مليارين، وألمانية أنفقت ثلاثة، وإيطالية أنفقت خمسمائة مليون والروسية أنفقت ما أوقع فيها المجاعة التي آلت إلى الثورة ثم إلى البلشفة وهلم جرا.

فليقل لي قائل: أية أمة مسلمة اليوم تقدم على ما أقدم عليه هؤلاء النصارى من بيع النفوس وإنفاق الأموال بدون حساب في سبيل أوطانهم ودولهم حتى نعجب لماذا آتاهم الله هذه المنعة والعظمة والثروة وحرم المسلمين اليوم أقل جزء منها؟ !

وقد يقال: إن المسلمين فقراء ليس عندهم هذه الأموال لينفقوا هذا الإنفاق كله، فنجيب بأننا نوزع هذه النفقات على الأوربيين بنسبة رأس المال ولا نكلف المسلمين إلا الإنفاق مثل الأوربيين على هذه النسبة. فهل تسخو الأمم الإسلامية الحاضرة بما تسخو الأمم الأوربية التي منها من قد أنفقت في الحرب العامة أكثر من نصف ثروتها؟

الجواب: لا. ليس في المسلمين اليوم من يفعل ذلك لا أفرادا ولا أقواما وقد يقال: إن الأمة التركية وهي أمة مسلمة قد أنفقت كل ما تقدر عليه في حرب اليونان ولم تقصر عن شأو الأوربيين في المفاداة بالأنفس والنفائس.

والجواب: نعم. قد كان ذلك. ومن الترك من بذل ثلث ثروته ومنهم من بذل نصف ثروته في هذه الحرب، ولكنهم لما فعلوا ذلك انقلبوا بنعمة من الله وفازوا، وحرروا أنفسهم واستقلوا، وارتفعوا بعد أن كانوا هووا، وعزوا بعد أن كانوا ذلوا. إذا الأمم الإسلامية إذا ائتمرت في المفاداة بما أمرها به كتابها كما كان يفعله آباؤها، أو اقتدت على الأقل بما هو دأب الأوربيين اليوم من بذل النفوس والنفائس في سبيل حفظ بيضتها، وذود المعتدين عنها، لم تقطف من ثمرات التضحية إلا مثل ما قطفه غيرها. وانقلبت بنعمة من الله وفضل لم يمسسها سوء. ولكن الأمم الإسلامية تريد حفظ استقلالها بدون مفاداة ولا تضحية، ولا بيع

أنفس ولا مسابقة إلى الموت، ولا مجاهدة بالمال، وتطالب الله بالنصر على غير الشرط الذي اشترطه في النصر [١] فإن الله سبحانه يقول: ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ (الحج: ٤٠) ويقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (محمد: ٧) .

ومن المعلوم أن الله تعالى غير محتاج إلى نصرة أحد، وإنما يريد بنصرته تعالى إطاعة أوامره واجتناب نواهيه. ولكن المسلمين أهملوا جميع ما أمرهم به كتابهم أو أكثره، واعتمدوا في استحقاق النصرة على كونهم مسلمين موحدين، وظنوا أن هذا يغنيهم عن الجهاد بالأنفس والأموال. ومنهم من اعتمد على الدعاء والابتهال لرب العزة؛ لأنه يجده أيسر عليه من القتل والبذل. ولو كان مجرد الدعاء يغني عن الجهاد لاستغنى به النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وسلف هذه الأمة فإنهم الطبقة التي هي أولى بأن يسمع الله دعاءها. ولو كانت الآمال تبلغ بالأدعية والأذكار، ودون الأعمال والآثار لانتقضت سنن الكون، وبطل التشريع، ولم يقل الله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ (النجم: ٣٩) ولم يقل: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله﴾ (التوبة: ١٠٥) ولم يقل للمعتذرين عن القتال ﴿لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ (التوبة: ٩٤) الآية ولم يقل ﴿أني لا أضيع عمل عامل منكم﴾ (آل عمران: ١٩٥) .

لقد ظن كثير من المسلمين أنهم مسلمون بمجرد الصلاة والصيام، وكل ما لا يكلفهم بذل دم ولا مال، وانتظروا على ذلك النصر من الله. وليس الأمر كذلك فإن عزائم الإسلام لا تنحصر في الصلاة والصيام، ولا في الدعاء والاستغفار ، كيف يقبل الله الدعاء ممن قعدوا وتخلفوا، وقد كان في وسعهم أن ينهضوا ويبذلوا [٢] .

اعتذار المسلمين عن أنفسهم ورده

يقولون: ليس عند المسلمين ما عند الإفرنج من الثروة والسعة لينفقوا في أعمال الخير وفي مساعدة بعضهم بعضا. فنقول لمن يحتج بهذه الحجة: إننا نرضى منهم أن ينفقوا على نسبة رؤوس أموالهم كما تقدم الكلام عند ذكر الجهاد

بالمال. فهل المسلمون فاعلون؟ !
إننا نراهم قد محوا رسوم الأوقاف والمؤسسات الخيرية التي تركها آباؤهم، فضلا عن كونهم لا يتبرعون بأموالهم الخاصة ولا يجرون مع الأوربيين في ميدان من جهة التبرع لأجل المشروعات العامة، فكيف يطمع المسلمون أن تكون لهم منزلة الأوربيين في البسطة والقوة والسلطان وهم مقصرون عنهم بمراحل في الإيثار والتضحية؟ . فإن العمل لأجل السلطان في الأرض أشبه بالحرث في الأرض، فبقدر ما تشتغل فيها هي تعطيك. وإن قصرت في العمل قصرت هي في الثمر. والمسلمون يريدون سلطانا يشبه سلطان الأوربيين بدون إيثار ولا بذل، ولا فقد شيء من لذائذهم، وينسون أن الله تعالى يقول: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ (البقرة: ١٥٥) .
وقد يقولون: إننا جربنا البذل والتضحية، وابتلينا بالنقص من الأموال والأنفس والثمرات وصبرنا ولم يفدنا ذلك شيئا، وبقي الأوربيون مسلطين علينا، إني أنقل هذا القول عن بعضهم لأني قد سمعته كثيرا.
والجواب: هل يقدرون أن يقولوا لنا: إن ما يدعونه من البذل والتضحية يشبه شيئا مما يقوم به النصارى واليهود من هذا القبيل؟ أو إنه إذا نسب إليه يكون نسبته نسبة الواحد إلى المائة؟ !
عندنا مثال حديث العهد هو مسألة فلسطين: حدثت وقائع دموية بين العرب واليهود في فلسطين فأصيب بها أناس من الفريقين. فأخذ اليهود في جميع أقطار الدنيا يساعدون المصابين من يهود فلسطين. وأراد العالم الإسلامي أن يساعد عرب فلسطين كما هو طبيعي فبلغت تبرعات اليهود لأبناء ملتهم من فلسطين مليون جنيه، وبلغت تبرعات المسلمين كلها ١٣ ألف جنيه أي نحو جزء من مائة.
فسيقولون: إن المسلمين لا يملكون مثل ثروة اليهود. ونعود فنجيبهم نرضى منهم بأن ينفقوا في مساعدة ملتهم على قدر اليهود والإفرنج بالنسبة إلى رؤوس أموالهم، ولا نطالب منهم الفقراء الذين لا يملكون ما يزيد على كفاية عائلاتهم.

قال الله تعالى: ﴿إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ (التوبة: ٩٣) . ونجيب أيضا: أنه وإن كان اليهود أغنى بالأموال من المسلمين فالمسلمون أكثر جدا بالعدد؛ لأن اليهود عشرون مليونا، والمسلمين نحو من ثلاثمائة وخمسين مليونا.

فلو أن كلا من المسلمين تبرع لفلسطين بقرش واحد - وهو الذي لا يعجز عنه أحد في العالم مهما اشتد فقره - لاجتمع من ذلك ثلاثة ملايين جنيه ونصف. فلنترك تسعة أعشار المسلمين ونفرض هذه الإعانة لفلسطين على عشر واحد منهم أي على ٣٥ مليون نسمة لا غير. وهؤلاء الخمسة والثلاثون مليون نسمة نجدهم حول فلسطين في لمحة بصر. فإن مسلمي مصر وسورية وفلسطين والعراق ونجد والحجاز واليمن وعمان هم ٣٥ مليونا. ولنتقاض من هؤلاء أداء قرش واحد عن كل جمجمة، فماذا يجتمع لنا من ذلك؟ الجواب: يجتمع ثلاثمائة وخمسون ألف جنيه.

فالمسلمون قد تبرعوا عن هذه الأعداد كلها بثلاثة عشر ألف جنيه أي بما يساوي نحو ثلثي عشر القرش عن كل نسمة من عشر عددهم.

أهذا ما تريدون أن تسموه (تضحية) ؟ !

أو بمثل هذا تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم؟ !

أو هذه درجة نجدتكم لإخوانكم في الدين وجيرانكم في الوطن والقائمين عنكم بالدفاع عن المسجد الأقصى الذي هو ثالث الحرمين وأول القبلتين؟ ، أفلم يقل الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات: ١٠) أفهذه نجدة الأخ لأخيه؟ !

يقولون: لماذا سادت الأمة الإنكليزية هذه السيادة كلها في العالم؟

نجيبهم: إنها سادت بالأخلاق وبالمبادئ. حدثني رجل ثقة أنه يعرف إنكليزيا ذا منصب في الشرق كان يأمر خادمه أن يشتري له الحوائج اللازمة لبيته يوميا من دكان رجل إنكليزي في البلدة التي هم فيها. فجاءه الخادم مرة بجدول حساب وفر عليه به ٢٠ جنيها في مدة شهر. فسأله الإنكليزي: كيف أمكنك هذا التوفير؟ فقال الخادم: تركنا دكان الإنكليزي الذي كنا نشتري منه وصرنا نشتري من دكان أحد

الأهالي العرب. فقال له الإنكليزي: ارجع إلى دكان الإنكليزي الذي كنا نشتري منه. فقال الخادم: أو لو كان ذلك يستلزم إنفاق ٢٠ جنيها زيادة؟ قال الإنكليزي: ولو كان يستلزم ٢٠ جنيها زيادة. وسمعت أن كثيرين من الإنكليز الذين في الأقطار لا يشترون شيئا ذا قيمة إلا من بلادهم ويرسلون إلى لندرة فيوصون على كل ما يحتاجون إليه حتى لا يذهب مالهم إلى الخارج.

أفنقيس هذا بأعمال المسلمين الذين مهما أوصيتهم بالشراء من أبناء جلدتهم أو أوطانهم وعلموا أنهم يقدرون أن يوفروا في السلعة الواحدة نصف قرش إذا أخذوها من الإفرنجي تركوا ابن جلدتهم أو ملتهم ورجحوا الإفرنجي؟ ! أفلم يكن سبب حبوط مقاطعة العرب لليهود في فلسطين أشياء كهذه؟ حرموا أنفسهم أمضى سلاح في يدهم وهو المقاطعة في الأخذ والعطاء مع اليهود من أجل فروق تافهة مؤقتة ونسوا أن الضرر الذي يصيبهم من الأخذ والعطاء مع اليهود هو أعظم ألف مرة من ضرر هاتيك الفروق الزهيدة! .

وكنت مرة أشكو إلى أحد كبار المصريين إهمال إخواننا المصريين

لمجاهدي طرابلس وبرقة الذين إن لم تجب عليهم نجدتهم قياما بواجب الأخوة الإسلامية والجوار وجبت عليهم احتياطا من وراء استقلال مصر واستقبال مصر؛ لأنه كما أن وجود الإنكليز في السودان هو تهديد دائم لمصر فوجود الطليان في برقة هو تهديد دائم لها أيضا. فكان جواب ذلك السيد لي: لقد بذل المصريون مبالغ وفيرة يوم شنت إيطالية الغارة على طرابلس ولم يستفيدوا شيئا فإن إيطالية لم تلبث أن أخذتها!

فقلت له: إن المصريين قد نهضوا في الحرب الطرابلسية نهضة هي بدون

شك ترضي كل مسلم، بل ترضي كل إنسان يقدر قدر الحمية. ولكن المبلغ الذي تبرعوا به يومئذ معلوم وهو ١٥٠ ألف جنيه؟ ! فهل يطمع المسلمون في أنحاء المعمورة أن ينقذوا طرابلس من براثن إيطالية بمائة وخمسين ألف جنيه؟ وهل هذه التضحية تقاس في كثير أو قليل إلى التضحيات التي قامت بها إيطالية بالمال والرجال؟ !

كانت إعانة مصر في الحرب الطرابلسية ١٥٠ ألف جنيه، وأنفقت الدولة العثمانية على تلك الحرب نحو مليون جنيه.

فانظر إلى ما كان لذلك من النتائج:

(النتيجة الأولى) وهي أهم شيء: حفظ شرف الإسلام وإفهام الأوربيين أن الإسلام لم يمت، وأن المسلمين لا يسلمون بلدانهم بدون حرب، وفي ذلك من الفائدة المادية والمعنوية للإسلام ما لا ينكره إلا كل مكابر.

(النتيجة الثانية) أن هذا المبلغ الضئيل بالنسبة إلى نفقات الدول الحربية قد كان السبب في توطين الطرابلسيين أنفسهم على المقاومة والمجاهدة بما رأوا من نجدة إخوانهم لهم. فكانت هذه المقاومة سببا لتجشيم إيطالية المعتدية من المشاق والخسائر ما هو فوق الوصف إلى أن صار كثير من ساسة الطليان يصرحون بندمهم على هذه الغارة الطرابلسية.

(النتيجة الثالثة) مهما يكن من عدد القتلى الذين فقدهم العرب في هذه الحرب فإن مجموع قتلى الطليان إلى اليوم يفوق مجموع قتلى العرب أضعافا مضاعفة. فلقد لقي الطليان في هذه الحرب من الأهوال ما لا يتسع لوصفه مقالة أو رسالة. وفي واقعة واحدة هي واقعة (الفويهات) على باب بنغازي ثبت فيها ١٥٠ مجاهدا عربيا لثلاثة آلاف جندي طلياني من الفجر إلى غروب الشمس إلى أن انقرضوا جميعا، إلا أفذاذا أتى عليهم الليل، ورجع العدو ولما يموتوا. وبينما كان العرب في حزن عظيم على من فقدوهم في تلك المعركة إذ جاءهم الخبر البرقي من الآستانة عن برقية وردت إليها سرا من برلين عن برقية رقمية جاءت من سفارة الألمان في رومية بأنه سقط في هذه المعركة ألف وخمسمائة جندي من الطليان، وأصاب الجنون سبعة من ضباطهم، وهذه وقعة من خمسين وقعة بالأقل تضاهيها، فالمسلمون قد قاتلوا في هذه المعركة جيشا يفوقهم في العدد عشرين ضعفا وقتلوا نصفه أي قتلوا عشرة أضعافهم، والله تعالى قد قدر لهم في حال القوة أن يغلبوا عشرة أضعافهم وفي حال الضعف أن يغلبوا ضعفيهم فقط كما قال في سورة الأنفال: ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون

صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾ (الأنفال: ٦٥-٦٦) .

(النتيجة الرابعة) أنه قد كانت نفقات إيطاليا في الحرب الطرابلسية في السنة الأولى منها - أي من سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩١٢ - نحو مائة مليون جنيه، ويظن أنها من عشرين سنة إلى اليوم - إذ المقاومة لم تنقطع حتى هذه الساعة - قد بلغت ثلاثمائة مليون جنيه.

فهذا كان كله نتيجة تلك الإعانة القليلة والنفقات الضئيلة التي قام بها المسلمون في تلك الحرب، ولكن المسلمين ينتظرون أن تنهزم إيطالية الدولة الكبيرة التي أهلها ٤١ مليون نسمة ودخلها السنوي ٢٠٠ مليون جنيه في صدمة واحدة أو في السنة الأولى من الحرب [٣] وإن لم يتحقق أملهم هذا انقطع منهم كل رجاء وبطلت كل حركة، وأصاب بعضهم اليأس الذي هو مرادف للكفر بصريح الذكر الحكيم: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ (يوسف: ٨٧) .

ولنضرب مثلا ثالثا ونمسك بعده عن ضرب الأمثال؛ لأنها لا تعد ولا تحصى: قام أهل الريف في وجه الدولة الأسبانية مدة بضع سنين إلى أن تغلبوا عليها وطردوا جيوشها بعد أن أبادوا منهم في واقعة واحدة ٢٦ ألف جندي وغنموا ١٧٠ مدفعا وجميع أهل الريف بقضهم وقضيضهم ثمانمائة ألف نسمة. وعدد أهالي أسبانية ٢٢ مليون نسمة، وأراضي الريف أكثرها قاحل والأهالي فيه فقراء يعيشون من كسب أيديهم، ولقد قاموا بعمل أدهش أهل الأرض بالطول والعرض.

فلو كان أهل الريف نصارى لانثالت عليهم الملايين من الجنيهات من كل الجهات إما بطريقة خفية وإما بواسطة جمعية الصليب الأحمر في سبيل مداواة جرحاهم. فليقل لنا المسلمون كم جنيها قدموا للريف في ذلك الوقت؟

ثم تألب الفرنسيس مع الأسبانيول وحشدوا لحرب الريفيين ٣٠٠ ألف مقاتل وحصروا الريف من كل جانب من البر والبحر، وكانت طياراتهم القاذفة بالديناميت

على قرى الريفيين تحصى بالمئات لا بالعشرات، ولم تكف طيارات الفرنسيس والأسبانيول حتى جاء سرب طيارات أمريكية من نيويورك نجدة لفرنسة وأسبانية (النصرانيتين على المسلمين لأنهم مسلمون) .

هذا كله والمسلمون ينظرون إلى حرب الريف مكتوفي الأيدي، ولبثوا مكتوفي الأيدي مدة سنة. وأخيرا نهض منهم أفراد لجمع شيء من أجل جرحى الريف، ولأجل بعث الحمية في الناس لم يكتف محرر هذه السطور بالكتابة بل تبرعت بأربعة جنيهات لأجل القدوة.

فماذا كان مجموع تلك الإعانات من كل العالم الإسلامي؟

الجواب: ١٥٠٠ جنيه.

***

خيانة بعض المسلمين لدينهم ووطنهم واعتذارهم الباطل:

ويا ليت المسلمين وقفوا عند هذا الحد في خذلان الريفيين بل قامت منهم فئام يقاتلون الريفيين بأشد ما يقاتلون به الأجانب، وتألبت على محمد بن عبد الكريم قبائل وافرة العدد شديدة البأس ومالئوا الفرنسيس والأسبانيول على أبناء ملتهم ووطنهم تزلفا إلى الفرنسيس والأسبانيول وابتغاء الحظوة لديهم. وقد جرى مثل ذلك عندنا في سورية يوم الثورة على فرنسة، وجرى في بلاد إسلامية كثيرة.

أفبمثل هذه الأعمال يطالب أخونا الشيخ بسيوني عمران ربه بما وعد تعالى به من جعل العزة للمؤمنين؟ !

وإذا سألت هؤلاء المسلمين الممالئين للعدو على إخوانهم:

كيف تفعلون مثل هذا وأنتم تعلمون أنه مخالف للدين وللشرف وللفتوة وللمروءة وللمصلحة وللسياسة؟

أجابوك: كيف نصنع فإن الأجانب انتدبونا ولو لم نفعل لبطشوا بنا، فاضطررنا إلى القتال في صفوفهم خوفا منهم؟ ونسوا قوله تعالى: ﴿أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ (التوبة: ١٣) وقوله تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ (آل عمران: ١٧٥) .

وكلام مثل هؤلاء في الاعتذار غير صحيح؛ فإن الأجانب قد ندبوا كثيرا من المسلمين إلى خيانات كهذه فلم يجيبوهم ولم تنقض عليهم السماء من فوقهم، ولا خسفت بهم الأرض من تحتهم، ثم إنه إن كان الأجانب المحتلون لبلاد المسلمين قد أصبحوا يغضبون على المسلمين الذين لا يلبون دعوتهم إلى خيانة قومهم فإنما كان ذلك من أجل أن كثيرين من المسلمين كانوا يعرضون عليهم خدمتهم في مقاومة إخوانهم، ويقومون بها بكل نشاط ومناصحة، ويبدون كل أمانة لهم في أثناء تلك الخيانة! . ولولا هذا التبرع بالخيانة والتسرع إلى مظاهرة الأجنبي على ابن الملة لما استأسد الأجنبي وصار يتحكم في المسلمين هذا التحكم الفاحش، ويتقاضاهم أن يخالفوا قواعد دينهم ومقتضى مصلحة دنياهم من أجل مصلحته، بل قام يحملهم على الموت لأجل الموت.

فإن الموت موتان: أحدهما الموت لأجل الحياة وهو الموت الذي حث عليه القرآن المؤمنين إذا مد العدو يده إليهم، وهو الموت الذي قال عنه الشاعر العربي:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياة مثل أن أتقدما

وهو الموت الذي يموته الإفرنسي لأجل حياة فرنسة، والألماني لأجل حياة ألمانية، والإنكليزي في سبيل بريطانية العظمى - وهلم جرا - ويجده على نفسه واجبا لا يتأخر عن أدائه طرفة عين.

وأما الموت الثاني فهو الموت لأجل استمرار الموت، وهو الموت الذي يموته المسلمون في خدمة الدول التي استولت على بلادهم. وذلك أنهم يموتون حتى ينصروها على أعدائها كما يموت المغربي مثلا حتى تنتصر فرنسة على ألمانية مثلا. ويموت الهندي حتى تتغلب إنكلترة على أي عدو لها. ويموت التتري في سبيل ظفر الروسية. والحال أنه بانتصار فرنسة على أعدائها تزداد في المغرب غطرسة وظلما وابتزازا لأملاك المسلمين وهضما لحقوقهم. وذلك كما حصل بعد الحرب العامة إذ ازداد طمع الفرنسيس في أهل المغرب وحدثوا أنفسهم بتنصير البربر.

وبالاختصار يموت المغربي على ضفاف الرين أو في سورية حتى يزداد

موتا في المغرب! ؛ لأن كل طائلة تفوز بها فرنسة في الخارج هي زيادة في قهر المغربي وإعناته وإذلاله مما لا سبيل للمناكرة فيه، ومما قد ثبت بالتجربة. وكذلك موت الهندي في سبيل نصرة إنكلترة هو تطويل في أجل عبودية الهند. وكذلك موت التتري في خدمة الروسية لا عاقبة له سوى ازدياد قهر الروس للتتر. وهلم جرا.

وهذا الموت لأجل الموت هو ما كان بخط منحن كما يقال، أي باعتبار النتيجة، ولكنه هناك موت لأجل الموت مباشرة بدون واسطة، وهو عندما يموت المغربي في قتال أخيه المغربي الذي قام يحاول أن يزحزح شيئا من النير الإفرنسي الذي كاد يدق عنقه، وإن لم يدق عنقه بتاتا استحياه حياة هي أشبه بالموت!

ولو انحصرت هذه الأمور في العوام والجهلاء لعذرناهم بجهلهم، وقلنا: إنهم لا يدرون الكتاب ولا السنة ولا السياسة الدنيوية، ولا الأحوال العصرية، وإنهم إنما يساقون كما تساق بهيمة الأنعام إلى الذبح.

ولكن الأنكى هو خيانة الخواص. مثال ذلك الوزير المقري الذي هو أشد تعصبا لقضية رفع الشريعة الإسلامية من بين البربر من الفرنسيس أنفسهم. ومثله البغدادي باشا فاس الذي طرح نحو مائة شخص من شبان فاس وجلدهم بالسياط لكونهم اجتمعوا في جامع القرويين وأخذوا يرددون دعاء: (يا لطيف الطف بما جرت به المقادر، ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر) ومفتي فاس الذي أفتى بأن إلغاء الشرع الإسلامي من بين البربر ليس بإخراج للبربر من الإسلام! وهلم جرا.

وكل من هؤلاء الخونة المارقين – أخزاهم الله – قد بلغ من الكبر عتيا، وانتهى من أموال الأمة شبعا وريا، وهو لا يزال حريصا على الزلفى إلى فرنسة، وإثبات صداقته لها ولو بضياع دينه ودنياه، حتى تبقي عليه منصبه وحظوظه في هذه البقية الباقية من حياته التاعسة [٤] .

وليس واحد من هؤلاء ولا من في ضربهم في المغرب إلا وهو مطلع على نيات فرنسة وعلى مراميها من جهة هذا النظام الجديد لأمة البربر، وليس فيهم إلا من هو عارف بوجود جيش من القسوس والرهبان والراهبات يجوس خلال بلاد

البربر ويبني الكنائس ويتصيد اللقطاء والأيتام والفقراء وضعفاء الإيمان، وليس فيهم إلا من هو عالم بمنع فرنسة فقهاء الإسلام والوعاظ من التجوال بين البربر حتى ترتفع الحواجز أمام دعوة المبشرين إلى النصرانية. وقد يكون المقري والبغدادي هذان هما في مقدمة الموقعين على الأوامر بمنع علماء الإسلام وحملة القرآن من الدخول إلى قرى البربر. وقد يكون المقري هذا هو الذي خصص المبلغ من مال المخزن لجريدة (مراكش الكاثوليكية) التي تطعن في الإسلام، وتقذف محمدا عليه الصلاة والسلام، ولدينا كثير من أعدادها التي تتضمن هذه المطاعن.

وبعد هذا فمن يدري؟ فقد يكون المقري مصليا وصائما وبيده سبحة يقرأ عليها أورادا. ومن يدري؟ فقد يكون البغدادي السيئ الذكر ممن يتمسحون بالقبور ويستغيثون بالأولياء ويتظاهرون بهذا الورع الكاذب. وأما المفتي فهو المفتي فلا حاجة إلى تثبيت كونه يصلي الخمس ويصوم ويتهجد ويوتر ويتنفل! ! .. إلخ.

وقد مضى علينا - نحن في سورية - شيء من هذا لأوائل عهد الاحتلال، لكن لم تكن خيانة هؤلاء المعممين في قضية دينية مباشرة. فقد اقترحت عليهم فرنسة أن يمضوا برقية إلى جمعية الأمم ينكرون بها عمل المؤتمر السوري الفلسطيني المطالب باستقلال سورية وفلسطين، فأمضاه منهم عمائم مكورة، وطيالس محررة مجررة، ورقاب غليظة، وبطون عظيمة، وإن لم أقل الآن:

أخزاهم الله، أخشى عتاب إخواننا المغاربة الذين يرونني خصصت بهذا الدعاء صدرهم الأعظم، ومفتيهم الأكبر، وأعفيت معممي سورية؛ فلذلك يقضي العدل بأن نقول: أخزاهم الله أجمعين، أخزى الله الذين منهم في المشرق والمغرب، ممن يوقعون على اقتراحات الأجانب المضرة بالدين والوطن.

(للكلام بقية)

((يتبع بمقال تال))

---

(١) المنار: يراجع تفصيل هذه المسألة في أجزاء تفسير المنار تجده في مواضع من أكثرها، منها ١٣ موضعا في الجزء الرابع منه و٧ مواضع في الجزء الثاني وآخرها في آخر الجزء التاسع

ولها مزيد من الجزء العاشر الذي سيصدر قريبا.
(٢) يظهر أن الأمير لم يقرن الزكاة بالصلاة والصيام لعلمه بأن أكثرهم تركها وهي ركن الإسلام الدنيوي المادي، والصلاة ركنها الروحي، وهم يطلبون الدنيا ويتركون من الإسلام أهم أركانه - الزكاة والجهاد بالمال والنفس في سبيل الله وقد وصف الله المؤمنين الصادقين بالجهاد بأموالهم وأنفسهم فقدم ذكر المال وقال في سياق آيات القتال (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) (البقرة: ١٩٥) أي بعدم الإنفاق، وقد قاتل الصحابة رضي الله عنهم من منع الزكاة ولم يعتدوا بإسلامهم بدونها.
(٣) أي وهذا عددها، وهذا دخلها، وهذا إنفاقها على الحرب وأما عصبيتها وضراوتها في سفك دماء المسلمين فحسب المسلم الذي لم يفسده التفرنج والإلحاد أن يقرأ النشيد الطلياني الذي ننقل ترجمته عن جريدة (الشرق) عدد ٥٤٣ وهو:
إن من أعظم الآلام لشاب في العشرين من عمره أن لا يحارب في سبيل وطنه مع دوام القتال في طرابلس والراية المثلثة الألوان والموسيقى الحربية تنبهان النفس المقدامة يا أماه، أتمي صلاتك ولا تبكي، بل اضحكي وتأملي ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني وأنا ذاهب إلى (طرابلس) فرحا مسرورا؛ لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة المعلونة (كذا) ولأحارب الديانة الإسلامية التي تجيز البنات الأبكار للسلطان (*) سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن (كذا) ليس بأهل للمجد من لم يمت إيطاليا حقا تحمسي أيتها الوالدة، تذكري (كاروني) التي جادت بأولادها في سبيل وطنها يا أماه، أنا مسافر، ألا تعلمين أن على الأمواج الزرقاء الصافية من بحرنا ستلقي سفائننا المراسي؟ أنا ذاهب إلى طرابلس مسرورا؛ لأن رايتنا المثلثة الألوان تدعوني، وذلك القطر تحت ظلها لا تموتي؛ لأننا في طريق الحياة وإن لم أرجع فلا تبكي على ولدك ولكن اذهبي في كل مساء وزوري المقبرة ونسائم الأصيل تحمل إلى طرابلس وداعك الذي يأبى الحداد على قبر فلذة كبدك وإن سألك أحد عن عدم حدادك علي فأجيبيه: إنه مات في محاربة الإسلام!
الطبل يقرع يا أماه، أنا ذاهب أيضا ألا تسمعين هزج الحرب، دعيني أعانقك وأذهب! (*) الديانة الإسلامية لا تجيز للسلطان إلا ما تجيزه لغيره من المسلمين وهو تزوج البكر والثيب، ولكن الإفرنج تبيح لهم نصرانيتهم الافتراء على الإسلام.

(٤) الغريب في هذا أن أمثال هؤلاء يبيعون بلادهم كلها للأجنبي بثمن خسيس هو جزء منها لا من مال الأجنبي، ولو أخلصوا في صده عنها لكان لهم منها أكثر مما يعطيهم الأجنبي منها ثم يكون باقيها لأولادهم وأهليهم وإخوانهم في الدين مع العز والشرف.". (١)

٣٣. ٣٤-"الكاتب: محمد رشيد رضا

إلحاد في القرآن

ودين جديد بين الباطنية والإسلام

المقالة الرابعة

السنن الكونية الاجتماعية ونظام الكون

لقد أكثر هذا الملحد من ذكر السنن الإلهية ونظام الكون في هوامشه ومقدمتها، وجعلها هي المستند له في جحود آيات الله تعالى التي أيد بها رسله، وتحريف الآيات الواردة فيها وفي أخبار عالم الغيب كما تقدم، وقد وعدنا بإظهار جهله في هذه المسألة فنقول:

إننا بفضل الله قد انفردنا دون سائر المفسرين بالكلام على هذه السنن والنظام الإلهي في تفسيرنا ومجلتنا، وهو قد سمع ذلك منا ولكنه لم يفهمه، بل لبسه كالفرو مقلوبا، ونكس على رأسه فاتخذه منكوسا، نحن قد أوردناه لتقوية الإيمان، والحجة على إعجاز القرآن، فجعله هو شبهة على الإيمان بالغيب وجحود آيات الأنبياء عليهم السلام، وما أوردناه من تأويل لبعض ما يحتمل التأويل على طريقة المتكلمين، قصدنا به تقريبه من عقول الجامدين على المألوف من النظريات العقلية أو العلمية، لئلا يردوا النصوص بها فيرتدوا، وقد صرحنا مرارا بأن الذي ندين الله به من أخبار عالم الغيب، وما في معناها من آيات الله تعالى في الخلق، هو الإيمان بما صح منها بلا تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل، وقد جعلها هذا الملحد

---

(١) مجلة المنار ٣٥٣/٣١

قانونا لتحريف ما لا يحتمل التأويل، كما قال الله: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ (آل عمران: ٧) الآية، فوجب أن نأتي بخلاصة في المسألة مما نشرناه في مواضع متفرقة في المنار وتفسيره، ونقفي عليها بتفنيد ضلالته فيها، فنقول:

قد أخبر الله تعالى في مواضع من كتابه بأن له سننا في عباده والأقوام الذين بعث فيهم رسله، وأن سننه لا تبديل لها ولا تحويل، وأخبر أيضا بأنه أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء، وأن كل شيء عنده بمقدار، وأن خلقه في منتهى الإحكام والنظام.

فمما بينه الله تعالى من أنواع هذه السنن، كنصره لرسله على الجاحدين المعاندين لهم، ومن إهلاكه للظالمين، ومن تدميره على الفاسقين المفسدين – فهو كما قال تعالى.

وكذا ما بينه من نظام الخلق ومقاديره، ككون الشمس والقمر بحسبان، وما جعله لهما في السماء من المنازل والبروج، ومن كونها لا تفاوت فيها من فطور ولا فروج، فهو كما قال عز وجل.

وأما ما لم يبينه لنا من ذلك في كتابه بنوعه أو عينه، فالطريق إلى معرفته هو ما أرشدنا إليه من النظر في ملكوت السموات والأرض، وما خلق من شيء، والتأمل في آياته في الآفاق وفي أنفسنا، والسير في الأرض لمعرفة آثار من قبلنا وكذا من في عصرنا بالأولى.

قد أرشدنا كتاب الله عز وجل إلى كل هذا، وقد أشرنا في مواضع من المنار وتفسيره إلى ما هو ثابت بالحس من أن أعلم الناس بسنن الله وحكمه ونظمه في خلقه هم أكثرهم انتفاعا بهذا العلم، واهتداء به إلى تسخير هذا الكون.

سنن الله مادية وروحية:

وبينا أيضا أن هذه السنن وهذا النظام والتقدير والإحكام والتدبير، عام في كل ما خلقه تعالى من عالمي الغيب والشهادة، أو عالمي الأجساد والأرواح، أو المادة وما

وراء المادة، على اختلاف الاصطلاح.

وصرحنا بأن ما أيد به تعالى رسله من المعجزات، وكذا ما دون ذلك من خوارق العادات التي تسمى الكرامات، إذ لم يكن جاريا على سنن النظام المألوف في القوى الجسدية والنظم المادية، فقد يكون جاريا على السنن الروحية والمقادير الغيبية، وقد يكون بمحض القدرة الكاملة، فهو مزيد كمال في قدرته وحكمتها لا نقضا لهما، ولا نقصا فيهما.

فإذا لم يكن من سننه تعالى في حياة الجسد إذا فقدت بالموت أن تعود إلى الميت؛ فإن هذه السنة السلبية لا تنافي أن يهب الله تعالى بعض خواص الروحانيين من خلقه، كالملائكة أو المسيح الذي خلقه بالنفخ من روحه في أمه أن يمد بهذا الروح القوي ميتا كألعازر أو البنت اللذين روت الأناجيل خبر إحيائه إياهما، فيسري فيهما من روحه ما يجذب إليهما الروح التي خرجت منهما بقدرة الله تعالى، ومثل ذلك حلول الحياة في عصا موسى في الوقت المعلوم الذي أمره الله فيه بإلقائها عند بعثته، وعند امتحان السحرة له، والله على كل شيء قدير.

لا فرق بين ما لا نعلمه من هذه السنن الروحية، وما نعلمه من السنن الجسدية في كون كل منهما فعل مبدع الأرواح، وخالق الأجساد، ولا يعترض بإحداهما على الأخرى عند من يؤمن بأن الخالق واحد هو واضع السنن ومقدرها؛ ولكن هذا الأمر النادر ينكره من لا يؤمن بأن كلا منهما فعل الله القادر على كل شيء.

ومن الغريب أن أطباء هذا العصر وأعلم علمائه الماديين يرون من الجائز في العقل الذي يقرب أن يصل إليه العلم، أن تعود الحياة إلى جسد الإنسان أو الحيوان بعد موته بمدة غير طويلة كحياة البنت الميتة التي دخل المسيح عليه السلام بيت أبيها وأمها وسأل عنها فقيل له: إنها نائمة حتى لا ينغصوا عليه ضيافتهم له، فناداها قائلا: لك أقول يا صبية قومي، فقامت بإذن الله تعالى.

وأغرب من هذا أن منهم من يقول بإمكان إيجاد الحياة في بعض الأجسام بطريقة علمية صناعية، ونقل أخيرا عن عالم منهم اسمه مورجان أنه قام بتجارب

عملية أثبت بها إمكان استيلاد مخلوقات حية على سبيل الشذوذ Emergeney، وملحد دمنهور لا يصدق أن المسيح أحيا الناس من موت الجهل والرذيلة؛ ولكن هذا النوع من الإحياء ثابت لجميع العلماء الذين يعلمون الصغار - والجاهلين من الكبار - ما يزيل جهلهم ويحييهم حياة دينية أو أدبية أخلاقية، فهو لا يمكن أن تكون آية لعيسى عليه السلام ينوه بها كتاب الله، ويخبرنا أن الجاحدين لنبوته وصفوها بالسحر.

وما عهد من المؤمنين بالله ورسله أحد ينكر هذه الآيات بمثل هذه الشبهة، وإنما عهد ذلك من الكافرين بالله وبرسله، أو من الزنادقة الذين يظهرون الإيمان ويسرون الكفر لخداع المؤمنين وتشكيكهم في دينهم توسلا إلى إخراجهم منه كملاحدة الباطنية.

السنن من الممكنات بين المحو والإثبات:

فإذا كنا نقول بثبوت سنن الله واطرادها لما بينه الله من ذلك، فالواجب في ذلك أن نتبع كتاب الله فيما يبينه من خوارق العادات أيضا، فلا نكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾ (البقرة: ٨٥) .

وإذا أردنا أن نثبت هذه السنن واطرادها من طريق العلم ونبني عليه تأويل ما يخالفها كله من نصوص الكتاب والسنة على طريقة المتكلمين المعروفة (وهو ما يمكن أن يستمسك به ملحد دمنهور) فيجب علينا قبل كل شيء أن نبين ما تقوم الأدلة العلمية القطعية على صحته واطراده واستحالة تغيره وتخلفه مطلقا، وحينئذ لا نكاد نجد شيئا بهذه الصفات إلا قليلا من الضروريات (ككون النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان) وليس منها عودة الحياة إلى من مات ولم يطل العهد على موته، كالبنت التي أحياها المسيح عليه السلام، ولا إعادة وظائف التناسل إلى من فقدها من النساء والرجال، كما وقع لزكريا وزوجه عليهما السلام.

والقاعدة عند علماء الكون - حتى الماديين منهم - أن كل ما نقول إنه من

سنن الكون (أو نواميسه) فإنما هو بحسب ما ظهر لنا ببحثنا وتجاربنا، وأنه يجوز أن يظهر لنا ما يخالفه ويثبت لنا خطأنا فيه، كما حصل مرارا فيما ظهر للباحثين من خطأ من كان قبلهم من العلماء والفلاسفة المتقدمين والمتأخرين، ولا أرجع في التمثيل لهذا إلى ما نقض علماء الحضارة الأوربية من قواعد علوم اليونان والعرب وأفلاكهم وفلسفتهم، ولا إلى ما نقض بعضهم من قواعد بعض في القرون الأربعة الماضية، بل أكتفي بأهم ما حدث من ذلك في عصرنا هذا:

عثروا على مادة الراديوم الذي لا يجهل اسمه قارئ للجرائد، دع متلقي العلوم في المدارس، فكان بدء عصر جديد في الكيمياء والطبيعة تقوضت فيه سنن ونواميس كانت من المسلمات، وثبت خلافها، كإشعاعه الحرارة والنور إشعاعا دائما من غير أن ينقص من وزنه شيء، وكعدم تأثير ما حوله فيه من حرارة وبرودة، وكتحول المادة الغازية التي تنبعث منه إلى عنصر الهيليوم، وبهذا ثبت شيء كان علماء هذا الفن يجهلونه؛ إذ كانوا يقولون إن عناصر المادة البسيطة لا يتحول شيء منها فيستحيل إلى غيره.

وقد كانت سنة الجاذبية من المسلمات التي لا نزاع فيها حتى قام الأستاذ أينشتين الألماني بتقويض دعائمها بنظرية النسبية، التي فتحت في العلم بابا جديدا من أبواب المحو والإثبات في الطبيعيات وفي الرياضيات أيضا.

وتلك نظرية داروين في الانتخاب الطبيعي التي تدعمها سنن كثيرة في الجيولوجية والنبات والحيوان والإنسان قد وقعت في النزع والاحتضار، كما بينا في مقالة خاصة في المنار، أو قضي عليها بالتبع للقضاء على النظرية الميكانيكية التي بنيت عليها، كما نشر في بعض الصحف في هذه الأيام.

أساس الكون ومصدره ومظهره:

وما لي لا آتي إلى أساس هذا الكون والسنن التي قام بها تكوينه في الأطوار المختلفة، ألم يكونوا يقولون: إنه مؤلف من مادة ذات عناصر بسيطة، وقوة هي منشأ التركيب الذي حدثت به الصور المختلفة في العالم كله.

قد هدم هذا الأساس إن لم يكن بما ثبت من تحول عنصر إلى عنصر، فبما

ثبت من تحول القوة إلى مادة، ثم بما ثبت من أن ما نسميه المادة والقوة اصطلاح لا تعرف له حقيقة، وأن هذا الوجود الذي نعرفه في أرضنا وسمائنا ليس سوى مظهر من مظاهر تموجات الكهرباء، وأن كل ذرة من ذراته تتألف من عدة كهارب سلبية تدور حول كهرب إيجابي – والكهرب هو الوحدة من الكهرباء – وهذه الكهارب لا يمكن أن يقال إنها مادة ولا إنها قوة، وإنما حقيقتها مجهولة.

وهذا الذي استقر عليه رأي علماء الكون أخيرا يؤيد ما أثبتناه في المنار وفي تفسيره من أن أول مظهر من مظاهر التكوين الذي نسميه المخلوق الأول مجهول للبشر، وأن علماء الكون اختلفوا في إمكان علم البشر به، فمنهم من يقول: إنه يمكن الوصول إلى العلم به بطول الترقي في معارج العلم، ومنهم من يقول بعدم إمكان ذلك، ونقل هذا عن الفيلسوف سبنسر قبل القول الأخير بتركب الذرات من الكهارب، ورأينا في هذه الأيام من نقله عن الأستاذ صليفان.

بل هو مثبت لأقوى الأدلة العقلية على وجود الله تعالى عندنا، وهو أن جميع مظاهر هذا الكون السماوية والأرضية تطورات تستند إلى حقيقة غيبية لا يعلم أحد كنهها، وقد بينا ذلك مرارا كثيرة منها مناظرة دارت بيننا وبين العلامتين صاحبي المقتطف.

فإذا كانت المادة تصدر عن القوة كما قالوا فما المانع من القول بأن هذه القوة هي قوة الله وقدرته؟ وإذا كان الوجود الممكن كله مظهرا من مظاهر تموجات الكهرباء المجهولة الكنه، فأي بعد بين قولهم هذا وقول أتباع الوحي: إن الوجود الممكن الظاهر صادر عن الوجود الواجب الغيبي الباطن و ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ (الحديد: ٣) .

نكتفي بهذه الكلمة الوجيزة في سنن الوجود الظاهر المدرك بالحواس، الذي بلغ البشر من العلم بها مستوى لم يعرف في التاريخ ما يقرب منه لأحد من شعوب الحضارة القديمة.

وإذا نحن ارتقينا عنه إلى علم النفس، وما تجدد فيه عند علماء العصر، علمنا أن في الوجود سننا غير سنن المادة بأنواعها بعد أن صار التنويم المغناطيسي

من الحقائق الثابتة بالتجارب المطردة، وما تبع ذلك وتقرر من بعض أنواع الكشف الذي يعبرون عن بعضه بقراءة الأفكار وبمراسلة الأفكار، وقد شاهدنا بعض ذلك بالطريقة الصناعية، بعد ثبوته عندنا بالهبة الإلهامية.

ووراء هذا وذاك مسألة مناجاة الأرواح التي آمن ببعض مظاهرها من لا يحصى لهم عدد من العلماء الطبيعيين والرياضيين، ووقف كثير منهم عندها حائرين.

وفوق ما ذكر كله قدرة رب العالمين، وإرادته واختياره في الخلق والتقدير والتدبير، وهو واضع السنن والقوانين، ومسخر الأسباب والنواميس، الحاكم بها وعليها وفيها بعد إيجاده لها، والمبدع لما شاء قبل وجوده وبعده ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾ (يس: ٨٢-٨٣) .

الإيمان بقدرة الفاطر فطري أو فكري والشذوذ فيه:

فالإيمان بقدرة الفاطر المبدع، الخالق المصور المقدر، غريزي في هذا الإنسان المفكر، ظهر في أجياله المفكرة في مظاهر مختلفة، من فطرية ساذجة، وفكرية راقية، ووجدانية شعرية، وروحانية إلهامية.

وشذ أفراد من المفكرين في هذا الأمر وفي اختلاف الناس فيه كشذوذ الناس في كل علم وعمل، لم يظهر لهم الصواب في جانب أحد منهم، ولا في شيء آخر يصح أن يكون فصلا فيما اختلفوا فيه، فكانوا فريقين (أحدهما) معطل لا يؤمن بشيء غيبي فوق هذا الوجود المدرك بالحواس (والثاني) شاك حائر بين إثباته ونفيه.

ذلك بأن البشر قد فطروا على التفاوت العظيم في الاستعداد للعلم والعمل، وهذا التفاوت يقتضي بطبعه الاختلاف في الفهم للشيء والحكم فيه، والاختلاف بين الناس في وسائل معارفهم البشرية ومقاصدها، يفضي بهم إلى الترقي فيها، فهو نافع ما لم يكن علة أو معلولا للتفرق والتعادي.

ومن المعلوم بالعقل والتجارب أنه لا مثار لاختلاف التفرق فيما ترتقي به

الزراعة والصناعة، ولا في وسائل انتشار التجارة، إذ لا يرى أحد من الناس غضاضة على نفسه ولا على قومه في اتباع ما سبقهم إليه غيرهم فيه.

وأما العلم بما يجب الإيمان به من وجود الفاطر وصفاته وشكره وعبادته، وما يرضيه أن يكون عليه عباده، فهو مما لا يرتقي ويتمحص باختلاف الناس فيه، ولا هو مما يسهل عليهم أن يأخذ كل قوم ما سبقهم إليه غيرهم فيه بكسبهم واجتهادهم، إذ لا يمكن أن يصل ذلك إلى درجة القطع التي يزول فيها الخلاف بالضرورة، وقد **ثبت بالتجربة** في الأجيال والآماد الكثيرة، أنه كان أعظم أسباب التفرق والتعادي وسفك الدماء الغزيرة.

حاجة البشر إلى الدين المستمد من الوحي:

فمن ثم كان البشر في أشد الحاجة لبيان الحق فيه إلى وحي من الله عز وجل، تقوم به الحجة على جميع أولئك الفرق من المؤمنين المختلفين، ومن الملحدين المعطلين، والشاكين اللاأدريين ﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ (البقرة: ٢١٣) الآية.

وقد كان من حكم كتاب الله الحق فيما اختلف فيه الناس بمقتضى ما ذكرنا من غريزة التفاوت بينهم في العلم والفهم والحكم، أن العالم كله صادر عن قدرة الله تعالى ومشيئته واختياره، سواء فيه ما أبدعه ابتداء، وما خلقه بنظام السنن العامة في الأسباب والمسببات، فالسنن وما وضعت له وجرت فيه كل ذلك بيد الله يتصرف فيها بمشيئته ليس مقيدا بشيء منها، فهو إذا شاء غيرها؛ ولكنه لا يفعل إلا ما تقتضيه حكمته، فصفات الله تعالى من العلم والحكمة والمشيئة والقدرة والرحمة لا تناقض ولا تعارض في متعلقاتها، كما بيناه مرارا في تفسيرنا.

هذا حكم الله تعالى في كتبه لرسله كما نراه في نصوص آخرها الذي أنزله الله مصدقا لها ومهيمنا عليها، وسنذكر بعض الشواهد منه فيها.

ويقابله قول معطلة الماديين الذين ينكرون الخالق والخلق بالمشيئة، وبعض الفلاسفة الإلهيين الذين يثبتون لرب العالمين من صفات الكمال ما عدا الاختيار في المشيئة، ومذاهبهم في تأثير الطبائع بذاتها، وضرورة اتصال العلل بمعلولاتها،

وكون الله تعالى خلق المادة وأودع فيها قواها ونظامها، وتركها لنفسها فلم يبق له فعل فيها، كل ذلك معروف ليس من موضوعنا تفصيله والرد عليه؛ وإنما غرضنا من ذكره أن نبين أن الناس على قسمين: مليين على هدي أنبياء الله تعالى يؤمنون بأن الله فاعل مختار بيده ملكوت كل شيء في كل وقت، وكفار يزعمون أن كل حركة وسكون في هذا الكون تجري على سنن نواميس فيه بمقتضى الضرورة لا تأثير فيها لموجود غيرها، وما يشاهدونه في كل زمن من وجود أشياء على غير هذه السنن المعروفة يسمونه (فلتات الطبيعة) ويقولون إنه لا بد له من سبب وإن كنا لا نعرفه، وما ينقل في كتب المليين من آيات الأنبياء، منهم من ينكره ومنهم من يتأوله، ومنهم من يقول: إنه من فلتات الطبيعة التي لم يظهر لنا سببها، فمذاهبهم في هذه المسائل متعددة.

وملحد دمنهور قد جرى على أصل هؤلاء القائلين بأن السنن والنواميس ضرورية لا يمكن تغيير شيء منها ولا تبديله ولو بفعل الله ومشيئته، وأنه ما وقع ذلك في الماضي للرسل ولا لغيرهم، فهو مخالف لجميع المليين من أتباع الرسل عليهم السلام، ولولا هذا لم يكن محتاجا إلى تحريف ما جاء في القرآن من أخبار الغيب ومعجزات الرسل.

شبهة ملحد دمنهور في السنن وبيان بطلانها:

قد يقول بغروره بجهله: إنني قد أخذت في هذا بما جهله جميع المسلمين وجميع المليين من قبلهم (أي وعرفه ملاحدة الباطنية لا سيما البهائية آخرهم) وهو ما نص عليه القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا﴾ (فاطر: ٤٣) .

ونقول في جوابه (أولا) : إن سنة الله التي قال إنه لا تبديل لها ولا تحويل، هي نصر رسله على المعاندين لهم من أقوامهم، كما هو صريح الآيات التي وردت فيها في سور الإسراء والأحزاب وفاطر والفتح، وفي السور التي لم يذكر فيها أنه لا تبديل لها أيضا.

وجاء لفظ السنن جمعا بهذا المعنى في سياق الكلام على غزوة أحد من سورة

آل عمران ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (آل عمران: ١٣٧) وجاء بمعنى التشريع الديني في سياق محرمات النكاح وحكمتها من سورة النساء ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب﴾ (النساء: ٢٦) فهو لم يقل هذا في أمر الخلق والتكوين، وربما كنت أنا الذي التزمت إطلاق هذا اللفظ على ما يسميه علماء الكون والفلسفة بالنواميس الطبيعية في المنار والتفسير، وفي نظام مدرسة الدعوة والإرشاد، إذ أطلقت اسم سنن الكائنات على الدروس التي وضعها الدكتور محمد توفيق صدقي – رحمه الله تعالى – في علم حفظ الصحة ومقدماته من علم الطبيعة وعلم وظائف الأعضاء، فنشرتها في المنار وطبعتها على حدتها بهذا الاسم.

وأول من أرشدنا إلى كون أصول علم الاجتماع من سنن الله في خلقه، حكيمنا العربي الواضع الأول لقواعد هذا العلم عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله تعالى؛ فإنه يكرر في مقدمته عقب بيان القاعدة العمرانية قوله: سنة الله في خلقه، أو سنة الله التي قد خلت في عباده، ثم زاد عليه في هذا أستاذنا الإمام في مقالات العروة الوثقى الاجتماعية، وزدت عليهما تعميم ذلك في النواميس الكونية كلها.

هذا وإنه ليس عندنا دليل ديني ولا عقلي على استحالة وقوع التبديل والتحويل في هذه السنن، ولا على اطرادها وعدم الشذوذ فيها مع الجزم بإمكانها.

وأما الأدلة العلمية المبنية على التجارب العملية فقد بينا آنفا أن أهلها لا يقولون بوجوب شيء من هذه السنن المعروفة، بحيث يستحيل نقضه وثبوت خلافه، وأنهم يثبتون الشذوذ بالأسباب المجهولة المعبر عنها بفلتات الطبيعة، وبالأسباب العلمية العملية، وقد كان بعض الناس ينكرون ما جاء به الأنبياء من أخبار عالم الغيب كالملائكة والجن والبعث بعد الموت لاستبعادها في مألوفاتهم وزعمهم أنها لا تعقل، وما وصل إليه البشر في هذا العصر من أسرار الكهرباء لم يبق شيئا من ذلك مستبعدا فضلا عن كونه محالا عقلا.

أفليس المؤمنون بوجود الخالق الفعال لما يريد، وأن (ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن) أولى منهم بالإيمان بقدرته على التصرف في هذه السنن متى شاء؟

ثانيا: إذا قيل: إن قوله تعالى: ﴿سنة الله﴾ (الأحزاب: ٣٨) مفرد مضاف يفيد العموم، وأنه يجري فيه قول علماء الأصول، بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قلنا: نعم، وإنما عموم كل شيء في موضوعه، وموضوع هذه السنة المنصوصة عباد الله من الأمم مع رسلهم، ويصح إطلاق اللفظ على غير ما ورد به النص من قواعد الاجتماع والعمران أيضا؛ ولكن لا يصح الاستدلال بالنص على عدم التبديل فيها.

ثالثا: إن سنن الاجتماع تختلف باختلاف أحوال البشر في البداوة والحضارة والقوة والضعف والعلم والجهل، وآلات القتال والنقل، فهي أمور نسبية متبدلة، لا قواعد رياضية مطردة، وذلك معروف من سير الأمم وتواريخها؛ وإنما تكون سنة بحسب الأحوال التي تكون بها مطردة.

مثال ذلك سنة غلب الكثرة للقلة التي عبر عنها الشاعر العربي بقوله:

ولست بالأكثر منهم حصى ... وإنما العزة للكاثر

يراعى في صحتها مساواة الكثرة للقلة في أسباب الغلب الصورية كالسلاح والنظام، والمعنوية كالصبر والثبات والإيمان، فإذا كانت هذه الأسباب متوفرة في القلة دون الكثرة، كان لها الغلب وفيها قال الله تعالى: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ (البقرة: ٢٤٩) .

رابعا: إن السنن الاجتماعية والكونية تتعارض وتتنافى كما تتعارض أسباب النصر والغلب وأضدادها في المثل المذكور آنفا، ومن ذلك تعارض أسباب الصحة وأسباب المرض، وتعارض التأثيرات الجسدية مع التأثيرات النفسية، فمن كان له الرجحان يكون مبطلا للآخر ذاهبا باطراده، وليس في هذا الوجود الممكن لا علويه ولا سفليه، ناموس من نواميس النظام يقوم الدليل القطعي على استحالة تغيره وتبدله، بل كله جائز بأسباب مما يعقله الباحثون ويتوقعون حدوثه أو بغير ذلك، كما يقولون في خراب هذا العالم وزوال هذه الأرض، أو انقطاع حياتها وعالمها بزوال حرارة الشمس بالتدرج البطيء، أو بتصادم بينها وبين بعض الأجرام السماوية، وهو ما تشير إليه آيات القرآن المجيد.

السنن والنظام في الخلق خاضعان لمشيئة الخالق:

ثم أقول خامسا: إن خالق الخلق بما شاء من النظام والسنن لم يقيد بها قدرته ومشيئته ويجعلها حاكمة عليه، بحيث يكون بها مقهورا لا قاهرا، وعاجزا عن التصرف لا قادرا، حتى لا فائدة في دعائه والتضرع له، بل دل كتابه - الذي لا يفهمه هذا الملحد الجاهل بلغته وبشريعته - أنه قيدها بمشيئته، وأن العالم كله في قبضته ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده﴾ (فاطر: ٤١) فهذه الآية صريحة في أن العالم في قبضة تصرف خالقه في كل وقت، وأن بقاءه بقدرته تعالى لا بما يظهر من سنن النظام فإنها مفعولة لا فاعلة، أو ظواهر صورية، لا حقائق وجودية، كما قال بعضهم في سنة الجاذبية.

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام * إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره﴾ (الشورى: ٣٢-٣٣) فحركات الريح تجري بحسب سنته تعالى في تأثير الحرارة فيها، وهو يقول أنه إذا شاء أسكنها.

وقد دل كتابه أيضا على أنه تعالى جعل للسنن الكونية والتشريعية استثناء يضعه موضعه بحكمته ورحمته، حتى أن عذاب الأمم المعاندين لرسله والذي نص كتابه على أنه لا تبديل فيه ولا تحويل قد دخله الاستثناء بالفعل، كما قال تعالى في سورة يونس: ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾ (يونس: ٩٨) فإن يونس عليه السلام كان خرج من قومه عندما جاء موعد ما أنذرهم من العذاب ولم يؤمنوا، فلما رأوا بوادر العذاب وكاد يقع بهم آمنوا فنفعهم إيمانهم ولم ينزل العذاب بهم، فهذا استثناء من السنة العامة في وقوع العذاب على الأقوام في مثل تلك الحال، سواء كان متصلا أو منفصلا في الإعراب.

ومما يدل على تقييد السنن العامة بالمشيئة قوله تعالى بعدما ذكر في سورة يونس: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا﴾ (يونس: ٩٩) وهذه المشيئة إنما تكون بخلق البشر على غير هذه السنن المعروفة في خلقهم من اختلاف

الاستعداد للإيمان والكفر معا، ومن ترجيح بعض متعلق هذا الاستعداد على بعض، أو بإزالة هذا الاستعداد بعض وجوده، وهو من سنن الله في نوع الإنسان.

ومن هذا الاستثناء عفو الله تعالى عما شاء من ذنوب عباده في الدنيا والآخرة؛ فإن عقاب المذنب من سنن العدل، والعفو والمغفرة من الرحمة والفضل، فكل مذنب مستحق للعقاب بحسب سنة الله في تأثير الأعمال في النفس المقررة في قوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها﴾ (الشمس: ٩-١٠) وما كل مذنب يستحق العفو، وقد اتفق حكماء البشر على أن من الحكمة الاستثناء في القوانين بالعفو عن بعض العقوبات.

والآيات المحكمة الصريحة في فعل الله لما يريد، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن - كثيرة، والمسلمون مجمعون على ذلك؛ ولكن إجماعهم لا قيمة له عند ملحد دمنهور ولا يحتج به في دينه، وقد يعبر عنهم بما يدل على أنه ليس منهم كما قال في تفسير: ﴿وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ (الفرقان: ٨) وهذا نصه:

(ومن الغريب مع هذا الدليل المبين أن المسلمين ينقلون في كتبهم أن النبي سحر بناء على حديث رواه اليهود، كما ينقل النصارى صلب المسيح بناء على حديث رواه اليهود أيضا) اهـ. فقد أنكر على المسلمين لا على المحدثين، ويعني بقوله: كتبهم، أصح كتب الحديث وجميع كتب التفسير؛ ولكنه كذب في زعمه أن حديث السحر المذكور قد رواه اليهود، والغرض من ذكر عبارته هنا أنه يهزأ بأعظم كتب المسلمين في التفسير والحديث هزو الساخر المتبرئ من المسلمين، وأما تحقيق المسألة فقد بيناه في المنار.

ومنها قوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ (يس: ٨٢) وهذا المعنى مكرر في القرآن، وهو ظاهر فيما يخلقه تعالى بدون نظام الأسباب، كخلق آدم من تراب، وخلق عيسى بن مريم من أم بدون أب.

وجملة القول في مسألة سنن الله تعالى في نظام الكون وسنن الاجتماع والعمران: أن ما ثبت منها فهو مقتضى حكمته، وأنه غير مقيد لعموم مشيئته

وشمول قدرته، وأن ما ثبت في كتابه أو في خليقته من آياته المخالفة للمعروف من تلك السنن فهو من تصرفه بمشيئته واختياره، لحكمة يعلمها في ذلك وقد يعلمها من شاء من خلقه، كمعجزات رسله عليهم السلام؛ فإن حكمتها ظاهرة بينها علماء أتباع الرسل أحسن البيان.

وإن منتهى الجهل والكفر بالله تعالى جعله مقيدا بما يظهر لبعض الناس من هذه السنن مع تخبطهم فيها، وعدم اتفاق عقلائهم وعلمائهم على ضرورة اطرادها، وما هذه الأرض وسننها إلا كذرة من ذراتها في جملتها ومجموعها، بالنسبة إلى ملك الله العظيم الذي ثبت لعلماء الفلك أن بعض أجرامه يبعد عن البعض الآخر بما يقدر بملايين السنين لسرعة النور، وهو يقطع نحوا من مائة مليون ميل في زهاء عشرة دقائق، فمن أنت أيها الجهول حتى تبيح لنفسك تحريف كلام الله لتأويل آياته في خلقه اغترارا بما لا تعلم حقيقته من هذه السنن.

فإذا كان شيطان الجهل والغرور قد زين لملحد دمنهور أنه يمكنه أن يكون رجلا عظيما في الأرض بوضع دين جديد لمن غلبت عليهم ظواهر الفلسفة المادية لا يوجد فيه شيء مخالف للمألوف عندهم، فليبعد عن القرآن والإنجيل والتوراة والزبور، فإن أديان جميع رسل الله مؤسسة على عقيدة تصرف رب العالمين في خلقه بمشيئته واختياره في كل وقت، وعلى تأييده لمن شاء من رسله بخوارق العادات، وسنن الاجتماع والكائنات، وعلى أن عالم الغيب من الملائكة والجن وغيرهم لا يقاس على عالم المادة، وأن الإيمان بما ورد الوحي فيه من ذلك كما ورد أصل من أصول الدين لا يصح الدين بدونه.

عجز فلاسفة أوربة عن وضع دين يخضع له البشر:

وليعلم أن بعض فلاسفة أوربة وأعلام الآداب والتشريع فيها قد وضعوا أصولا لديانة سموها الديانة الطبيعية، راعوا فيها من الفضائل والمصالح العامة والخاصة ما استحسنه السواد الأعظم من الماديين وغيرهم؛ ولكن لم يتخذها شعب من الشعوب، ولا جماعة من الجماعات، ولا فرد من الأفراد دينا يلتزمه في أعماله

وآدابه! ولماذا؟

لأن الدين الذي يحتاج إليه البشر لتكميل فطرتهم وإزالة الخلاف من بينهم فيما يجب عليهم من معرفة الله وعبادته، ومن أصول التشريع العامة والفضائل الثابتة التي تحول دون الفوضى الدينية والأدبية التي تفرق كلمتهم، هذا الدين لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان مصدره السلطان الإلهي الأعلى الذي تذعن الأنفس لأمره ونهيه القطعيين لذاته، سواء وافق آراءهم وأهواءهم ونظرياتهم العقلية وتقاليدهم القومية والوطنية أم لا؛ لأن صاحب هذا السلطان أعلم منهم بما يضرهم وما ينفعهم، وهو القادر على إثابتهم إذا اتقوا وأحسنوا، وعلى عقابهم إذا فسقوا وظلموا وأساءوا، وعلى العفو عنهم إذا تابوا وأصلحوا، وعلى استجابة دعائهم إذا دعوا وتضرعوا.

فلو كانت أمور العالم كلها تجري بنظام اضطراري ليس لله فيه مشيئة ولا اختيار، لم يكن هنالك محل لثمرة الإيمان من الخوف والرجاء، وهما الباعثان على الطاعة والانقياد، ولزال معنى الدين وذهب التدين هباء.

إلا أن المادية مضادة بل مناقضة لمعنى الدين والتدين، وقد ظهر بعد الحرب العامة من مفاسدها ما لم يكن ظاهرا، والعالم المدني قد شعر باضطراره إلى الهرب من هذه المفاسد في العقل والآداب والاجتماع كما نوهنا بذلك من قبل؛ وإنما الدين الوسط هو الجامع بين المصالح المادية والفضائل الروحية، كما بيناه في تفسير قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ (البقرة: ١٤٣) من أول الجزء الثاني من تفسيرنا.

وإذا لم يكن لرسل الله تعالى من آياته ما يميزهم من الفلاسفة والأدباء، كما يزعم ملحد دمنهور، فأي باعث يبعث الناس على الانقياد لهم بالإذعان النفسي والوجدان الاضطراري، وهم يجدون عند الحكماء من الحجج العقلية والأدبية ما هو أقرب إلى مألوفاتهم ونظرياتهم مما جاء به الأنبياء.

حكاية ابن سينا مع المفضل له على النبي صلى الله عليه وسلم:

ألم يعقل هذا الملحد ما سمعه منا وقرأه في كلامنا غير مرة من نبأ الفيلسوف

الكبير الرئيس ابن سينا مع خادمه ومريده المعجب بعلومه وفلسفته المفضل له بها على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يلومه على اتباعه هذا النبي صلى الله عليه وسلم وهو دونه بزعمه وجهله، حتى إذا كانا في بعض ليالي الشتاء الشديدة القر القارسة البرد في تبريز أيقظ الرئيس خادمه ليأتيه بماء يتوضأ به، فاعتذر له بشدة البرد، وبعدم طلوع الفجر، فأيقظه سيده الرئيس عندما كان المؤذن ينطق بالشهادتين على المنارة وسأله ماذا يقول المؤذن؟ قال إنه يقول: أشهد أن محمدا رسول الله، قال: قد آن لي أن أبين لك فساد عقلك، وأفن رأيك، في تفضيلك إياي على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إنك أنت خادمي، وقد بلغ من إعجابك بي ما تعلم، وهو ما لم أر ما يقرب منه من غيرك، ثم إنك تكسل عن طاعتي في داخل الدار معتذرا بشدة البرد، وهذا الرجل الفارسي يشيد بالشهادة لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة في أعلى هذه المنارة حيث البرد على أشده، وهو في ذلك محتسب أجره عند الله، فعندما ترى لي من السلطان على قلبك مثل ما ترى لمحمد صلى الله عليه وسلم على قلب هذا الفارسي بعد مضي أربعة قرون على بعثته تكون معذورا فيما تهذي به من تفضيلي.

وإذا كان من أصول الدين المادي الذي تدعو إليه باسم القرآن أنه يجوز لمتبعه أن يخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم لترجيح رأيه على طاعته، أو لما يراه بالتشاور مع غيره من المصلحة المخالفة له، فأي معنى يبقى للدين؟ وكيف تجتمع الكلمة به على ما يكونون به أمة واحدة، أوليس من الجائز على هذا أن يترك الناس جميع ما جاء به الرسول لمخالفته لآرائهم وما يزعمون من مصالحهم غير المقيدة بدين يتبع لذاته بإذعان الإيمان، ولا يستحل صاحبه ترك شيء منه إلا بما ورد النص فيه بكونه عذرا كالضرورات التي تبيح المحظورات.

ثم إن هؤلاء الماديين لا يجدون أدنى باعث على قبول دين مادي يتوقف إثبات ماديته على تحريف كثير من آيات كتابه عن مدلولها اللغوي الذي جرى عليه جميع أهله من عهد النبي الذي جاء بهذا الكتاب إلى اليوم اتباعا لجاهل مغرور في

تحريفها وجعلها مادية، وقد حكم علماء أهلها بإلحاده في دينهم ومروقه منه.
ولا يغرن هذا الملحد أن الباطنية قبلوا أمثال هذا التحريف في القرآن من دعاتهم، فيظن أنه يوجد من يقبله منه؛ فإن الذين قبلوا هذا من الباطنية إنما قبلوه بعد إقناع الدعاة لهم بأنه بيان الإمام المعصوم لمراد الله من كتابه، وبعد إقناعهم بأن هذا المعصوم موجود، وأنه لا يمكن فهم مراد الله وجمع كلمة المسلمين على ما يرضيه إلا منه. فأنى لك أيها المغرور بإقناع الماديين والجاحدين لوجود الله أو غيرهم بإمامتك وعصمتك؟ .
فإن كنت أيها الملحد تعقل أن يتبعك أحد في دينك هذا فلك العذر في الحكم على أستاذك الذي تبرأ منك ورد عليك إرشادا لك، بأنه قد اختل عقله فلا يدري ما يقول، وأنه يكيد لك مع شيخ الأزهر، وفي قولك المناقض لهذا، وفي سبك وشتمك له، مع ادعائك أنك عذرته بجنونه وخرفه: ﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون * وانتظروا إنا منتظرون﴾ (هود: ١٢١-١٢٢) .
". (١)

٣٤. ٣٥-"وهكذا مع تكرار العقاب "الخبرة المنفرة" يتم كف الكلام الملجلج.
الثواب والعقاب Reward & Punishment:
يفضل عدم استخدام أسلوب العقاب وحدة لأنه **ثبت بالتجربة** أنه يعتبر أقل الأساليب فعالية -من جهة نظر الإرشاد والعلاج النفسي- لأن يكف السلوك اللاتوافقي مؤقتا، وقد يؤدي إلى معاودة ظهوره مرة أخرى أو إلى إبداله بسلوك لا توافقي آخر، وقد يؤدي إلى جعل السلوك العام للعميل أكثر اضطرابا لا أكثر توافقا، والمطلوب دائما في عملية الإرشاد والعلاج النفسي هو تعلم سلوك توافقي، وإن كان لا بد من كف السلوك اللاتوافقي بالعقاب فلا بد إذن من أن يلازمه تعلم سلوك توافقي جديد باستخدام الثواب.
وقد استخدم باريت Barrett؛ "١٩٦٢" أسلوب الثواب والعقاب في حالات الأزمات "مثل تحريك الرقبة وهز الكتفين وحركات الوجه وغيرها" وذلك باستعمال جهاز

(١) مجلة المنار ٣٢/٣٣

تسجيل يسمع منه العميل موسيقى محببة "ثواب" ما دام متوقفا عن إتيان اللازمة، وكلما قام بإتيان اللازمة توقفت الموسيقى وسمع بدلا منها ضوضاء منفرة "عقاب" وإذا توقف العميل عن إتيان اللازمة اختفت الضوضاء وعادت الموسيقى ... وهكذا حتى تختفي اللازمة.

تدريب الإغفال "الإطفاء" Omission Training:

في هذا الأسلوب يحاول المرشد محو السلوك غير المتوافق وذلك بإغفاله "أي غياب التعزيز" حتى ينطفئ السلوك غير المتوافق "أي يتضاءل تدريجيا حتى يختفي".

وقد استخدم هذا الأسلوب بنجاح في علاج بعض حالات الاضطرابات النفسية الجسمية، كما حدث في حالة فتاة شابة كانت تعاني من التهاب جلدي عصبي "نفسي جسمي" كان يحقق لها فائدة "إثابة" وهي اهتمام الأسرة كلها وخاصة خطيبها، وهذا ما كانت تحتاجه الفتاة، وتم العلاج بإعطاء أسرتها وخطيبها تعليمات بإغفال الموضوع تمام وإهماله وعدم استخدام الأدوية وإغفال الألم، وذلك لإزالة مصدر التعزيز الذي دعم الاستجابة. وهكذا حدث إطفاء للاستجابة في غياب الثواب والتعزيز، وبعد شهرين تحسنت الحالة، وتم شفاؤها بعد ثلاثة أشهر "والتون Walton؛ ١٩٦٠".

الإطفاء والتعزيز Extinction & Reinforcement:

قليلا ما يستخدم أسلوب تدريب الإغفال "الإطفاء" وحده إلا إذا صاحبه أسلوب آخر مثل الثواب أو التعزيز، وقد استخدم كل من الإطفاء والتعزيز أملا في تسهيل محو السلوك غير المرغوب وتعلم السلوك المطلوب.". (١)

٣٥. ٣٦-"ولقد ثبت بالتجربة أن الهجرة من أنجح الوسائل لنشر الدعوة، وأن الدعاة إلى الله متى ما هاجروا بدينهم مخلصين لله هجرتهم، لا يبغون من ورائها إلا إرضاء الله تبارك وتعالى يجري الله على أيديهم، فتنفتح لهم القلوب، ويجتمع عليهم الناس. فيؤازرون دعوتهم وينشرون عقيدتهم، ويوسع الله لهم في أرزاقهم، ويسبغ عليهم نعمته. ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما﴾ ١.

(١) التوجيه والإرشاد النفسي ص/٣٧٠

١ النساء الآية: ١٠٠.

٢ رواه البخاري.". (١)

٣٦. "خيار الشنبر (رحمه الله٤٦٧): معتدل في الحرارة والبرودة، عسله يسهل المرة المحترقة ويطفئ حدة الدم ويسكن وهجه ويذهب الورم العارض منه، وينفع من الأورام الحارة في الأحشاء خصوصا في الحلق إذا تغرغر به ممرسا في ماء عنب الثعلب، وإذا سقي مع التربد أخرج رطوبات عجيبة، وإذا سقي مع التمر هندي أخرج الأخلاط الصفراوية ونفع المحمومين، وإذا سقي مع الهندبا نفع من القولنج ووجع المفاصل واليرقان. وهو يسهل من غير أذى حتى الحوامل، وهو يضر بالنسل، وبدله نصف وزنه من ترنجيل، وثلاثة أمثاله من شحم الزبيب مع تربد.

السرو (رحمه الله٤٦٨): شجرة حسنة الهيئة قويمة الساق، يضرب بها المثل في استقامة قدها ومشق قامتها وخضرة ورقها. وهو أخضر صيفا وشتاء والتدخين بأغصانها في البيت يطرد البق، وطبيخه بالخل يسكن وجع الأسنان ويجعل من نشارته بنادق وتطرح في الدقيق الدرمك يبقي زمانا طويلا لا يفسد، وورقه مع الشراب ينفع من عسر البول، وإذا دق ورقها رطبا وجعل على الجراحة ألحمها، ورمادها ينفع من حرق النار وسائر القروح ذرورا، وجوزها يطرد البق إذا دخن به.

رحمه الله________________

(رحمه الله٤٦٧) خيار الشنبر: هو شجر ينمو في مناطق كثيرة من العالم وينتشر على الأخص في بلاد الهند وباكستان. وقد ثبت بالتجربة والدراسة العلمية الرصينة أن لهذا الشجر فوائد صحية عديدة ومن أبرزها أنه يستخدم كعلاج للضعف الجنسي والعقم سواء عند الرجل أو المرأة. ولاستخدامه كمقو جنسي تغلى أزهار النبات في اللبن ويشرب من هذا الحساء يوميا.
(رحمه الله٤٦٨) السرو: شجرة دائمة الخضره يصل ارتفاعها إلى ٣٠مترا ذات اوراق خضراء غامقه دقيقه ومخاريط ذكريه وأنثويه وهو بطيء النمو. يعرف النبات علميا بإسم وموطنه

(١) الهجرة النبوية – دراسة وتحليل– ص/١٧٤

الاصلي تركيا ويكثر في الاجواء المعتدله وخاصة في مصر في شبة جزيرة سيناء حول دير سانت كافترين ومنطقة الدلتا.." (١)

٣٧. "وقت بعذر إلا في عرفة للحاج بشرط الإمام الأعظم والإحرام فيجمع بين الظهر والعصر جمع تقديم ويجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة ولم يجز المغرب في طريق مزدلفة. ويستحب الإسفار بالفجر ... ...

عليه السلام------------------------------عليه السلام

وقت) إذ لا تصح التي قدمت عن وقتها ولا يحل تأخير الوقتية إلى دخول وقت آخر (بعذر) كسفر ومطر وحمل المروي في الجمع على تأخير الأولى إلى قبيل آخر وقتها وعند فراغه دخل وقت الثانية فصلاها فيه (إلا في عرفة للحاج) لا لغيرهم (بشرط) أن يصلي الحاج مع (الإمام الأعظم) أي: السلطان أو نائبه كلا من الظهر والعصر ولو سبق فيهما (و) بشرط (الإحرام) بحج لا عمرة حال صلاة كل من الظهر والعصر ولو أحرم بعد الزوال في الصحيح وصحة الظهر فلو تبين فساده أعاد. ويعيد العصر إذا دخل وقته المعتاد، فهذه أربعة شروط لصحة الجمع عند الإمام وعندهما يجمع الحاج ولو منفردا قال في «البرهان» وهو الأظهر (فيجمع) الحاج (بين الظهر والعصر جمع تقديم) في ابتداء وقت الظهر بمسجد نمرة كما هو العادة فيه بأذان واحد وإقامتين ليتنبه للجمع ولا يفصل بينهما بنافلة ولا سنة الظهر (ويجمع) الحاج (بين المغرب والعشاء) جمع تأخير فيصليهما (بمزدلفة) بأذان واحد وإقامة واحدة لعدم الحاجة للتنبيه بدخول الوقتين ولا يشترط هنا سوى المكان والإحرام (ولم يجز المغرب في طريق مزدلفة) يعني الطريق المعتاد للعامة لقوله صلى الله عليه وسلم للذي رآه يصلي المغرب في الطريق: «الصلاة أمامك» ، فإن فعل ولم يعده حتى طلع الفجر أو خاف طلوعه صح. (و) لما بين أصل الوقت بين المستحب منه بقوله: (يستحب الإسفار (١)) وهو التأخير للإضاءة (بالفجر) بحيث لو ظهر فسادها أعادها بقراءة مسنونة قبل طلوع الشمس لقوله صلى الله عليه وسلم «أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر» ، وقال عليه السلام: «نوروا بالفجر يبارك لكم» ، ولأن في الإسفار تكثير الجماعة وفي التغليس تقليلها وما يؤدي إلى التكثير أفضل

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب@ ط الثقافة =حواشي؟ ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٣٣٥

وليسهل تحصيل ما ورد عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة تامة وعمرة تامة» ، حديث حسن، وقال صلى الله عليه وسلم «من قال دبر صلاة الصبح وهو ثان رجليه قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب له عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك

= الرضوية» المخرجة، ٥/ ١٦٠، ١٦٢، ملخصا ومترجما). ١

(١) قوله: [يستحب الإسفار ... إلخ] قال الإمام أحمد رضا خان عليه رحمة الرحمن: يستحب التأخير في المذهب الحنفي في الصلوات كلها سوى المغرب وظهر الشتاء ما لم يدخل وقت الكراهة وهو في العصر يدخل حين يمكن النظر إلى قرص الشمس بلا تكلف وثبت بالتجربة أنه عشرون دقيقة قبل ذهاب النهار (أي غروب الشمس) وفي العشاء بعد نصف الليل. («الفتاوى الرضوية» المخرجة، ٥/ ١٤٩، مترجما وملخصا). ١٢." (١)

٣٨. ١-"(فليترك المنافق طريقه ورجل السوء أفكاره، وليرجع إلى الرب فيرحمه وإلى آلهنا لأنه كثير الغفران) .

والثاني: أنه كان حكم قتل النساء والصبيان إذا كانوا من الأمم السبعة في الشريعة الموسوية، بخلاف الشريعة المحمدية، فإن هؤلاء لا يقتلون وإن كانوا من مشركي العرب، كما كانوا لا يقتلون في الشريعة الموسوية أيضاً إذا كانوا من غير الأقوام السبعة.

فإذا تمهدت هذه الأمور الخمسة أقول لا شناعة في مسألة الجهاد الإسلامي نقلاً وعقلاً. أما نقلاً فلما عرفته في الأمور المذكورة وأما عقلاً فلأنه قد ثبت بالبرهان الصحيح أن إصلاح القوة النظرية مقدم على إصلاح القوة العملية فإصلاح العقائد مقدم على إصلاح الأعمال، وهذه مقدمة مسلمة عند كافة الملبين، ولذلك لا تفيد الأعمال الصالحة بدون الإيمان عندهم.

---

(١) نور الإيضاح مع مراقي الفلاح @ ط المدينة؟ الشرنبلالي ص/١١١

ولا يعاندنا المسيحيون أيضاً في هذا الباب لأن الأعمال الصالحة بدون الإيمان بالمسيح لا تنجي عندهم أيضاً. وأن الجواد الحليم المتواضع الكافر بعيسى عليه السلام أشر عندهم من البخيل الغضوب المتكبر المؤمن بعيسى عليه السلام. وكذا قد **ثبت بالتجربة** الصحيحة أن الإنسان قد تنبه على خطأه وقبحه بتنبيه الغير، وكذا قد **ثبت بالتجربة** الصحيحة أن الإنسان لا يطيع الحق غالباً لأجل وجاهة قومه وشوكتهم، ولا يصغي إلى قول رجل من صنف آخر بل يأنف من سماع كلامه، سيما إذا كان هذا القول مخالفاً لطبائع صنفه وأصولهم، ويكون في قبوله لزوم المشقة في أداء العبادات البدنية والمالية بخلاف ما إذا انكسرت وجاهة قومه وشوكتهم فلا يأنف من الإصغاء،.". (١)

٣٩. ٢-"وكذا قد **ثبت بالتجربة** أن العدو إذا رأى أن مخالفه مائل إلى الدعة والسكون يطمع في التسلط على مملكته، وهذا هو السبب الأغلبي في زوال الدول القديمة وبعد تسلطه تحصل المضرة العظيمة للدين والديانة ولذلك أضطر المسيحيون كافة إلى ما يخالف إنجيلهم المتداول:

فقال أهل ملة كاتلك: أن الكنيسة الرومانية لها سلطان حقيقي على كل مسيحي بواسطة العماد، لكون كل معتمد خاضعاً للكنيسة الرومانية ومرؤوساً منها وهي ملتزمة بقصاص العصاة بالعقوبات الكنائسية، وبأن تسلم المصرين على ضلالهم والمضرين للجمهور، إلى ذوي الولاية ليعاقبوهم بالموت، وبالتالي يمكنها إلزامهم بحفظ الإيمان الكاتلكي والشرائع الكنائسية تحت أي قصاص كان.". (٢)

٤٠. ٣-". . . . .

ـــــQفالصنف الأول، هم من ذكرنا، والصنف الثاني: هم الذين يلبسون تلك الأشياء، ويعلّقونها لرفع البلاء بعد حصوله، كمن مرض فلبس خيطا، ليرفع ذلك المرض، أو أصابته عين فلبس الخيط ليرفع تلك العين، وهكذا: في أصناف شتى، من أحوال الناس في ذلك.

---

(١) إظهار الحق ١٣٠١/٤

(٢) إظهار الحق ١٣٠٢/٤

ثمّ لِمَ كان لُبس الحلقة أو الخيط من الشرك الأصغر؟ الجواب: لأنه تعلق قلبه بها، وجعلها سببا لرفع البلاء، أو سببا لدفعه، والقاعدة في هذا الباب: أن إثبات الأسباب المؤثرة وكون الشيء سببا: لا يجوز إلا من جهة الشرع فلا يجوز إثبات سبب إلا أن يكون سببا شرعيا، أو أن يكون سببا قد **ثبت بالتجربة** الواقعة أنه يؤثر أثرا ظاهرا لا خفيا فمن لبس حلقة أو خيطا أو نحوهما لرفع البلاء أو دفعه فإنه يكون بذلك قد اتخذ سببا ليس مأذونا به شرعا، وكذلك من جهة التجربة: لا يحصل له ذلك على وجه الظهور وإنما هو مجرد اعتقاد من الملابس لذلك الشيء فيه، فقد يوافق القدر، فيُشفى مِن حِين لُبس أو بعد لبسه، أو يدفع عنه أشياء يعتقد أنها ستأتيه فيبقى قلبه معلقا بذلك الملبوس، ويظن بل يعتقد أنه سبب من الأسباب، وهذا باطل.

أما وجه كون لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه شركا أصغر: فإن من لبسها فقد تعلق قلبه بها، وجعلها تدفع وتنفع، أو جعلها تؤثر في رفع الضرر عنه، أو في جلب المنافع له. وهذا إنما يستقل به الله – جل وعلا – وحده؛ إذ هو وحده النافع الضار، وهو – سبحانه وتعالى – الذي يفيض بالرحمة، ويفيض بالخير أو يمسك ذلك. وأما الأسباب التي تكون سببا لمسبباتها فهذه لا بد أن يكون مأذونا بها في الشرع؛ ولهذا يعبر بعض العلماء". (١)

٤١. ٤-"وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ ، وغيرها من نصوص الصفات مع عدم وجوب تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ ، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، وغيرها من النصوص التي بينت نوعاً خاصاً من الصفات، وهي صفات المعاني والصفات المعنوية على الاصطلاح الخاص بهم، وكذلك الصفات السلبية على تفسيرهم.

إن هذه الدعوى، وهذا التصرف الأشعري أو الكلابيّ على الأصح – إنما هو تصرف يستند إلى مجرد التقليد، لا يستند إلى دليل نقلي، أو عقلي مقبول لدى غيرهم من العقلاء، بل الذي **ثبت بالتجربة** والدراسة أن اللاحق منهم يرث هذا المنهج من السابق. فما وجده في

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص/٩٣

كتاب من سبقه، أو سمعه من شيوخه هو المذهب الصحيح وهو الدّين وهو العقيدة دون تفكير في الدليل، ومن جهة أخرى، إن ما نفاه الشيوخ هو المنفي، ولو دلت عليه آية صريحة أو سنة صحيحة.

والشيخ لا يسئل ولا يناقش فيما أثبته أو نفاه، بدعوى أن المناقشة غير جائزة في مثل هذه الموضوعات، والأسلوب التقليدي المتبع هو (هكذا نقلنا عن مشايخنا، وهم أعلم منا) !!

وبعد، فإن الأسلوب الذي أشرنا إليه هو الأسلوب الذي كان متبعاً، وملتزماً لدى مشايخنا الذين درسنا عليهم العقيدة الأشعرية، وإنما نوّهت به، أو رويته لأثبت بالعيان، لا بالإخبار، أن العقيدة الأشعرية كثيراً ما تعتمد على التقليد١ الوراثي كما أسلفنا، وهذا هو سر تناقضهم بالتفريق بين الصفات كما تقدمت الإشارة إلى الأمثلة، والذي يقتضيه المنطق السليم إما أن يثبتوا جميع الصفات الثابتة بالكتاب والسنة، دون تفريق بين صفة وصفة، وهو المنهج السلفي الذي عليه علماء الحديث والسنة قديماً وحديثاً، وهو الذي يساير العقل والنقل كما علمنا مما

---

١ زد على ذلك تأثر متأخري الأشاعرة بفكر المعتزلة، وآراء الفلاسفة كما يلاحظ ذلك لدى الرازي والآمدي وأمثالهما ممن وقعوا في التفريق بين الصفات دون مبرر.". (١)

٤٢. ٥-"لها أصل في الشرع"١"، ولأنه من أعظم أسباب الوقوع في الشرك الأكبر"٢"، ولما روى أبو واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين، ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم وأمتعتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال صلى الله عليه وسلم:" الله

بمكة وغيرها، فإذا كان الموضع الذي كان يطؤه بقدميه الكريمتين ويصلي عليه لم يُشرع لأمته التمسح به ولا تقبيله، فكيف بما يقال: إن غيره صلى فيه أو نام عليه".

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه ص/٢٢١

"١" هذا فيما يتعبد به لله تعالى، أما فيما يتعلق بالاستشفاء بها مع أنه لم **يثبت بالتجربة** أو غيرها أن فيها شفاء، ونحو ذلك فهو محرم أيضاً من جهة اتخاذ ما ليس بسبب سبباً، فهو من الشرك الأصغر.

"٢" قال الحافظ ابن حجر في الفتح في الجهاد، باب البيعة ١١٨/٦ في شرح قول ابن عمر: "كانت رحمة من الله"يريد خفاء موضع شجرة بيعة الحديبية على الصحابة:"سيأتي في المغازي موافقة المسيب بن حَزَن – والد سعيد – لابن عمر على خفاء الشجرة، وبيان الحكمة في ذلك: هو ألا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير، فلو بقيت لما أمن تعظيم بعض الجهال لها، حتى ربما أفضى بهم إلى اعتقاد أن لها قوة نفع أو ضر، كما نراه الآن مشاهداً فيما هو دونها، وإلى ذلك أشار ابن عمر بقوله: كانت رحمة..". وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١٣٦/٢٧، ١٣٧:"وأما الأشجار والأحجار والعيون ونحوها مما ينذر لها بعض العامة، أو يعلقون بها خرقاً، أو غير ذلك، أو يأخذون ورقها يتبركون به، أو يصلون عندها، أو نحو ذلك: فهذا كله من البدع المنكرة، وهو من عمل أهل الجاهلية، ومن أسباب الشرك بالله تعالى".". (١)

٤٣. ٦-"واضحة.

قال شيخ الإسلام في مثل هذا الاحتجاج:

(.. فكيف يعتمد المؤمن العالم على عادات، أكثر من اعتادها عامة، أو من قيدته العامة، أو قوم مترأسون بالجهالة، لم يرسخوا في العلم ولا يعدون من أولي الأمر ولا يصلحون للشورى، ولعلهم لم يتم إيمانهم بالله وبرسوله، أو قد دخل معهم فيها بحكم العادة قوم من أهل الفضل، من غير روية أو لشبهة أحسن أحوالهم فيها أن يكون فيها بمنزلة المجتهدين من الأئمة والصديقين.

والاحتجاج بمثل هذه الحجج، والجواب عنها معلوم أنه ليس من طريقة أهل العلم، ولكن لكثرة الجهالة قد يستند إلى مثلها خلق كثير من الناس، حتى من المنتسبين إلى العلم والدين..)

.

---

(١) تسهيل العقيدة الإسلامية ص/٣٠٤

ومما يمكن أن يلحق بهذا القسم: الاحتجاج على صحة البدعة ومشروعيتها، بعمل من عملها أو قال بها من ذوي العلم والفضل.
والاحتجاج بثبوت منفعة هذه البدعة – التي لا أصل لها – بالتجارب والأقيسة كأن يقال: بأن الدعاء عند قبور الصالحين مستحب أو جائز؛ لكونه ثبت بالتجربة أنه يستجاب للإنسان عندها، والخلاصة أن التصميم على اتباع العوائد وإن فسدت، أو كانت مخالفة للحق سبب من أسباب انتشار البدع.". (١)

٤٤. ٧-"ويضع الشيخ رشيد هذه المسألة في وضعها الصحيح فيقول: "إن هذه الكائنات في جملتها حادثة لم يكن شيء منها كما نعرفه الآن وفيها من الإبداع والنظام ما يستحيل أن يكون حصل بالمصادفة أو يكون مصدره العدم المحض، بل يجب عقلاً أن يكون هذا الإبداع والنظام العجيب في العوالم العلوية والأرضية مصدر وجودي.." ١.
"فللناظر أن يقول: إن اطراد مسألة السنن الإلهية في العوالم العلوية والسفلية، ووحدة النظام مع الإتقان في جميع هذه الأكوان، يدلان على أن لها خالقاً عليماً قادراً حكيماً حياً قيوماً، لا راد لإرادته ولا معقب لحكمه وحكمته، وبهذا يكون مؤمناً بالبرهان متبعاً لطريقة القرآن وإن لم يخطر بباله حدوث الذات وحدوث الزمان" ٢. وهذا هو الصواب فالقائل بهذه الطريقة مؤمن بالعقل وبالشرع، لأنها على هذا الوضع تكون طريقة عقلية شرعية، "فإن الفاضل إذا تأمل غاية ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية وجد الصواب منها يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية.." ٣.
والذي حدا بالشيخ رشيد إلى اعتبار هذه الطريقة على هذا النحو هو أنه وجدها "..أقرب الدلائل تنبيهاً وإقناعاً لعقول المشتغلين بالعلوم العصرية كما ثبت بالتجربة والمناظرات معهم هو أن جميع ما نعرفه من الموجودات حادث عندهم حتى أنهم ليقدرون للأرض والشمس والكواكب أعماراً لقطعهم بحدوثها، ثم إنهم قاطعون بأن الموجود لا يصدر عن نفسه ولا عن معدوم كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ٤.
فتعين أن يكون لهذه الموجودات كلها مصدر وجودي.." ٥.

---

(١) حقيقة البدعة وأحكامها ١/١٨١

١ مجلة المنار (١٣/ ٩١٣)

٢ المصدر نفسه (٥/ ٥٨٢)

٣ ابن تيمية: الأصفهانية (ص: ٣٣)

٤ سورة الطور، الآية (٣٥)

٥ مجلة المنار (٧/ ١٣٩ - ١٤٠)". (١)

٤٥. ٨-"﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾ .

فهذه الآية تضمنت تقريراً صريحاً بأن حكمة الله تعالى اقتضت الامتناع عن إجابة الكفار بإرسال الآيات التي طلبوها، لأنه ثبت بالتجربة من الأمم السابقة، أنهم كذبوا بالآيات ولم يؤمنوا بها، فأهلكهم الله ودمرهم.

وأما قوم محمد صلى الله عليه وسلم، فإنّ حكمة الله تعالى اقتضت إمهالهم وعدم إهلاكهم؛ لأن الله تعالى علم أن منهم ومن ذريتهم من يؤمن وينفع الله به، فلم يجبهم إلى ما طلبوا، حتى لا يكون مصيرهم مصير الأقوام السابقين من الهلاك والدمار، والله أعلم.

سورة الإسراء الآية: ٥٩.". (٢)

٤٦. ٩-"وأما الشبهات التي هي هوىً وظنون وتأويلات من عند أنفسهم، فهذه يجب عليهم هم أن يردوها، وكذلك ما كَانَ بالتقليد كقولهم: هذا رواه الأولياء، أو هذا ثبت بالتجربة عند المشايخ، أو هذا مما لُقِنَاهُ بالعلم الباطن أو نحو ذلك، فإن هذا الكلام مردود أصلا وبداهةً ولا نناقش في هذا الكلام، إلا عَلَى سبيل رده جملةً وتفصيلاً، لكن إذا جاءونا بأدلة علمية وَقَالُوا: قال الله: أو قال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنهم فهموا الآية عَلَى

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ص/٣١٩

(٢) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام ٢/٦٩١

غير وجهها، أو فهموا الحديث عَلَى غير وجهه، قلنا لهم: نعم، إذاً؛ نَحْنُ وإياكم نبحث عن الدليل العملي الصحيح ونتبعه بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هذه قاعدة عامه في مجادلة هَؤُلاءِ الْمُشْرِكِينَ، ولا نجادلهم إلاّ بالتي هي أحسن.

فنقول: إن قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله عَلَى قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) .

الكلام عليه يتلخص في أمرين:

الأول: في ثبوته.

والثاني: في معناه، وفي رد شبهة الْمُشْرِكِينَ في الاستدلال به.

أما ثبوت هذا الحديث: فإن الإمام مالك -رَحِمَهُ اللَّهُ- قد رواه في الموطأ مرسلاً عن زيد بن أسلم، وروي أيضاً مرسلاً عن عطاء، والحديث المرسل هو: الحديث الذي سقط منه الصحابي، يعني أن يقول التابعي: قال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا الحديث يسمى مرسلاً، كما قال الناظم: (ومرسل منه الصحابي سقط) وزيد بن أسلم أو عطاء تابعيان، ومثل ذلك سعيد بن المسيب رحمهم الله، والزهري، ونافع، وأمثالهم ممن يروون عن الصحابة -رضوان الله عليهم- فإذا قال أحد هَؤُلاءِ التابعين: قال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو عن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يذكر الصحابي الذي روى عنه -فلم يقل عن أنس ولاعن جابر ولا عن أَبِي هُرَيْرَةَ - فهذا الحديث يسمى مرسلاً.". (١)

٤٧. ١٠-"والأصنام ". فدل القرآن والسنة على تحريم لحم الخنزير، وعلى ذلك أجمع العلماء. قال بعض العلماء - رحمهم الله تعالى - " وأما الخنزير فقد أجمعت الأمة على تحريم جميع أجزائه " أ. هـ. والله - تعالى - إنما حرم الخبائث لحكم عظيمة يعلمها هو وإن خفيت على غيره ولو أتضح لبعض الخلق بعض الأسرار والحكم من تحريم الله لبعض الأشياء، فإن ما يخفى عليهم أكثر والحكمة في تحريم الخنزير والله أعلم ما يتصف به من القذارة التي تصاحبها الأضرار والأمراض المادية والمعنوية ولذلك أشهى غذائه القاذورات والنجاسات وهو ضار في جميع الأقاليم، ولا سيما الحارة كما ثبت بالتجربة، وأكل لحمه من أسباب

(١) شرح الطحاوية لسفر الحوالي ص/١٠٣٤

وجود الدودة الوحيدة القتالة. ويقال إن له تأثيراً سيئاً في العفة والغيرة ويشهد لهذه حال أهل البلاد الذين يأكلونه. وقد وصل الطب الحديث إلى كثير من الحقائق التي تثبت إصابة كثير من متناولي لحم الخنزير بأمراض يتعذر علاجها ومع أن الطب الحديث المتطور توصل إلى تشخيص أضرار أكل لحم الخنزير فقد يكون ما خفي فيه من الأضرار ولم يصل إليه الطب أضعاف أضعافها.

ثالثا إن للأكل من الحلال والطيب من المطاعم أثراً عظيماً في صفاء القلب واستجابة الدعاء وقبول العبادة كما أن الأكل من الحرام يمنع قبولها، قال – تعالى – عن اليهود " أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب أكالون للسحت ". أي الحرام، ومن كانت هذه صفته كيف يطهر الله قلبه وأنى يستجيب له؟ قال، – صلى الله عليه وسلم –، " أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال – تعالى – " يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً " وقال – تعالى – " يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات من رزقناكم " ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول يارب يا رب ومعطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأني يستجاب له.

رابعا إذا علم ما تقدم فإن الواجب على المسلم أن يتقي الله – سبحانه وتعالى – ويكف عن المحرمات وأن لا يضع نفسه موضعاً لا يستطيع فيه أن يطيع الله ويلتزم أحكامه ولا ينبغي للمسلم أن يضع نفسه هذا الموضع ثم يلتفت إلى العلماء ويقول أريد حلاً من الإسلام لهذه المشكلة، ذلك أن المشكلة إنما تحل بأخذ رأي الإسلام في جميع جوانبها، أما". (١)

٤٨. ١١–"بالإشارة إلى كتابك الذي تسأل فيه عن مسألة وهي: ما حكم إسقاء الأطفال المصابين بالكحة الشديدة التي تسمى بـ (السعال الديكي) دم الضب؛ لأنه ثبت بالتجربة أنه دواء ناجح لهذا المرض؛ ولأنه ثبت أن الأطباء غير مستطيعين غالبا لعلاج هذا المرض الذي يضر الطفل ضررا بالغا.

والجواب: إذا كان دم الضب مسفوحا فهو حرام، والتداوي بالمحرمات لا يجوز. والأصل في

---

(١) فتاوى إسلامية ٣/٣٩٥

ذلك الكتاب والسنة والنظر:

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ (رحمه الله ١) ، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ (رحمه الله ٢) وما جاء في معنى هاتين الآيتين من القران.

وجه الدلالة: أن الله تعالى حرم الدم في الآية الأولى على سبيل الإطلاق، وحرمه في الثانية تحريما مقيدا، فيحمل المطلق على المقيد. ومن المقرر في علم الأصول أن الأحكام من أوصاف الأفعال، فإذا أضيفت إلى الذوات فالمقصود الفعل الذي أعدت له هذه الذات، فإضافة التحريم إلى الدم المسفوح إضافة إلى ما أعد له من شرب وتداو وبيع ونحو ذلك.

وأما السنة فأدلة:

الأول: روى البخاري في [صحيحه] معلقا عن ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم» وقد وصله الطبراني بإسناد رجاله رجال الصحيح، وأخرجه أحمد وابن حبان في [صحيحه] ،

رحمه الله_______________

(رحمه الله ١) سورة المائدة الآية ٣

(رحمه الله ٢) سورة الأنعام الآية ١٤٥". (١)

٤٩. ١٢-"فكيف إذا كان خبيثا في ذاته ولهذا حرم الله سبحانه على عباده الأغذية والأشربة والملابس الخبيثة لما تكتسب النفس من هيئة الخبث وصفته.

الخامس: أن إباحة التداوي به - ولا سيما إذا كانت النفوس تميل إليه. ذريعة إلى تناوله للشهوة واللذة، لا سيما إذا عرفت النفوس أنه نافع لها مزيل لأسقامها، جالب لشفائها، فهذا أحب شيء إليها، والشارع سد الذريعة إلى تناوله بكل ممكن، ولا ريب أن بين سد الذريعة إلى تناوله وفتح الذريعة إلى تناوله تناقضا.

السادس: أن في هذا الدواء المحرم من الأدواء ما يزيد على ما يظن فيه الشفاء.

وأما قولك: إنه **ثبت بالتجربة** أنه دواء ناجح لهذا المرض - فهذا غير صحيح؛ لأنه لا تلازم

(١) فتاوى الطب والمرضى ص/١٩٢

بين تعاطي الدواء المحرم وبين زوال المرض بعد التعاطي؛ لأن زواله قد يكون بدواء شرعي وطبيعي وعادي، ولكن صادف زواله تعاطي هذا الدواء الذي هو في الحقيقة داء فنسب إليه. وقد يكون زواله لا من أجل كونه دواء ولكن من باب الابتلاء والامتحان.

وأما قولك: إن الأطباء عاجزون في الغالب عن علاج هذا الداء. فهذا لا يصح الاستناد عليه لإباحة التداوي بهذا المحرم؛ لأن عجز عدد من الأطباء لا يلزم منه عجز غيرهم، ولا يلزم منه عدم وجود دواء مباح مما يعرفه الأطباء. على أن الأدوية الشرعية هي المصدر الأول للتداوي والشفاء بيد الله تعالى، والدواء المباح سبب من الأسباب التي شرع التداوي بها.

هذه إجابة مختصرة قصدنا بها التنبيه على أصل المسألة، وفيها كفاية.

والله الموفق، والسلام عليكم.

[من فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله]". (١)

٥٠. ١٣-"إسقاء الاطفال المصابين بالكحة الشديدة التي تسمى بـ " السعال الديكي" دم الضب، لأنه **ثبت بالتجربة** أنه دواء ناجح لهذا المرض، ولأنه ثبت أن الأطباء غير مستطيعين غالباً لعلاج هذا المرض الذي يضر الطفل ضرراً بالغاً.

والجواب: إذا كان دم الضب مسفوحاً فهو حرام، والتداوي بالمحرمات لا يجوز، والأصل في ذلك الكتاب والسنة والنظر أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم﴾ (ﷺ١) وقوله تعالى: ﴿قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً﴾ (ﷺ٢) وما جاء في معنى هاتين الآيتين من القرآن.

وجه الدلالة: أن الله تعالى حرم الدم في الآية الأولى على سبيل الإطلاق، وحرمه في الثانية تحريماً مقيداً، فيحمل المطلق على المقيد ومن المقرر في علم الأصول أن الأحكام من أوصاف الأفعال، فإذا أضيفت إلى الذوات فالمقصود الفعل الذي أُعدت له هذه الذات، فإضافة التحريم إلى الدم المسفوح إضافة إلى ما أعد له من شرب وتداو وبيع ونحو ذلك.

وأما السنة فأدلة:

" الأول ": روى البخاري في صحيحه معلقاً عن ابن مسعود رضي الله عنه، إن الله لم يجعل

---

(١) فتاوى الطب والمرضى ص/١٩٦

شفاءكم فيما حرم عليكم وقد وصله الطبراني بإسناد رجاله رجال الصحيح، وأخرجه أحمد وابن حبان في صحيه، والبزار وأبو يعلى في مسنديهما، ورجال

رَحِمَهُ اللَّهُ______________

(رَحِمَهُ اللَّهُ١) سورة المائدة . آية ٣.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) سورة الانعام . آية ١٤٥.::::::". (١)

٥١. ١٤-"" الثاني ": أن تحريمه يقتضي تجنبه والبعد عنه بكل طريق، وفي اتخاذه دواء حض على الترغيب فيه وملابسته، وهذا ضد مقصود الشارع.

" الثالث ": أنه داء كما نص عليه الشارع، فلا يجوز أن يتخذ دواء.

" الرابع ": أنه يكسب الطبيعة والروح صفة الخبث، لأن الطبيعة تنفعل عن كيفية الدواء انفعالاً بيناً، فإذا كانت كيفيته خبيثة أكسب الطبيعة منه خبثاً، فكيف إذا كان خبيثاً في ذاته ولهذا حرم الله سبحانه على عباده الأغذية والأشربة والملابس الخبيثة لما تكتسب النفس من هيئة الخبث وصفته.

" الخامس ": أن إباحة التداوي به ولا سيما إذا كانت النفوس تميل إليه ذريعة إلى تناوله للشهوة واللذة، لا سيما إذا عرفت النفوس أنه نافع لها مزيل لاسقامها، جالب لشفائها، فهذا أحب شيء إليها والشارع سد الذريعة إلى تناوله بكل ممكن، ولا ريب أن بين سد الذريعة إلى تناوله وفتح الذريعة إلى تناوله تناقضاً.

" السادس": أن في هذا الدواء المحرم من الأدواء ما يزيد على ما يظن فيه الشفاء.

وأما قولك: إنه **ثبت بالتجربة** أنه دواء ناجح لهذا المرض. فهذا غير صحيح، لأنه لا تلازم بين تعاطي الدواء المحرم وبين زوال المرض بعد التعاطي، لأن زواله قد يكون بدواء شرعي وطبيعي وعادي ولكن صادف زواله تعاطي هذا الدواء الذي هو في الحقيقة داء فنسب".

(٢)

---

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ١٦٨/٣

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ١٧٢/٣

٥٢. ١٥-"مرئيات حول مستقبل الإسلام

س: سماحة الشيخ: كيف ترون مستقبل الإسلام أمام التيارات والأيدولوجيات والمذاهب المختلفة التي تناصبه العداء.

ج: أرى أن الإسلام سوف ينتصر بإذن الله على تلك التيارات والنحل الزائفة التي ابتلي بها العالم في عصرنا الحاضر، وأن كل ما يوجه إلى الإسلام من عداء ماكر للنيل منه وإزاحته عن قيادة العالم سوف يعود في النهاية بإذن الله تعالى على نحور أصحابه، وذلك أن الله جل شأنه قد تكفل بحفظ القرآن الكريم الذي هو الأساس العظيم للإسلام، حيث يقول سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (رحمه الله١)

وقد هيأ الله سبحانه وله الحمد والمنة لدينه أنصارا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله (رحمه الله٢) » وفي رواية أخرى: «لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة (رحمه الله٣) » ومما يبشر بما ذكرنا ما انتشر في العالم الإسلامي وغيره من الحركات التي توصي باتباع الكتاب والسنة والسير عليهما. ثم إن تلك المبادئ والمذاهب المختلفة من شيوعية ورأسمالية غربية وغيرها من المذاهب التي يروج لها اليوم أصحابها قد **ثبت بالتجربة** زيفها وفشلها، وأنها لا تسعد البشرية بل تضرها في دينها وأخلاقها واقتصادها، حيث إنها

رحمه الله________________

(رحمه الله١) سورة الحجر الآية ٩

(رحمه الله٢) صحيح مسلم الإمارة (١٩٢٠) ، سنن الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، سنن ابن ماجه الفتن (٣٩٥٢) ، مسند أحمد بن حنبل (٥/٢٧٩) .

(رحمه الله٣) صحيح البخاري العلم (٧١) .". (١)

٥٣. ١٦-"قد دل على تحريمه الكتاب والسنة وإجماع علماء المسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ (رحمه الله١) وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ﴾ (رحمه الله٢)

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز ٢٢٦/٦

وفي الحديث المتفق عليه: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام (رحمه الله٣) » . فدل القرآن والسنة على تحريم لحم الخنزير، وعلى ذلك أجمع العلماء. قال بعض العلماء رحمهم الله تعالى: (وأما الخنزير فقد أجمعت الأمة على تحريم جميع أجزائه) ا. هـ. والله تعالى إنما حرم الخبائث لحكم عظيمة يعلمها هو وإن خفيت على غيره ولو اتضح لبعض الخلق بعض الأسرار والحكم من تحريم الله لبعض الأشياء، فإن ما يخفى عليهم أكثر والحكمة في تحريم الخنزير والله أعلم: ما يتصف به من القذارة التي تصاحبها الأضرار والأمراض المادية والمعنوية ولذلك أشهى غذائه القاذورات والنجاسات وهو ضار في جميع الأقاليم، ولا سيما الحارة كما ثبت بالتجربة، وأكل لحمه من أسباب وجود الدودة الوحيدة القتالة. ويقال: إن له تأثيرا سيئا في العفة والغيرة، ويشهد لهذه حال أهل البلاد الذين يأكلونه. وقد وصل الطب الحديث

رحمه الله_______________

(رحمه الله١) سورة البقرة الآية ١٧٣

(رحمه الله٢) سورة الأنعام الآية ١٤٥

(رحمه الله٣) صحيح البخاري البيوع (٢٢٣٦) ، صحيح مسلم المساقاة (١٥٨١) ، سنن الترمذي البيوع (١٢٩٧) ، سنن النسائي الفرع والعتيرة (٤٢٥٦) ، سنن أبو داود البيوع (٣٤٨٦) ، سنن ابن ماجه التجارات (٢١٦٧) ، مسند أحمد بن حنبل (٣/٣٢٤) .". (١)

٥٤. ١٧-"حتى يأتي أمر الله (رحمه الله١) » وفي رواية أخرى: «لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة (رحمه الله٢) » ومما يبشر بما ذكرنا ما انتشر في العالم الإسلامي وغيره من الحركات التي توصي باتباع الكتاب والسنة والسير عليهما. ثم إن تلك المبادئ والمذاهب المختلفة من شيوعية ورأسمالية غربية وغيرها من المذاهب التي يروج لها اليوم أصحابها قد ثبت بالتجربة زيفها وفشلها، وأنها لا تسعد البشرية بل تضرها في دينها وأخلاقها واقتصادها، حيث إنها من صنع البشر الذي طبيعته القصور والجهل والهوى، كما قال تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز ٢٦/٢٣

غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (رحمه الله٣)

وقد بدأت البشرية تتلفت يمنة ويسرة علها تجد منهجا صالحا ينقذها من الهاوية التي تردت فيها جميع شئون حياتها، والإسلام وحده هو القادر على إنقاذ البشرية من تلك المهالك، وستكتشف البشرية بإذن الله تلك الحقيقة إن عاجلا أو آجلا، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (رحمه الله٤)

رحمه الله____________

(رحمه الله١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية. . . برقم ٣٦٤١، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة. . . برقم ١٠٣٧.

(رحمه الله٢) صحيح البخاري العلم (٧١) .

(رحمه الله٣) سورة النساء الآية ٨٢

(رحمه الله٤) سورة الرعد الآية ١٧". (١)

٥٥. ١٨-"رسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين حفظه الله وبارك فيه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أما بعد: فأنا أحد محبيكم في الله إمام وخطيب أحد مصليات العيد، ألتمس فتوى خطية من فضيلتكم في موضوع التكبير يوم العيد عبر مكبرات الصوت، وواقع الحال أن المصلى يجتمع فيه الألوف من المصلين، ولكنهم لا يقيمون سنة التكبير، فتجدهم صامتين لا يكبرون إلا ما ندر جهلاً، أو غفلة منهم، مع اجتهاد الناصحين في حثهم على التكبير، وتذكيرهم بذلك ليلة العيد في المساجد، ويوم العيد في المصلى، فهل يجوز لنا إحياءً للسنة وتعليماً للجاهل وتذكيراً للغافل، أن نكلف أحد المصلين أن يكبر وحده في مكبر الصوت التكبير

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز ٣٥٥/٢٧

المشروع، مع العلم بأنه قد **ثبت بالتجربة** في مصليات ومساجد عدة أنه عندما يكبر أحد المصلين عبر مكبر الصوت فإن كثيراً من المصلين يكبرون، أم تأمروننا بأن نترك ذلك حتى ولو أدى ذلك إلى ترك التكبير من المصلين، وجزاكم الله خيراً. والله يحفظكم ويرعاكم ويمدكم بعونه وتوفيقه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فأجاب فضيلته بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم.

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. التكبير ليلة العيدين إلى أن يأتي الإمام للصلاة سنة، وليس بواجب، والجهر به سنة". (١)

٥٦. ١٩-"حكمة تحريم لحم الخنزير

F عطية صقر.

مايو ١٩٩٧

Mالقرآن والسنة

Q ما هى الحكمة فى تحريم لحم الخنزير؟ ويقول البعض: إنه إذا تغذى غذاء نظيفا فإن لحمه يكون صحيًّا أو خاليا من الأمراض، فهل هذا صحيح؟

An جاء فى التعليق على " المنتخب فى تفسير القرآن الكريم " الذى نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية"ص ١٤٥ "عند تفسير قوله تعالى ﴿حرِّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ المائدة: ٣، فى بيان الحكمة فى تحريم أكل لحم الخنزير أنه معرض للإصابة بعدد كبير من الطفيليات التى تصيب الإنسان، وأهمها:

١ - الحيوان الأولى الهَدبى المسمى"الأنتديوم كولاى " المسبب للزحار ومصدره الوحيد للإنسان هو الخنزير، ويكاد يكون مرضا مهنيا لا يصيب سوى المشتغلين بتربية الخنزير وذبحه وبيع لحمه.

٢ - الوشائع الكبدية والمعوية فى الشرق الأقصى، وخاصة وشيعة الأمعاء الكبيرة "فاسيلوبس بوسكاى" الواسعة الانتشار فى الصين، ووشائع الأمعاء الصغيرة التى تصيب الإنسان فى البنغال وبورما وآسام، ووشيعة الكبد الصينية "كاورنوكس سينتسز" المنشرة فى الصين واليابان

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ١٦/٢٥٧

وكوريا على الخصوص، ويعتبر الخنزير العائل الخازن الرئيسى لهذه الطفيليات، وخاصة الديدان الأولى التى تنطلق فيه لتقضى دوره حياتها فى عوائلها الأخرى حتى تصيب الإنسان، ومن ثم فمقاومتها فى الإنسان وحده لا تكفى.

٣ - دودة لحم الخنزير الشريطية "تيناسوليوم " والدورة الطبيعية لها أن تنتقل بويضاتها من الإنسان إلى الخنزير، حيث تكون أجنتها ديدانا مثانية فى لحمه، ثم تنتقل إلى آكل هذا اللحم فتنمو الدودة الشريطية البالغة فى أمعائه وهكذا، وهذه إصابة غير خطيرة فى المعتاد وتشبه فى ذلك دودة لحم البقر الشريطية "تنياسا جيناتا" ولكن دودة لحم الخنزير تنفرد دون دودة لحم البقر بخصائص تؤهلها لانعكاس هذه الدودة انعكاسا جزئيا.

أما ابتلاع الإنسان للبويضات بيده الملوثة، أو مع طعامه الملوث أو بارتداد قطع الدودة المثقلة بالبيض أو البيض نفسه من الأمعاء إلى المعدة، حيث يفقس البيض وتنتشر اليرقات فى عضلات المصاب، مسببة أعراضا شديدة، كثيرا ما تكون قاتلة إذا ما أصابت المخ أو النخاع الشوكى أو القلب أو غيرها من الأعضاء الرئيسية، والإصابة بهذه الدودة ومضاعفاتها الخطيرة لا تكاد تعرف فى البلاد الإسلامية، حيث يحرم أكل لحم الخنزير.

٤ - الدودة الشعرية الحلزونية "تريكتيلا سبيرالس " وأعراضها الخطيرة مترتبة على انتشار يرقاتها فى عضلات الجسم، وأعراض الإصابة بها شديدة متنوعة، منها اضطرابات معوية وآلام روماتيزمية وصعوبة التنفس والتهاب المخ والنخاع الشوكى والأمراض العصبية والعقلية المترتبة على ذلك التسمم، وفى الإصابات القاتلة تحدث الوفاة بين الأسبوعين الرابع والسادس فى معظم الأحوال.

والخنزير هو المصدر الوحيد لإصابة الإنسان بهذا المرض الوبيل إلا فى المناطق القطبية الشمالية، ومواطن المرض هى أوروبا والولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية والمحاولات المضنية لتجنب هذا البلاء بتربية الخنازير بطريقة صحية وفحص ذبائحها ومعالجة لحومها بوسائل باهظة التكاليف غير مجدية من الناحية العملية، ويكفى فى الدلالة على ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية بها ثلاثة أمثال عدد الإصابات فى العالم أجمع، وأن متوسط نسبة الإصابة فى ولاياتها المتخلفة هو ١٦ ٪ مع الوثوق بأن هذا الرقم أقل من الحقيقة كثيرا، وأن نسبة إصابة الخنزير به بين ٥٪، و٢٧ ٪.

ويزاد على هذا كله أن دهن الخنزير مختلف تماما فى درجة تشبعه عن الزيوت والدهون الحيوانية الأخرى فصلاحيته للغذاء موضع شك كبير، وينصح الأستاذ "رام " عالم الكيمياء الحيوية الدانمركى الحاصل على جائزة نوبل، بعدم المداومة على تناوله، حيث **ثبت بالتجربة** أنه من أهم ما يسبب حصى المرارة وتصلب الشرايين وبعض أمراض القلب الأخرى.

هذا ما قاله أهل الذكر فى ضرر الأكل من لحم الخنزير، ومن هنا نطمئن كل الاطمئنان إلى حكمة الله سبحانه فى تحريم أكله، وهكذا تكشف العلوم عن أسرار التشريع". (١)

٥٧. ٢٠-"هل هذه الرقية جائزة؟

المجيب د. ناصر بن محمد الماجد

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

العقائد والمذاهب الفكرية/ نواقض الإيمان/السحر والرقى والتمائم والطيرة

التاريخ ٢٦/١٠/١٤٢٤هـ

السؤال

هناك رقية للعين مجربة، **ثبت بالتجربة** المتكررة فائدتها لكثير من الناس، وتتلخص في قراءة الفاتحة سبع مرات، وآية الكرسي ثلاث مرات، والقدر ثلاث مرات، والمعوذتين ثلاث مرات، ثم يقول: (أقسمت عليك أو (حرجت عليك) أيتها العين الضابطة أو العين الحاسدة بعزة الله وقدرته أن تخرجي من هذا الجسد، فإن لم تخرجي فأنت بريئة من الله والله بريء منك) ثم يتلو آيات الشفاء الواردة في القرآن مثل: "وإذا مرضت فهو يشفين ... ".

١- هل يجوز العمل بالرقية المذكورة؟

٢- هل قول أقسمت عليك فيها محظور شرعي؟

٣- يرى البعض أن الرقية مبنية على الاجتهاد، كما جاء في قصة اللديغ، فهل هذه منها؟

الجواب

الرقية التي ذكرها السائل لا بأس بها في الجملة، إلا قوله: (فأنت بريئة من الله والله بريء منك) فمثل هذا الكلام لا أعلم ثبوته عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا أحد من السلف

---

(١) فتاوى دار الإفتاء المصرية ١٠/٤١٤

ممن يقتدى بهم، ومثل هذا لا بد أن يكون عن المعصوم -صلى الله عليه وسلم- وإلا كان قولاً على الله بغير علم، وفي النهي عن ذلك يقول -تعالى-: "وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون" [البقرة:١٦٩] فالواجب تركها، كما أن السائل ذكر عدداً محدداً تقرأ به سورة القدر وآية الكرسي، ولا أعلم أن هذا يثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- على أن بعض أهل العلم قد رخَّص في هذا وأمثاله إذا ظهر بالتجربة نفعه.". (١)

٥٨. ٢١-"زوجي لا ينام معي!

المجيب د. عبد العزيز بن عبد الله المقبل

عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم.

التصنيف الفهرسة/ الاستشارات/ استشارات اجتماعية / العلاقات الزوجية/ المشكلات الزوجية/المشكلات الجنسية

التاريخ ١٤٢٧/٠٢/٠٤هـ

السؤال

زوجي لا ينام على نفس الفراش الذي أنام عليه، ولكنه يأتيني بصورة طبيعية، وعندما يقضي إربه يذهب لفراشه، فهل يحق لي أن أطالبه بالنوم معي على فراش واحد؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن من الحكمة أن يبحث كلٌّ من الزوجين عما يقرّبه من الآخر، ويدنيه منه، وفي المقابل يحاول أن يسد الفجوات التي تباعده منه، وتفصله عنه.

وربما كان أحد الزوجين حريصاً على القرب، لكنه لم يحسن وسيلة الإقناع، ولم يُجِدْ لغة الخطاب، فزاد في مساحة البعد.

والحياة الزوجية ليست عملية اقتصادية عمادها: ماذا لكَ، وماذا لي؟، وماذا عليكَ، وماذا عليّ؟! ولكنها عملية وجدانية، يتحدث لغتها القلب، ويمثل ألفاظها السلوك.

أختي الكريمة: إن من الطبيعي أن يدخل الزوجان بيت الزوجية، وكلٌّ منهما يحمل طبائع

---

(١) فتاوى واستشارات الإسلام اليوم ٤٥٣/٢

وعادات قد تخالف ما نشأ عليه الآخر من طبائع وعادات.. وحسب الزوجين الحريصين على إنجاح حياتهما الزوجية أن تكون تلك الطبائع المختلفة (هامشية) ، وليست في صلب التعامل الزوجي. إذ إن كلاً من الزوجين يمثل (شجرة) نبتت في (حوض) عائلي مختلف، وتغذّت من تربة ذلك الحوض، وتشكّلت بذلك الغذاء.

وإذا كان من المهم جداً أن يراعي كل من الزوجين الطرف الآخر فيما يختلف عنه فيه من عادات، فإنه قد ثبت بالتجربة أن إعطاء فرص أكثر من الحب يسهم في هدم (جدار) الطبائع المختلفة وسرعة (إذابة) كل من الزوجين في الآخر.

والمرأة جعلها الله أكثر قدرة في التأثير العاطفي، وأعمق جذباً من الرجل، وهي حين تفهم نفسية الرجل (الزوج) ، وتتقصّد التأثير عليه فإنها تملك إمكانات هائلة.

ولكن ما يلفت النظر أن بعض الزوجات قد تصل إلى حد الإرهاق من تفانيها في خدمة زوجها وأولادها، ولكنها تفسد ذلك العسل بـ (خلّ) سوء الاستخدام لقاموسها اللغوي!.. فهناك من الزوجات من تستخدم مع زوجها اللوم، وربما في لحظة انفعال تنشر بين يديه (ملفات) قضايا سابقة، وربما صفعته بكلمة (عجزت عنك) !.. وكأنها تفترض أن يلغي عقله، وأن يسارع بالاستجابة لها، أو إنها ستستخدم ضده أسلوباً (آخر) مخيفاً!!.. وهو ما يستفز الزوج، ولأن نفسيته منبنية على الصراع والمنافسة، فقد يقوم بـ (رد) على الزوجة قد لا يكون متوقعاً عندها، خاصة مع تكرار تلك المواقف.

وقد أشار المصطفى -صلى الله عليه وسلم- إلى أن (من البيان لسحراً) ، فإجادة استخدام كلمات اللغة، والتأكيد على الكلمات الجميلة، والتلبّس بالرفق، والتذرع بالصبر، له أثر غير محدود في التأثير.. والعامة تقول: (اللسان اللّين يغلب الحق البيّن) .". (١)

٥٩. ٢٢-"من المشكلة التي سيقوم ببحثها، ليضع من ثم هيكلا للمشكلة التي تجمعت بعض خيوطها لديه، ويقوم بتحليلها إلى عناصر ويضع مخططا مبدئيا للنقاط التي سيعالجها بالبحث والدراسة١.

ولقد ثبت بالتجربة أن طلبة البحوث الأكاديمية الذين يتوقفون لاختيار الموضوعات يكونون

---

(١) فتاوى واستشارات الإسلام اليوم ١٩٣/١٨

أكثر تفوقا بالعمل من أولئك الذين يفرض عليهم بحث معين، ومن أخطر الأشياء أن يبدأ الباحث حياته العلمية عالة على غيره من الباحثين ممن سبقوه، فإن ذلك يصبح خاصية من خواص بحوثه، وقد لا يستطيع أن يتحول فيما بعد باحثا بالمعنى الدقيق لكلمة باحث.

ومهما كان الأمر على الباحث عدم الإسراع في هذه المرحلة، عليه أن يتخير ويحدد ما له فائدة وقيمة علمية في مجال التخصص، وأن يكون منطلقا لدراسة علمية أوسع، إن طلبة الدراسات العليا يقومون باختيار موضوعاتهم، إما بناء على رغبة صادقة تتركز في ميادين معينة أو أنهم أثبتوا جدارة فيها، أو رغبة منهم بالتخصص في ميادين اختاروها لأنفسهم حينما حصلوا على درجة الماجستير لتصبح قاعدة للتخصص في مرحلة الدكتوراة، ولا شك أن الميل المرتبط بالتفوق يقوي الحدس، الأمر الذي يمهد لظهور أفكار سديدة.

هناك أسس أخرى لاختيار موضوع البحث هي: بروز أهمية كبيرة لظاهرات معينة أو جدال حول مسألة معينة ويراد حسمه بالبحث العلمي، أو ورود الموضوع تلقائيا على خاطر الباحث وانبثاقه في ذهنه أثناء فترة انشغاله بالتفكير في موضوع يجعله مركز نشاطه البحثي، وقد يطرح أثناء مناقشة علمية، أو حديث عام، أو نتيجة الصدفة أثناء قراءات الباحث واطلاعاته.

ومهما كانت أسباب اختيار البحث، على الباحث أن يلتزم بمعايير ذاتية وأخرى علمية وأخيرة تتعلق بظروف تنفيذ البحث من حيث المعايير المدانية والزمنية والمادية.

---

١ Pick L. J. Ford E. W Smith. "A Student Handbook on note Taking, Essay thesis Presentation" Witing study and london ١٩٦١p ,٣٩.". (١)

٦٠. ٢٣-"ركعتين " (رحمه الله ١)

- (٢-٦-٤) ما تحية المسجد الحرام؟

---

(١) البحث العلمى أساسياته النظرية وممارسته العملية ص/٤٠٢

لم يأت ما يخرج المسجد الحرام عن عموم الحديث السابق، فليست للمسجد الحرام تحية خاصة تختلف عن سائر المساجد.

نعم؛ الآفاقي إذا دخل محرماً أول ما يبدأ به الطواف كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في حجته.

والحديث المشتهر على الألسنة: " تحية البيت الطواف"؛ لا أصل له (رحمه الله٢)

(٣-٦-٤) إذا دخل المسجد وأقيمت الصلاة:

إذا دخل المسجد وأقيمت الصلاة؛ فعليه أن يدخل في الصلاة التي أقيمت، وتسقط عنه ركعتي تحيد المسجد.

والدليل على ذلك ما يلي:

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: " إذا أقيمت الصلاة؛ فلا صلاة إلا المكتوبة". أخرجه مسلم. (رحمه الله٣)

رحمه الله____________

(رحمه الله١) هذه الرواية عند البخاري في (كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، حديث رقم ١١٦٣)

(رحمه الله٢) كما قال العلامة الألباني، وقد اورده في " السلسلة الضعيفة " (حديث رقم ١٠١٢) ، وعلق عليه بقوله: "ولا أعلم في السنة القولية أو العملية ما يشهد لمعناه، بل إن عموم الأدلة الواردة في الصلاة قبل الجلوس في المسجد تشمل المسجد الحرام أيضاً، والقول بأن تحيته الطواف مخالف للعموم المشار إليه؛ فلا يقبل إلا بعد ثبوته، وهيهات، لا سيما وقد **ثبت بالتجربة** أنه لا يمكن للداخل إلى المسجد الحرام الطواف كلما دخل المسجد في أيام المواسم؛ فالحمد لله الذي جعل في الأمر سعة: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ . وإن مما ينبغي التنبه له أن هذا الحكم إنما هو بالنسبة لغير المحرم، وإلا؛ فالسنة في حقه أن يبدأ بالطواف، ثم بالركعتين بعده". اهـ.

(رحمه الله٣) حديث صحيح.

أخرجه مسلم في (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب كراهة الشروع في نافلة بعد شروع

المؤذن، حديث رقم ٧١٠) . وانظر: " جامع الأصول" (٦٥٩/٥) .". (١)

٦١. ٢٤-"ورواه سعيد بن منصور عن بن عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ السَّائِبِ وَسَمَّاهُ عُبَيْدُ الله وزاد قال بن عُيَيْنَةَ فَأَخْبَرَنِي مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ السَّائِبِ قَالَ فَرَأَيْتُ عُمَرَ يَجْلِدُهُ كَذَا فِي شَرْحِ الزُّرْقَانِيِّ

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُثَلَّثَ الْعِنَبِيَّ إِذَا أَسْكَرَ يَصِيرُ حَرَامًا قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ فِيهِ سواء ولذلك لم يستفصل عمر رضي الله عنه هَلْ شَرِبَ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا

قَالَ الْحَافِظُ وَالَّذِي أَحَلَّهُ عُمَرُ مِنَ الطِّلَاءِ مَا لَمْ يَكُنْ يَبْلُغُ حَدَّ الْإِسْكَارِ فَإِذَا بَلَغَ لَمْ يَحِلَّ عِنْدَهُ انْتَهَى

وَفِي الْمُحَلَّى شَرْحِ الْمُوَطَّأِ وَفِي رِوَايَةِ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ عَنْ عُمَرَ دَلَالَةٌ عَلَى حِلِّ الْمُثَلَّثِ الْعِنَبِيِّ لِأَنَّهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ غَالِبًا لَا يُسْكِرُ فَإِنْ كَانَ يُسْكِرُ حَرُمَ وَعَلَى ذَلِكَ يُحْمَلُ الطِّلَاءُ الَّذِي حَدَّ عُمَرُ شَارِبَهُ انْتَهَى

وَالْحَاصِلُ أَنَّ الطِّلَاءَ لَا يُسْكِرُ إِنِ اشْتَدَّ وَأَحْيَانًا يُخَدِّرُ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَرِبَ الطِّلَاءَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِشُرْبِهِ مَا لَمْ يَكُنْ يَبْلُغُ حَدَّ الْإِسْكَارِ فَلَمَّا بَلَغَ حَدَّ الْإِسْكَارِ ضَرَبَ الْحَدَّ لِشَارِبِهِ لِكَوْنِهِ شَارِبًا لِلْمُسْكِرِ وَأَمَّا مَنْ خَدِرَ بشربه فما قال له عمر رضي الله عنه شَيْئًا لِلْفَرْقِ عِنْدَهُ بَيْنَ الْمُسْكِرِ وَالْمُخَدِّرِ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَضَرَبَ الْحَدَّ عَلَى شَارِبِ الْمُخَدِّرِ كَمَا ضَرَبَ الْحَدَّ عَلَى شَارِبِ الْمُسْكِرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَعِلْمُهُ أَتَمُّ

وَأَمَّا الْكَلَامُ عَلَى الزَّعْفَرَانِ وَالْعَنْبَرِ خُصُوصًا عَلَى طَرِيقِ الطِّبِّ فَأَقُولُ إِنَّ كَيْفِيَّاتِ الْأَدْوِيَةِ وَأَفْعَالَهَا وَخَوَاصَّهَا لَا تَثْبُتُ عَلَى بَدَنِ الْإِنْسَانِ بِبُرْهَانٍ آنِيٍّ وَلَا بِبُرْهَانٍ لَمِّيٍّ بَلْ تَثْبُتُ أَفْعَالُهَا وَخَوَاصُّهَا بِالتَّجَارِبِ وَقَدْ ثَبَتَ بِالتَّجْرِبَةِ أَنَّ الْعَنْبَرَ يُقَوِّي الْحَوَاسَّ وَأَمَّا سَائِرُ الْأَشْيَاءِ الْمُسْكِرَةِ فَيَنْتَشِرُ فِي الْحَوَاسِّ فَالْقَوْلُ بِسُكْرِ الْعَنْبَرِ مِنْ عَجَبِ الْعُجَابِ وَمِنْ أَبَاطِيلِ الْأَقْوَالِ وَمُخَالِفٌ لِكَلَامِ الْقُدَمَاءِ الْأَطِبَّاءِ بِأَسْرِهَا فَإِنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ مَا ذَهَبَ إِلَى سُكْرِهِ

قَالَ الشَّيْخُ فِي الْقَانُونِ عَنْبَرٌ يَنْفَعُ الدِّمَاغَ وَالْحَوَاسَّ وَيَنْفَعُ الْقَلْبَ جِدًّا

انْتَهَى مُخْتَصَرًا

(١) بغية المتطوع في صلاة التطوع ص/٩٤

وَفِي التَّذْكِرَةِ لِلشَّيْخِ دَاوُدَ عَنْبَرٌ يَنْفَعُ سَائِرَ أَمْرَاضِ الدِّمَاغِ الْبَارِدَةِ طَبْعًا وَغَيْرِهَا خَاصِّيَّةً وَمِنَ الْجُنُونِ وَالشَّقِيقَةِ وَالنَّزَلَاتِ وَأَمْرَاضِ الْأُذُنِ وَالْأَنْفِ وَعِلَلِ الصَّدْرِ وَالسُّعَالِ شَمًّا وَأَكْلًا وَكَيْفَ كَانَ فَهُوَ أَجَلُّ الْمُفْرَدَاتِ فِي كُلِّ مَا ذُكِرَ شَدِيدُ التَّفْرِيحِ خُصُوصًا بِمِثْلِهِ بَنَفْسَجٌ وَنِصْفُهُ صَمْغٌ أَوْ فِي الشَّرَابِ مُفْرَدًا وَيُقَوِّي الْحَوَاسَّ وَيَحْفَظُ الْأَرْوَاحَ انْتَهَى مُخْتَصَرًا

وَقَدْ **ثَبَتَ بِالتَّجْرِبَةِ** أَنَّ الزَّعْفَرَانَ يُفَرِّحُ الْقَلْبَ فَرَحًا شَدِيدًا وَيُقَوِّيهَا وَلَا يُسْكِرُ أَبَدًا وأن لا". (١)

٦٢. ٢٥-"يُسْتَعْمَلَ عَلَى الزَّائِدِ عَلَى الْقَدْرِ الْمُعَيَّنِ نَعَمِ استعماله على القدر الزائد ينشأ الْفَتَرَ وَلِينَةَ الْأَعْضَاءِ عَلَى رَأْيِ الْبَعْضِ

وَقَدْ **ثَبَتَ بِالتَّجْرِبَةِ** وَصَحَّ عَنْ أَئِمَّةِ الطِّبِّ أَنَّ كُلَّ الْمُفَرِّحَاتِ الْمُطَيِّبَاتِ أَنْ يَخْتَلِطَ بِالْأَشْرِبَةِ الْمُسْكِرَةِ فَإِنَّهَا تَزْدَادُ قُوَّةُ السُّكْرِ

وَمَنْ قَالَ إِنَّ الزَّعْفَرَانَ يُسْكِرُ مُفْرَدًا فَقَدْ أَخْطَأَ وَإِنَّمَا صَدَرَ هَذَا الْقَوْلُ مِنْهُ تَقْلِيدًا لِلْعَلَّامَةِ عَلَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ الْقُرَشِيِّ مِنْ غَيْرِ تَجْرِبَةٍ وَلَا بَحْثٍ فَإِنَّهُ قَالَ فِي مُوجَزِ الْقَانُونِ وَالنَّفِيسِيِّ فِي شَرْحِهِ وَالْمُسْكِرَاتُ بِسُرْعَةٍ كَالتَّنَقُّلِ بِجَوْزِ الطِّيبِ وَنَقْعِهِ فِي الشَّرَابِ وَكَذَلِكَ الْعُودُ الْهِنْدِيُّ وَالشَّيْلَمُ وَوَرَقُ الْقِنَّبِ وَالزَّعْفَرَانُ وَكُلُّ هَذِهِ يُسْكِرِ مُفْرَدُهُ فَكَيْفَ مَعَ الشَّرَابِ وَأَمَّا الْبَنْجُ وَاللُّفَّاحُ وَالشَّوْكَرَانُ وَالْأَفْيُونُ فَمُفْرِطٌ فِي الْإِسْكَارِ انْتَهَى

وَقَالَ الْقُرَشِيُّ فِي شَرْحِ قَانُونِ الشَّيْخِ الزَّعْفَرَانُ يُقَوِّي الْمَعِدَةَ وَالْكَبِدَ وَيُفَرِّحُ الْقَلْبَ وَلِأَجْلِ لَطَافَةِ أَرْضِيَّتِهِ يَقْبَلُ التَّصَعُّدَ كَثِيرًا فَلِذَلِكَ يُصَدِّعُ وَيُسْكِرُ بِكَثْرَةِ مَا يَتَصَعَّدُ مِنْهُ إِلَى الدِّمَاغِ انْتَهَى

وَقَوْلُهُ يُسْكِرُ بِكَثْرَةِ مَا يَتَصَعَّدُ مِنْهُ إِلَى الدِّمَاغِ ظَنٌّ مَحْضٌ مِنَ الْعَلَّامَةِ الْقُرَشِيِّ وَخِلَافٌ لِلْوَاقِعِ وَأَنَّ الْأَطِبَّاءَ الْقُدَمَاءَ قَاطِبَةً قَدْ صَرَّحُوا بِأَنَّهُ يُسْكِرُ إِذَا جُعِلَ فِي الشَّرَابِ وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى سُكْرِهِ مُفْرَدًا أَوْ مع استهلاك الطعام

هذا بن بَيْطَارٍ الَّذِي يُنْتَهَى إِلَيْهِ الرِّيَاسَةُ فِي عِلْمِ الطِّبِّ ذَكَرَ الزَّعْفَرَانَ فِي جَامِعِهِ وَنَقَلَ أَقْوَالَ الْأَئِمَّةِ الْقُدَمَاءِ بِكَثْرَةٍ وَأَطَالَ الْكَلَامَ فِيهِ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَمَا ذَكَرَ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّ الزَّعْفَرَانَ

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم ١٠٣/١٠

يُسْكِرُ مُفْرَدًا فَقَالَ الزَّعْفَرَانُ تُحَسِّنُ اللَّوْنَ وَتُذْهِبُ الْخُمَارَ إِذَا شُرِبَ بِالْمِيفَخْتَجِ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّهُ يَقْتُلُ إِذَا شُرِبَ مِنْهُ مِقْدَارُ وَزْنِ ثَلَاثَةِ مَثَاقِيلَ بِمَاءٍ وَلَهُ خَاصِّيَّةٌ شَدِيدَةٌ عَظِيمَةٌ فِي تَقْوِيَةِ جَوْهَرِ الرُّوحِ وَتَفْرِيحِهِ

وَقَالَ الرَّازِيُّ فِي الْحَاوِي وَهُوَ يُسْكِرُ سَكَرًا شَدِيدًا إِذَا جُعِلَ فِي الشَّرَابِ وَيُفَرِّحُ حَتَّى إِنَّهُ يَأْخُذُ مِنْهُ الْجُنُونَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ

انتهى كلام بن بَيْطَارٍ مُخْتَصَرًا

وَهَذَا الشَّيْخُ الرَّئِيسُ أَبُو عَلِيٍّ إِمَامُ الْفَنِّ قَالَ فِي الْقَانُونِ الزَّعْفَرَانُ حَارٌّ يَابِسٌ قَابِضٌ مُحَلِّلٌ مُصَدِّعٌ يَضُرُّ الرَّأْسَ وَيُشْرَبُ بِالْمِيفَخْتَجِ لِلْخُمَارِ وَهُوَ مُنَوِّمٌ مُظْلِمٌ لِلْحَوَاسِّ إِذَا سُقِيَ فِي الشَّرَابِ أَسْكَرَ حَتَّى يُرْعِنَ مُقَوٍّ لِلْقَلْبِ مُفَرِّحٌ

قِيلَ إِنَّ ثَلَاثَةَ مَثَاقِيلَ مِنْهُ تَقْتُلُ بِالتَّفْرِيحِ

انْتَهَى مُلَخَّصًا مُخْتَصَرًا

وَهَذَا عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ إِمَامُ الْفَنِّ بِلَا نِزَاعٍ قَالَ فِي كَامِلِ الصِّنَاعَةِ فِي الْبَابِ السَّابِعِ". (١)

٦٣. ٢٦-"وَالثَّلَاثِينَ الزَّعْفَرَانُ حَارٌّ يَابِسٌ لَطِيفٌ مُجَفِّفٌ تَجْفِيفًا مَعَ قَبْضٍ يَسِيرٍ وَلِذَلِكَ صَارَ يُدِرُّ الْبَوْلَ وَفِيهِ مُنْضِجَةٌ وَيَنْفَعُ أَوْرَامَ الْأَعْضَاءِ الْبَاطِنَةَ إِذَا شُرِبَ وَضُمِّدَ بِهِ مِنْ خَارِجٍ وَيَفْتَحُ السُّدَدَ الَّتِي فِي الْكَبِدِ أَوْ فِي الْعُرُوقِ وَيُقَوِّي جَمِيعَ الْأَعْضَاءِ الْبَاطِنَةِ وَيُنْفِذُ الْأَدْوِيَةَ الَّتِي يُخْلَطُ بِهَا إِلَى جَمِيعِ الْبَدَنِ انْتَهَى

وَقَالَ الشَّيْخُ دَاوُدُ الْأَنْطَاكِيُّ فِي تَذْكِرَتِهِ الزَّعْفَرَانُ يُفَرِّحُ الْقَلْبَ ويقوي الحواس ويهيج شهوة الباه فِيمَنْ يَئِسَ مِنْهُ وَلَوْ شَمًّا وَيُذْهِبُ الْخَفَقَانَ فِي الشَّرَابِ وَيُسْرِعُ بِالسُّكْرِ عَلَى أَنَّهُ يَقْطَعُهُ إِذَا شُرِبَ بِالْمِيفَخْتَجِ عَنْ تَجْرِبَةٍ انْتَهَى

وَقَالَ الْأَقْصَرَائِيُّ زَعْفَرَانٌ يَسُرُّ مَعَ الشَّرَابِ جِدًّا حَتَّى يُرْعِنَ أَيْ يُورِثَ الرُّعُونَةَ وَهِيَ خِفَّةُ الْعَقْلِ

وَقِيلَ إِنَّ ثَلَاثَةَ مَثَاقِيلَ مِنَ الزَّعْفَرَانِ يَقْتُلُ بِالتَّفْرِيحِ انْتَهَى

فَمِنْ أَيْنَ قَالَ الْعَلَّامَةُ الْقُرَشِيُّ إِنَّ الزَّعْفَرَانَ يُسْكِرُ مُفْرَدًا أَيْضًا هَلْ حَصَلَتْ لَهُ التَّجْرِبَةُ عَلَى أَنَّهُ يُسْكِرُ مُفْرَدًا كَلَّا بَلْ **ثَبَتَ بِالتَّجْرِبَةِ** أَنَّهُ لَا يُسْكِرُ إِلَّا مَعَ الشَّرَابِ

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم ١٠/١٠٤

وَقَدْ سَأَلْتُ غَيْرَ مَرَّةٍ مَنْ أَدْرَكْنَا مِنَ الْأَطِبَّاءِ الْحُذَّاقِ أَصْحَابِ التَّجْرِبَةِ وَالْعِلْمِ وَالْفَهْمِ فَكُلُّهُمُ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يُسْكِرُ مُفْرَدًا بَلْ قَالُوا إِنَّ الْقَوْلَ بِالسُّكْرِ غَلَطٌ وَحَكَى لِي شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ الدَّهْلَوِيُّ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ بَعْدَ الْأَلْفِ وَالْمِائَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ جَرَى الْكَلَامُ فِي مَسْأَلَةِ الزَّعْفَرَانِ بَيْنَ الْأَطِبَّاءِ وَالْعُلَمَاءِ فَتَحَقَّقَ الْأَمْرُ عَلَى أَنَّ الزَّعْفَرَانَ لَيْسَ بِمُسْكِرٍ وَإِنَّمَا فِيهِ تَفْتِيرٌ وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ آرَاءُ الْأَطِبَّاءِ وَالْعُلَمَاءِ كَافَّةً عَلَى أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ حُكْمِ الْمَائِعَاتِ وَالْجَامِدَاتِ مُحَقَّقٌ بَيْنَ الْأَئِمَّةِ الْأَحْنَافِ انْتَهَى

وَقَدْ أَطْنَبَ الْكَلَامَ فِي مَسْأَلَةِ الزَّعْفَرَانِ الْفَاضِلُ السَّيِّدُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ دَلِيلُ الطَّالِبِ فَقَالَ إِنْ ثَبَتَ السُّكْرُ فِي الزَّعْفَرَانِ فَهُوَ مُسْكِرٌ وَإِنْ ثَبَتَ التَّفْتِيرُ فَقَطْ فَهُوَ مُفَتِّرٌ انْتَهَى حَاصِلُهُ قُلْتُ ذَلِكَ الْفَاضِلُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى تَرَدَّدَ فِي أَمْرِ الزَّعْفَرَانِ وَلَمْ يَتَرَجَّحْ لَهُ سُكْرٌ وَقِيلَ إِنَّ الرَّجُلَ إِنْ دَخَلَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي فِيهَا زَرْعُ الزَّعْفَرَانِ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ بَلْ يَخِرُّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ وَهَذَا قَوْلٌ غَلَطٌ بَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ وَقَدْ كَذَّبَ قَوْلَ هَذَا الْقَائِلِ وَغَلَّطَهُ بَعْضُ الثِّقَاتِ مِنْ أَهْلِ الْكَشْمِيرِ وَكَانَ صَاحِبَ أَرْضٍ وَزَرْعٍ لِلزَّعْفَرَانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ

وَإِنْ شَاءَ رَبِّي سَأُفَصِّلُ الْكَلَامَ عَلَى الْوَجْهِ التَّمَامِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي رِسَالَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ أُسَمِّيهَا بِغَايَةِ الْبَيَانِ فِي حُكْمِ اسْتِعْمَالِ الْعَنْبَرِ وَالزَّعْفَرَانِ وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ". (١)

٦٤. ٢٧-"استحباب ولاية أمر المريض لأحب الناس إليه وأصبرهم عليه

يقول المصنف رحمه الله: [وإذا نُزل به سن تعاهد بلّ حلقه بماءٍ أو شراب] .

قوله: (وإذا نزل به) أي: نزل به الموت، وللموت أمارات وتكون قبل سكرات الموت، ثم تفضي بالإنسان إلى السكرات، ثم تنتهي به إلى الممات، فمن أمارات الموت وعلاماته: أن يكون المرض ميئوساً منه، أو يكون مرضه من الأمراض التي لا يرجى شفاؤها، ولله عز وجل سنن كونية جعلها تدل على ما ينشأ أو يقع، فإذا كان هناك أطباء قرروا أن المرض الذي أصيب به المريض قد ثبت بالتجربة والعادة والاستقراء أنه لا يبقى صاحبه، فهذه من علامات الموت.

ومن العلامات التي تدل أن الإنسان سينتهي به مرضه -في الغالب- إلى الموت أن يشتد به

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم ١٠/١٠٥

المرض، أو يحصل له من الحوادث أو الوقائع ما يدل على أنه لا يرجى برؤه ولا يرجى بقاؤه، فهذه كلها من الأمارات التي تسبق الموت وتدل عليه.

فإذا كان الإنسان قد رأى علامات الموت، أو اطلع الأطباء على أن المرض الذي معه لا يرجى برؤه؛ فينبغي على الإنسان أن يتهيأ، وعلى أقرباء المريض إذا رأوا أن المرض لا يرجى برؤه، فعليهم أن يتركوا أمر المريض إلى أحب الناس إليه وأرفقهم به؛ وذلك لأن هذه الساعات الأخيرة من الدنيا يكثر فيها شكاية المريض، ويكثر فيها توجعه، ويكثُرُ تفجعه وتألمه.

فإذا كان الذي يتولى أمره معروف باللطف والإحسان في المعاملة، فإنه يتسع صدره في تحمل هذه الأمور، ويكون أدعى إلى الرفق بالميت.

ولذلك نبه العلماء رحمة الله عليهم والسلف الصالح -منهم الإمام الشافعي - على أنه يستحب أن يترك أمر ولاية المريض في آخر حياته إلى أرفق الناس به، وقد يكون أرفق الناس به ابنه، وقد تكون إحدى بناته، وقد تكون إحدى زوجاته، وقد يكون أحد أقاربه من أبناء الأعمام أو أبناء الأخوال، فالشخص الذي يُعرف ارتياح المريض له، وكذلك حبه له وأنسه به، هو الذي يترك له القيام على شأنه.

ويُتأكد ذلك حينما تكون هناك الأسباب والعواقب الحميدة لهذه الولاية؛ منها: الرفق بالمريض وعدم التضجر والسآمة، بخلاف ما إذا وليه من هو دون ذلك، فإنه ربما يضجر ويسأم، فالمريض في شدة المرض إذا رأى السآمة والملل من الذي يليه وقع بين نارين، لا يدري أيصبر على مرضه فيكتوي بنار المرض، أم يبوح بسره أنه يحتاج إلى أمر فيكتوي بنار المذلة والمهانة والتضجر والسآمة، خاصةً إذا كان عزيزاً كريم النفس، فإنه ربما لو رأى الموت لا يسأل الناس؛ من شدة كرامة نفسه عليه وأنفته.

فينبغي أن يترك أمر ولاية المريض إلى أرفق الناس به، وألطفهم في معاملته وأحلمهم به، ويجب على المسلم أن يتقي الله في المريض، فإن المريض ممن يرحم ويستحق الرحمة؛ ولذلك لما سُئل أحد الحكماء العقلاء من العرب في الجاهلية: من أحب ولدك إليك، وأكثر عطفك عليه؟ قال: (الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ) فالمريض يحتاج إلى العطف والرحمة والشفقة.

وينبغي للإنسان مهما رأى من الأذية والضجر أن يتسع صدره، خاصةً إذا كان المريض أحد الوالدين، أو ممن له حق أو فضل كالعالم؛ لأن المريض أثناء المرض تضيق عليه الأرض بما

رحبت، بل وتضيق عليه نفسه التي بين جنبيه، ومن شدة وطأة المرض قد لا يستطيع أن يترفق في أسلوبه ولا في كلامه ولا في معاملته، وقد يغلب عليه الجفاء، وقد يكون فظاً في كلامه وحديثه، فينبغي للإنسان أن يتسع صدره.". (١)

٦٥. ٢٨-"النَّوْعُ الْعَاشِرُ: الْخِنْزِيرُ:

٤٨ - الْخِنْزِيرُ حَرَامٌ لَحْمُهُ وَشَحْمُهُ وَجَمِيعُ أَجْزَائِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُل لاَ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِّل لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ . (١)

٤٩ - قَال الأْلُوسِيُّ: " خَصَّ اللَّحْمَ بِالذِّكْرِ مَعَ أَنَّ بَقِيَّةَ أَجْزَائِهِ أَيْضًا حَرَامٌ، خِلاَفًا لِلظَّاهِرِيَّةِ، (٢)

---

(١) سورة الأنعام / ١٤٥. قال صاحب تفسير المنار (٢ / ٩٨) في معرض بيانه حكمة الشريعة في تحريمه: " حرم الله لحم الخنزير فإنه قذر، لأن أشهى غذاء الخنزير إليه القاذورات والنجاسات، وهو ضار في جميع الأقاليم، كما **ثبت بالتجربة**، وأكل لحمه من أسباب الدودة القتالة ويقال: إن له تأثير

(٢) وقوله: " خلافا للظاهرية " فيه نظر، فإنه لم يخالف فيه أحد، بل نقل ابن حزم الظاهري في المحلى (٧ / ٣٩٠، ٣٩١، ٤٣٠) حكاية الإجماع على تحريم كل أجزائه، وأقرها حيث قال: " لا يحل أكل شيء من الخنزير، لا لحمه ولا شحمه، ولا جلده، ولا عصبه، ولا غضروفه، وممن حكى هذا الإجماع: النيسابوري في تفسيره، فقد قال: " وأما لحم الخنزير فأجمعت الأمة على أن الخنزير بجميع أجزائه محرم وتخصيص اللحم بالذكر، لأن معظم الانتفاع متعلق به ". (ر: تفسير النيسابوري بهامش الطبري ٢ / ١١٩) . لكن نسب بعض الحنابلة إلى داود الظاهري القول بأن ما عدا اللحم من الخنزير جائز الأكل (ر: مطالب أولي النهى ٦ / ٣٢١) وفي هذه النسبة نظر، فإن ابن حزم قد أحاط بمذهب داود إمام الظاهرية، وليس بمعقول أن يغفله في هذه المسألة وإن خالفه، بل ليس بمعقول أن يسلم حكاية الإجماع إذا

---

(١) شرح زاد المستقنع للشنقيطي ٩/٧٧

كان داود قد ذهب إلى حل ذلك. ومن عادة ابن حزم إذا خالف داود أن يحكي مذهبه ويبدي مخالفته له. وفي "". (١)

٦٦. ٢٩-"رواه أبو داود والترمذي.

ما نص الشارع على حرمته:

والمحرمات من الطعام في كتاب الله تعالى محصورة في عشرة أشياء منصوص عليها في قوله سبحانه: (١) " حرمت عليكم الميتة (٢) والدم (٣) ولحم الخنزير (٤) وما أهل لغير (٥) الله به والمنخنقة (٦) والموقوذة (٧) والمتردية (٨) والنطيحة (٩) وما أكل السبع (١٠) إلا ما ذكيتم وما ذبح على

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٣.

(٢) " الميتة " ما مات حتف أنفه. وإنما حرم الله الميتة لضررها إذ أنها لم تمت إلا بسبب الامراض التي لحقتها.

(٣) " والدم " أي الدم المسفوح. وحرم الدم لضرره وهو أصلح بيئة لنمو الميكروبات.

(٤) " ولحم الخنزير "كما قال في المنار: لانه قذر وأشهى غذاء له القاذورات والنجاسات. وهو ضار في جميع الاقاليم ولا سيما الحارة كما **ثبت بالتجربة**. وأكل لحمه من أسباب الدودة القتالة: ويقال إن له تأثيرا سيئا في العفة.

(٥) " وما أهل لغير الله به " أي ذكر غير اسم الله عند ذبحه. وهذا تحريم ديني من أجل المحافظة على التوحيد.

(٦) " والمنخنقة " أي التي تخنق فتموت.

(٧) " والموقوذة " أي التي ضربت بعصى فقتلت.

(٨) " والمتردية " هي التي تتردى من مكان عال فتموت.

(٩) النطيحة " هي التي تنطحها أخرى فتقتلها.

(١٠) " وما أكل السبع إلا ما ذكيتم " أي وما جرحه الحيوان المفترس إلا إذا أدركتموه وفيه

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ٥/١٤٠

حياة فذبحتموه فإنه يحل حينئذ.". (١)

٦٧. ٣٠-"حكم شرب الدم من أجل الشفاء

Q فضيلة الشيخ! هناك عائلة في منطقة حائل وثبت بالتجربة أن دمهم يشفي من الغَلْث، المسمى: داء الكلب، فما حكم شرب الدم؟ أرجو الإجابة!

A أنا أظن أن هذا ليس بصحيح؛ لأن الله لا يجعل شفاء هذه الأمة بما حَرَّم عليها، والدم محرم؛ لكن لعل هذا من باب الوهم؛ لأن الإنسان إذا توهم شيئاً انتفع به، فلعل هذا الذي يصاب يكون قد استقر في مخيلته أنه إذا شرب من هذا الدم استفاد فيستفيد، لكن لو فرض على أبعد تقدير أنه أمر محقق أن الإنسان إذا شرب من هذا الدم فإنه ينجو من الموت، فهنا نقول بالجواز استدلالاً بقول الله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ.

﴾ [الأنعام:١١٩] أتموا إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٩] .

ولقوله تعالى حين ذكر تحريم الميتة والخنزير: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ.

﴾ [المائدة:٣] إلى آخره، قال: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة:٣] .

وفي آية أخرى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣] .

أفهمتَ؟ الجواب الأول: أستبعِدُ استبعاداً تاماً أن يكون هذا صحيحاً، وأظن أن ذلك من باب قبول النفس لهذا الدم وانفعالها بناءً على ما يتوهمه الإنسان.

ثانياً: لو فرض على أبعد تقدير أن هذا أمر محقَّق فهو جائز؛ لأن في ذلك إنقاذ نفسه من الهلاك.". (٢)

---

(١) فقه السنة ٣/٢٧٧

(٢) لقاء الباب المفتوح ٧/١٢٤

٦٨. ٣١-"ضعيف. رواه الطبراني في " الكبير " (مجموع ٦ / ٥٥ / ١) : حدثنا الحسين بن إسحاق: حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي: حدثنا عبد الرحمن بن شريك قال: حدثني أبي عن عبد الله بن عيسى عن ابن علي عن عتبة بن غزوان عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: فذكره. وزاد في آخره: " وقد جرب ذلك ". قلت: وهذا سند ضعيف. وفيه علل:

١ و٢ - عبد الرحمن بن شريك وهو ابن عبد الله القاضي وأبوه كلاهما ضعيف، قال الحافظ في الأول منهما: " صدوق يخطيء ".

وقال في أبيه: " صدوق يخطيء كثيرا، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة ". وقد أشار إلى هذا الهيثمي بقوله في " المجمع " (١٠ / ١٣٢) : " رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم، إلا أن يزيد (كذا) بن علي لم يدرك عتبة ".

٣ - الانقطاع بين عتبة وابن علي، هكذا وقع في أصلنا الذي نقلنا منه الحديث (ابن علي) غير مسمى، وقد سماه الهيثمي كما سبق (يزيد) ، وأنا أظنه وهما من الناسخ أو الطابع، فإنه ليس في الرواة من يسمى (يزيد بن علي) والصواب (زيد بن علي) وهو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد سنة ثمانين، ومات عتبة سنة عشرين على أوسع الأقوال فبين وفاته وولادة زيد بن علي دهر طويل!

وقال الحافظ ابن حجر في " تخريج الأذكار ": " أخرجه الطبراني بسند منقطع عن عتبة بن غزوان مرفوعا وزاد في آخره " وقد جرب ذلك ". ثم قال الحافظ: "كذا في الأصل، أي الأصل المنقول منه هذا الحديث من كتاب الطبراني، ولم أعرف تعيين قائله، ولعله مصنف المعجم، والله أعلم ".

فقد اقتصر الحافظ على إعلاله بالانقطاع، وهو قصور واضح لما عرفت من العلتين الأوليين.

وأما دعوى الطبراني رحمه الله بأن الحديث قد جرب، فلا يجوز الاعتماد عليها، لأن العبادات لا تثبت بالتجربة، كما سبق بيانه في الحديث الذي قبله. ومع أن هذا الحديث ضعيف كالذي قبله، فليس فيه دليل على جواز الاستغاثة بالموتى من الأولياء والصالحين، لأنهما صريحان بأن المقصود بـ " عباد الله " فيهما خلق من غير البشر، بدليل قوله في الحديث الأول: " فإن لله في الأرض حاضرا سيحبسه عليهم ". وقوله في هذا الحديث: " فإن لله

عبادا لا نراهم ".". (١)

٦٩. ٣٢-"وإن مما يحسن ذكره بهذه المناسبة أن البيهقي نقل عن الحاكم ووافقه، أن الحديث جاء من رواية العشرة المبشرين بالجنة، قال: وليس في الدنيا حديث أجمع العشرة على روايته غيره.

قال الحافظ: فقد تعقبه غير واحد، لكن الطرق عنهم موجودة فيما جمعه ابن الجوزي (يعني في مقدمة كتاب " الموضوعات ") ومن بعده، والثابت منها ما قدمت ذكره فمن الصحاح: علي والزبير، ومن الحسان: طلحة وسعد وسعيد وأبو عبيدة، ومن الضعيف المتماسك طريق عثمان وبقيتها ضعيف ساقط.

قلت: قد عرفت من الكشف السابق أن لحديث عثمان رضي الله عنه ثلاث طرق ثم إن أحدها صحيح، والآخر حسن، وقد أخرجهما الطحاوي أيضا (١/١٦٥ - ١٦٦) ، فحديثه من الصحيح أيضا.

١٠١٢ - " تحية البيت الطواف ".

لا أعلم له أصلا.

وإن اشتهر على الألسنة، وأورده صاحب " الهداية " من الحنفية بلفظ:

" من أتى البيت فليحيه بالطواف ".

وقد أشار الحافظ الزيلعي في تخريجه إلى أنه لا أصل له، بقوله (٢/٥١) :

غريب جدا، وأفصح عن ذلك الحافظ ابن حجر فقال في " الدراية " (ص ١٩٢) :

لم أجده.

قلت: ولا أعلم في السنة القولية أوالعملية ما يشهد لمعناه، بل إن عموم الأدلة الواردة في الصلاة قبل الجلوس في المسجد تشمل المسجد الحرام أيضا، والقول بأن تحيته الطواف مخالف للعموم المشار إليه، فلا يقبل إلا بعد ثبوته وهيهات، لا سيما وقد **ثبت بالتجربة** أنه لا يمكن للداخل إلى المسجد الحرام الطواف كلما دخل المسجد في أيام المواسم، فالحمد لله

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ٢/١١٠

الذي جعل في الأمر سعة، " وما جعل عليكم في الدين من حرج ".". (١)

٧٠. ٣٣-"قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ فِي التَّذْكِرَةِ: لا يصح (١) .

١٩ - حديث: " مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: مَرْحَبًا بِحَبِيبِي وَقُرَّةِ عَيْنِي مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ يُقَبّلُ إِبْهَامَيْهِ وَيَجْعَلُهُمَا عَلَى عَيْنَيْهِ لَمْ يَعْمَ وَلَمْ يَرْمَدْ أَبَدًا.

قَالَ فِي التذكرة: لا يصح (٢) .

٢٠ - حديث: "اجْعَلْ بَيْنَ أَذَانِكَ وَإِقَامَتِكَ قَدْرَ مَا يَفْرَغُ الآكِلُ مِنْ أَكْلِهِ ــ إلخ".

رَوَاهُ فِي الْمَصَابِيحِ، وَضَعَّفَهُ، وَقَالَ الْقَزْوِينِيُّ: هُوَ مَوْضُوعٌ وَصَدْرُهُ لَيْسَ بموضوع (٢) .

٢١ - حديث: "لَوْ كَانَ لأَهْلِ السَّمَاءِ مِنَ الْمَلائِكَةِ نُزُولٌ إِلَى الأَرْضِ لَمَا سَبَقَهُمْ إِلَى الأَذَانِ أَحَدٌ وَلَغَلَبُوا الناس عليه ــ إلخ.

فِي إِسْنَادِهِ: كَذَّابَانِ: إِسْحَاقُ بْنُ وهب وعمر بن صبح.

٢٢ - حديث: "مَنْ سَمِعَ الْمُنَادِيَ بِالصَّلاةِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْقَائِلِينَ عَدْلا مَرْحَبًا بِالصَّلاةِ وَأَهْلا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَيْ ألف حسنة ــ إلخ.

---

(١) ذكره والذي يليه السخاوي في المقاصد، وكلمة (لا يصح) إنما تقال فيما له قوة. فأما هذا فلا يرتاب عالم بالسنة في بطلانه، ونازعني فيه رجل في الهند، وحكى قصة، فقلت له: إن الدين لا **يثبت بالتجربة**، وسل عباد الأصنام تجد عندهم تجارب كثيرة، وذكرت قصة ابن مسعود وامرأته.

(٢) في المقاصد: أن هذا أورده بعض المتصوفة، بسند فيه مجاهيل مع انقطاعه، عن الخضر، أقول: أفمثل هذا يقتصر فيه على كلمة (لا يصح) ؟

(٣) الحديث عند الترمذي، وأوله (إذا أذنت فترسل وإذا أقمت فاحدر واجعل.. الخ) . وقد رواه غيره، وهو على كل حال ضعيف، راجع تلخيص الحبير، نعم في آخره (ولا تقوموا

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ٧٣/٣

حتى ترويني) وهذه الجملة في الصحيح.". (١)

٧١. ٣٤-"٢- الائتناس بآراء أهل الاختصاص، ونعني بهم المشتغلين باللغة وشئونها بالحرفة والصنعة، من أمثال رجال المجامع اللغوية وأساتذة الجامعات المختصين.

٣- اطراد الاستعمال اللغوي في البيئة اللغوية المعينة مع عدم ورود ما يمنعه أو لا يجيزه من القواعد والضوابط المقبولة في إطار الأساسين الأولين.

ولسوف نأخذ هنا بهذه الأسس الثلاثة مجتمعة. أما الأخذ بالأساس الأول فواضح، ذلك أن اللغة العربية اليوم "أو "فصحى العصر" كما يقولون" في صورتها المكتوبة مازالت محتفظة بجملة الخواص المميزة للغة العربية في عصورها الأولى، ومازالت قواعدها الأساسية تسير في الإطار العام الذي رسمته القوانين والضوابط المسجلة في كتب اللغة "الرسمية" والتي اتفق على قبولها معيارا للصواب والخطأ. ومن ثم كان من المنطق والضروري كذلك أن نعود إلى هذه الضوابط لتقويم ما يواجهنا من مشكلات في عربية اليوم.

غير أنه **ثبت بالتجربة** والخبرة الطويلة أن هذه الضوابط والقواعد نفسها كثيرا ما تقف حائلا أمام إصدار حكم صريح في هذه القضية أو تلك، وأحيانا تقود إلى البلبلة والاضطراب في التقويم، وذلك للأسباب التالية:

١- تعدد الأوجه أو الأحكام بالنسبة للظاهرة الواحدة، وبخاصة في مجال الإعراب. وليس بخافٍ علينا ما سجله علماء العربية من أحكام فيما يختص مثلا بإعراب الأسماء الخمسة والمثنى وجمع المذكر السالم وكل ما سجلوه أو حكموا به وارد عن العرب أو هكذا قالوا.

٢- المبالغة في التأويل والتقدير والتفسير في التحليل الإعرابي، حتى إن المثل الواحد قد يعد صوابا في نظر بعضهم وخطأ صرفا في نظر الآخرين.". (٢)

٧٢. "الاستعانة في طلب الولد بأسباب غير مشروعة

ƒ.[بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) الفوائد المجموعة ص/٢٠

(٢) دراسات في علم اللغة ص/٢٥٧

هناك طرائق متبعة من قبل النساء اللواتي لا يحملن لكي تحمل، منها أن تقوم المرأة بجمع قطع نقدية من البيوت التي فيها شخص اسمه محمد أو فتاة اسمها فاطمة فتجمعها وتشتري سوارا تلبسه.

طريقة أخرى أن تشتري قفلا يأخذه أحد الأقارب إلى المسجد يوم الجمعة فيسمع كامل الخطبة والقفل مفتوح فإذا قضيت الصلاة خرج من المسجد وينتظر أول الخارجين من المسجد فيطلب منه أن يقوم بإغلاق القفل، ما حكم ذلك؟].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فلا أصل لمثل هذه الأعمال في الشرع، بل هي خرافات لا أصل لها، والواجب على المسلم الحذر منها، واعلم أن الأسباب التي يستعان بها في طلب الولد، إما أن تكون أسباباً شرعية -أي علم نفعها بالشرع- كبعض الأدعية وسبق بيانها في الفتوى رقم: ١٥٢٦٨.

وإما أن تكون أسباباً حسية، وهي كل ما **ثبت بالتجربة** أنه دواء نافع، وما عدا ذلك فالتعلق به شرك، كهذه الأعمال المذكورة في السؤال، إذ لا علاقة بين القطع النقدية والقفل وبين الحمل، لا شرعا، ولا حسا، وهو من باب جعل ما ليس سبباً سبباً.

فيجب الحذر من هذا الأعمال، وتحذير المسلمين منها، فإنما هي من أعمال السحرة والكهنة والمشعوذين.

والله أعلم.

٢٩ جمادي الثانية ١٤٢٧." (١)

٧٣. "قراءة القرآن على الماء وغيره وحكم رش الماء والملح

ƒ.[أريد معرفة حكم قراءة الفاتحة والمعوذتين وآيات السحر وبعض سور القرآن الكريم على ماء وعسل وزيت زيتون للتداوي (كسبب لأن الله هو الشافي) من السحر وإضافة الزعفران

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ٣٢٥٧/١

وماء الورد عليها

وما حكم رش المياه بالملح على جوانب المنزل لطرد الجان وهل يوجد مانع من أن تكون هذه المياه الموضوع عليها الملح نفس المياه المقروء عليها؟].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد سبق جواب سؤالك بخصوص هذا الموضوع في الفتوى رقم: ١٠٦٠٧١، والفتوى رقم: ١٣١٨٨، ونضيف هنا أنه يمكن قراءة القران على الماء الطاهر أو زيت الزيتون كما يجوز أن يضاف إلى ذلك الزعفران أو ماء الورد أو أي طاهر، فالأمر في ذلك واسع بحمد الله باعتبار أن المطلوب هو وصول أثر القرآن للمريض، وراجعي الفتاوى ذات الأرقام التالية: ٧٨٥٢، ٢٢٤٤، ١٩٢٦٢، ١٣١٨٨، ٨٠٦٩٤.

وأما استعمال الملح في الماء المقروء عليه أو رش المياه المالحة كماء البحر أو غيره في جوانب الغرفة فلا نعلم لذلك أصلا، والأولى اجتنابه لأنه لم يرد عن السلف فعله، لكن إن **ثبت بالتجربة** نفعه وكان من يفعله أو يخبر بنفعه ممن يوثق بدينه ويصدق في خبره فلا بأس به.

والله أعلم.

٢٩ ربيع الأول ١٤٢٩." (١)

٧٤. "حكم الرقية مع وضع بعض المواد

ƒ.[السلام عليكم

أخت راقية تسأل هل نستطيع وضع الحنتيت والقطران والسنداب في الرقية الشرعية وهل هذا يجوز شرعاً أم لا علما أنها قرأته في كتاب للكاتب ماهر وليد كوسا عنوانه هو (فيض القرآن في علاج المسحور) ؟ وجزاكم الله خيراً....].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ١/٤٨٥٨

فإذا ثبت بالتجربة أن استعمال الأشياء المذكورة ينفع في علاج السحر أو المس، ولم يكن ذلك طاعة للشيطان، أو تقليدا للسحرة والمشعوذين، فلا مانع منه، لعدم وجود المانع من ذلك، ولدخوله في عموم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتداوي، مثل قوله: "لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل" رواه مسلم عن جابر.

وفي مسند أحمد عن أنس قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل حيث خلق الداء، خلق الدواء، فتداووا" وصصحه الأرناؤوط وراجع الفتوى رقم:

٧٢٤٣ - والفتوى رقم: ١٣٥٨٦.

والله أعلم.

٠٧ ذو الحجة ١٤٢٣." (١)

٧٥. "استعمال الحروف المقطعة للعلاج من سبل السحرة والكهنة

ƒ.[أرجو إفادتي عن حكم هذه الطريقة في إسكان ألم الضرس وهي كالتالي:

ينقش بالمسمار على الأرض عدد سبعة أحرف عربية مقطعة ويوضع المسمار على الحرف الأول ويقوم المعزم بقراءة آيات من القرآن الكريم فإذا سكن الوجع دق المسمار في الأرض وإلا انتقل إلى الحرف الثاني مع مضاعفة القراءة وهكذا إلى أن يسكن الألم مع أحد الأحرف وهذه الطريقة مجربة في وقف الألم في حينه

فهل الأخذ بهذه الطريقة جائز شرعا أم لا؟

أفيدوني أثابكم الله وبارك فيكم].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فلا حرج على المسلم في التداوي من جميع الأمراض التي تصيبه ومن ذلك آلام الضرس، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد الهرم. رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

وإن جمع المسلم مع هذه الرقية الشرعية وهي ما كانت بكتاب الله تعالى وبأسمائه الحسنى

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ٥٠٦٢/١

وصفاته وما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم لكان ذلك أحسن، وانظر الفتوى رقم: ٦٢٦٢.

أما ما أشار إليه السائل من علاج لتسكين آلام الضرس فهو- باستثناء القرآن- خرافات لا أصل لها في الشرع، والواجب على المسلم الحذر من ذلك، وليعلم أن الأسباب التي يستعان بها في التداوي والرقية، إما أن تكون أسباباً شرعية -أي علم نفعها بالشرع- كقراءة الفاتحة على المريض، ووضع اليد على موضع الألم وقول: بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر، سبع مرات رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه.

وإما أن تكون أسباباً حسية، كدواء يضعه على الضرس، أو قطرة يضعها في العين مما **ثبت بالتجربة** أنه دواء نافع، وما عدا ذلك فالتعلق به شرك، كأن يلبس حلقة في يده للشفاء، أو أن يضع قلادة في عنقه لجلب الحظ، أو أن يضرب بمسمار في الأرض ليشفى ألمه، فهذا لم يعلم كونه سببا لا من جهة الشرع، ولا من جهة الحس، إذ لا اتصال بين هذا المسمار وبين موضع الألم، وإنما كان هذا شركاً لأنه اعتداء على الربوبية، وجعل ما ليس سبباً سبباً، هذا مع احتمال كون الأحرف الموضوعة على الأرض اسما لشيطان، أو شياطين.

وبالجملة فاستعمال الحروف المقطعة سبيل من سبل السحرة والكهنة، فالحذر الحذر من ذلك.

والله أعلم.

٠٢ ذو الحجة ١٤٢٤." (١)

٧٦. "بر والدك بالمعروف ولا تحلق لحيتك

ƒ.[السلام عليكم ... لقد خيرني والدي بين حلق لحيتي وبين مغادرة المنزل، ومنعني من التكلم معه ماذا أفعل؟ والسلام عليكم].

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ١/٥٢٤٦

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فإن الله عزوجل أمرك أن تبر أباك وتطيعه فيما يأمرك به، ولكنه قيد ذلك بما لايكون فيه معصية لله، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنما الطاعة في المعروف) وأنه (لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق) ، وحلق اللحية معصية، ومخالفة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وهديه، والله جل وعلا يقول (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) . [النور: ٦٣] . وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال " خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب " رواه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ورواه عنه مسلم بلفظ: "خالفوا المشركين: أحفوا الشوارب وأوفوا اللحى"، فإذا كان أمر أبيك يخالف أمر الله فاتبع أمر الله ودع ما سواه، وعليك أن تنصح أباك برفق وأن تدله على الخير وأن تكون باراً به متودداً إليه، -وإن تمادى في أمره لك بمعصية الله - فقد **ثبت بالتجربة** أن العاقبة للصابر، وأن كلمة الخير لاتضيع ولو بعد حين. والله نسأل أن يشرح صدر أبيك للحق وأن يعينك على أمر دينك، والله أعلم.

١٦ ربيع الثاني ١٤٢٢." (١)

٧٧. "التيمم بديل عن الماء للعاجز عن استعماله

ƒ.[أرجو الجواب من قارئ رسالتي أنا وزوجي قمنا بعملية طفل أنبوب ولله الحمد تمت العملية بنجاح لكن الدكتور منعني من الحمام وعدم وضع الماء على جسدي أبداً وسؤالي هو: هل يجوز أن أتوضأ وأصلي وأقرأ القرآن أم لا ولكم جزيل الشكر ويا ريت يأتيني الجواب بأقصى سرعة "لأني حتى ممنوعة من الجلوس أمام الكمبيوتر لفترة طويلة؟ أختكم في الله.].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن الصلاة لا تسقط عن المسلم ما دام يتمتع بعقله، فإن كان يستطيع الطهارة لزمه ذلك وإلا تيمم، وإذا أخبر الطبيب الثقة العارف أو **ثبت بالتجربة** أن استعمال الماء يعرقل العلاج أو يؤثر على صحة الأم أو جنينها، فيجوز للأخت السائلة في حال الجنابة أن تتيمم عند

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ١١/٦٨٢

كل صلاة إلى أن تشفى بإذن الله تعالى، ولها أن تتيمم وتقرأ القرآن وتمس المصحف بذلك التيمم لعجزها عن الطهارة، وإن كانت تستطيع غسل بعض جسدها فلتغسل ما لا تتضرر بغسله ولتتيمم للباقي، وإن لم تكن على جنابة وكان الوضوء لا يسبب ضرراً -كما فهمنا من السؤال- فلا يشرع لها التيمم بل يجب عليها الوضوء، ولها أن تمس المصحف وهي على وضوء، فإن لم تكن على وضوء لم يجز لها مس المصحف، ولها أن تقرأ القرآن بدون مس المصحف بلا وضوء ولا تيمم، وللفائدة يرجى الاطلاع على الفتاوى ذات الأرقام التالية: ٧٧٥٢٦، ٥٩٩٥، ٧٨٦٠٨، ٣٦٥٥٥، ٧٠٠٠٧.

والله أعلم.

١٨ جمادي الثانية ١٤٢٩." (١)

٧٨. "التيمم خوفا من تأخر الشفاء

ƒ.[أعانكم الله ووفقكم لما يحب ويرضى.. أما بعد ... أنا فتاة مصابة بمرض البرص منذ ما يزيد عن خمس عشرة سنة ولله الحمد وقد أكرمني الله تعالى وجعل لي سببا لعله يكون طريقا للشفاء بإذنه.. بحيث إنني أتعالج حاليا (منذ ثلاثة أشهر) بعلاج على شكل مرهم.. أقوم بدهن المرهم على المكان المصاب بالمرض غير أن أغلب أماكن الإصابة تكاد تنحصر في أماكن الوضوء، مما يتطلب مني إعادة دهن الأماكن تلك كلما توضأت، بحيث إن الشخص الذي وصف لي الدواء طلب مني أن أقوم بدهن المناطق المصابة مرتين في اليوم فقط في الصباح والمساء، ونصحني بإعادة الكرة كلما لمس الماء تلك المناطق المصابة قائلا بأن الماء يشكل أذى عليها ويعرقل العلاج ... وإضافة إلى ما ذكرت فإن ثمن الدواء غال ويصعب علي التوصل به لأنه يوجد في مكان بعيد غير المكان الذي أقطنه.. والله على ما أقول شهيد.

سؤالي هو: هل يجوز لي بعد ما ذكرته أن أقوم بالتيمم بدلا من الوضوء، وكيف ذلك إن كان الجواب بالإيجاب.. أقصد هل أتيمم قبل كل صلاة، أم أنه أتيمم فقط في الأوقات التي أكون

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ٢٣٢٥/١١

قد وضعت الدواء مسبقا، علما بأني لا أقوم بدهن الدواء إلا وأنا متوضئة وأتلو آية الكرسي طيلة عملية الدهن ... أشهد الله على أني لم أكن لأسأل هذا السؤال إلا لخوف مني أن أكون أخالف شرع الله في كون ديننا دين يسر؟ وبالله التوفيق أسأل العلي القدير، أن تلقى رسالتي هذه منكم العناية.. وأن أتوصل منكم بالرد وطلبي الأخير هو أن تدعو لي الله بالشفاء.].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإذا أخبر الطبيب العارف أو **ثبت بالتجربة** أن استعمال الماء يعرقل العلاج ويؤثر على مفعول الدواء المذكور، وبالتالي يتأخر الشفاء فيجوز للأخت السائلة أن تتيمم عند كل صلاة إلى أن تشفى بإذن الله تعالى، وإن كان يؤثر في بعض الأوقات جاز التيمم فيها دون غيرها من الأوقات التي لا يؤثر استعمال الماء فيها على العلاج وهكذا، لأن التيمم لا يصار إليه إلا في حالة الخوف من المرض أو زيادته أو تأخر برئه أو انعدام الماء، فإذا زال ذلك وجب استعمال الماء.

وللفائدة يرجى الاطلاع على الفتوى رقم: ٧٧٥٧٩، والفتوى رقم: ٣٢٥١٨.

والله أعلم.

١٢ ذو الحجة ١٤٢٨." (١)

٧٩. "الاقتصار على مواقع الإنترنت النافعة سيما أهل الصلاح

ƒ.[ما حكم مشاهدة المواقع الإباحية في رمضان؟ هل الفعل ذلك يبطل الصوم؟ وظهور بعض الإعلانات بالصور الخليعة أثناء التصفح؟

أعانكم الله على فعل الخير.

والشكر والحمد لله من قبل ومن بعد.].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ١١/٢٣٣٣

فإنه يحرم على المسلم مشاهدة (المواقع الإباحية) في رمضان، وفي غيره، ولكن مشاهدتها في رمضان أشد حرمة، لما في ذلك من انتهاك حرمة الشهر، ومنافاة لمقصود الصوم، وهو تقوى الله سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة:١٨٣] .

والواجب على من فعل ذلك التوبة إلى الله توبة نصوحاً، وهي التوبة الصادقة التي تتوفر فيها شروط التوبة: من الإقلاع عن الذنب، والندم على ما فات، والعزم على أن لا يعود إليه.

أما سؤلك عن بطلان الصيام بذلك الفعل من عدمه، فالجواب عنه فيه تفصيل: أولاً: إن كانت المشاهدة أثناء الصوم، وخرج منك (منيّ) فقد فسد صوم هذا اليوم، ويلزمك صوم يوم مكانه.

وإن خرج مذي، ففيه خلاف بين العلماء، والراجح أنه لا يفسد الصوم، والأولى صيام يوم مكانه احتياطاً.

ثانياً: إن لم يخرج شيء من ذلك، فالصوم صحيح، ولا يلزمك القضاء، لكن يخشى من ذهاب أجر الصوم وثوابه.

وأما سؤالك عن حكم ظهور بعض الإعلانات بالصور الخليعة أثناء التصفح، فالجواب عنه أن يقال: قد **ثبت بالتجربة** أن أهل الخير والصلاح، والحريصين على مرضاة الله سبحانه لا يكثرون من التصفح عبر الإنترنت في المواقع دون ضباط، بل يقتصرون على المواقع النافعة المفيدة للإسلام والمسلمين، وإذا طرأ لهم شيء من هذه الإعلانات، فإنهم لا يدخلون عليها وسرعان ما يغلقونها، وهذا هو الذي ينبغي أن تفعله مع مثل هذه الإعلانات، فإذا لم تستطع التحكم بنفسك، فإننا ننصحك بترك الدخول على الإنترنت أصلاً طلباً للسلامة، ودرءاً للفتنة، والسلامة لا يعادلها شيء.

والله أعلم.

١٦ صفر ١٤٢٠." (١)

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ١١/١٧٤٢١

٨٠. "الاقتصار على مواقع الإنترنت النافعة سيما أهل الصلاح

ƒ.[ما حكم مشاهدة المواقع الإباحية فى رمضان؟ هل الفعل ذلك يبطل الصوم؟ وظهور بعض الإعلانات بالصور الخليعة أثناء التصفح؟

أعانكم الله على فعل الخير.

والشكر والحمد لله من قبل ومن بعد.].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فإنه يحرم على المسلم مشاهدة (المواقع الإباحية) في رمضان، وفي غيره، ولكن مشاهدتها في رمضان أشد حرمة، لما في ذلك من انتهاك حرمة الشهر، ومنافاة لمقصود الصوم، وهو تقوى الله سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة:١٨٣] .

والواجب على من فعل ذلك التوبة إلى الله توبة نصوحاً، وهي التوبة الصادقة التي تتوفر فيها شروط التوبة: من الإقلاع عن الذنب، والندم على ما فات، والعزم على أن لا يعود إليه.

أما سؤلك عن بطلان الصيام بذلك الفعل من عدمه، فالجواب عنه فيه تفصيل: أولاً: إن كانت المشاهدة أثناء الصوم، وخرج منك (منيّ) فقد فسد صوم هذا اليوم، ويلزمك صوم يوم مكانه.

وإن خرج مذي، ففيه خلاف بين العلماء، والراجح أنه لا يفسد الصوم، والأولى صيام يوم مكانه احتياطاً.

ثانياً: إن لم يخرج شيء من ذلك، فالصوم صحيح، ولا يلزمك القضاء، لكن يخشى من ذهاب أجر الصوم وثوابه.

وأما سؤالك عن حكم ظهور بعض الإعلانات بالصور الخليعة أثناء التصفح، فالجواب عنه أن يقال: قد ثبت بالتجربة أن أهل الخير والصلاح، والحريصين على مرضاة الله سبحانه لا يكثرون من التصفح عبر الإنترنت في المواقع دون ضباط، بل يقتصرون على المواقع النافعة المفيدة للإسلام والمسلمين، وإذا طرأ لهم شيء من هذه الإعلانات، فإنهم لا يدخلون عليها وسرعان ما يغلقونها، وهذا هو الذي ينبغي أن تفعله مع مثل هذه الإعلانات، فإذا لم تستطع

التحكم بنفسك، فإننا ننصحك بترك الدخول على الإنترنت أصلاً طلباً للسلامة، ودرءاً للفتنة، والسلامة لا يعادلها شيء.

والله أعلم.

٢٩ رمضان ١٤٢٢." (١)

٨١. "التباطؤ في النهي عن المنكر.. رؤية شرعية

ƒ.[سؤالي: أحيانا أرسل بريدا إلكترونيا للزملاء في العمل فيه فائدة أو حكم شرعي، فما حكم إرساله للموظفات أيضا حتى لا أحرمهن من هذا الفضل؟ أم هذا فيه فتح لباب يصعب غلقه؟ وإذا شاهدت موظفا يحدث موظفة في موضوع غير العمل، فهل أرسل لهما بريدا إلكترونيا مشتركا فيه الحكم الشرعي لهذا الخطإ أم لا؟.].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإرسال مثل هذه الرسائل التي تشتمل على العلم النافع والمواعظ الحسنة الأصل فيه الجواز . سواء كانت للرجال أو النساء . بل هو من الأعمال الصالحة، لأنه من جنس الدعوة إلى الله جل وعلا، ولكن **ثبت بالتجربة** والواقع أن فتح مثل هذا الباب مع النساء ذريعة قوية للفتنة والشر، وأمر كهذا لن يدعه الشيطان يمر هكذا دون أن يجتهد في إغواء أصحابه . ولكم رأينا وسمعنا عن حرمات انتهكت، وفواحش ارتكبت كانت بدايتها مثل هذه الأمور الطيبة، وما ذلك إلا لأن فتنة النساء فتنة عظيمة كبيرة . فحري بالعاقل أن يغلق دونها كل باب ويسد أمامها كل ذريعة، وإن أردت عموم الفائدة . كما تذكر . فيمكنك أن تكلف زوجتك أو أختك مثلا لتتواصل هي بدورها مع هؤلاء النسوة وتقوم على دعوتهن وتذكيرهن بالخير.

أما عن محادثة النساء مع الرجال بغير ضرورة ولا حاجة فالأصل أنها غير جائزة، كما بيناه في الفتويين رقم: ٦٢٨٧٤ ، ورقم: ٢١٥٨٢.

فإن وجدت شيئا من هذا المنكر فواجب عليك أن تنهى أصحابه عنه بالحكمة والموعظة الحسنة والأسلوب اللين الرفيق ولا يجوز لك أن تؤخر النهي حتى ينتهي المنكر وينقضي، لأن المقصود من النهي عن المنكر الإعذار إلى الله سبحانه وانتهاء أصحابه عنه، قال سبحانه:

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ١٧٤٣٦/١١

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿الأعراف: ١٦٤﴾ .

فلا يجوز لك أن تترك أصحاب الباطل على باطلهم ثم ترسل إليهم بعد ذلك موعظة، بل عليك بنصحهم في الحال، وهذا كله مقيد بالقدرة وغلبة المصلحة، فإن ظننت أن نهيك لهما وهما على هذه الحال قد يؤدي إلى عكس المقصود من عنادهما أو نفورهما أو يؤدي إلى مفسدة كبيرة فلا مانع حينئذ أن تغير بقلبك وتؤخر التذكير إلى ما بعد ذلك. سواء كان في صورة تذكير مباشر أو إرسال رسالة ونحو ذلك. وقد بينا حكم إنكار المنكر في الفتوى التالية أرقامها: ١٢٣٤٨٣، وبينا معنى إنكار المنكر بالقلب خاصة في الفتوى رقم: ١٠٤٨.

والله أعلم.

٠١ ذو الحجة ١٤٣٠." (١)

٨٢. "التباطؤ في النهي عن المنكر.. رؤية شرعية

ƒ.[سؤالي: أحيانا أرسل بريدا إلكترونيا للزملاء في العمل فيه فائدة أو حكم شرعي، فما حكم إرساله للموظفات أيضا حتى لا أحرمهن من هذا الفضل؟ أم هذا فيه فتح لباب يصعب غلقه؟ وإذا شاهدت موظفا يحدث موظفة في موضوع غير العمل، فهل أرسل لهما بريدا إلكترونيا مشتركا فيه الحكم الشرعي لهذا الخطإ أم لا؟.].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإرسال مثل هذه الرسائل التي تشتمل على العلم النافع والمواعظ الحسنة الأصل فيه الجواز. سواء كانت للرجال أو النساء. بل هو من الأعمال الصالحة، لأنه من جنس الدعوة إلى الله جل وعلا، ولكن ثبت بالتجربة والواقع أن فتح مثل هذا الباب مع النساء ذريعة قوية للفتنة والشر، وأمر كهذا لن يدعه الشيطان يمر هكذا دون أن يجتهد في إغواء أصحابه. ولكم رأينا وسمعنا عن حرمات انتهكت، وفواحش ارتكبت كانت بدايتها مثل هذه الأمور الطيبة، وما ذلك إلا لأن فتنة النساء فتنة عظيمة كبيرة. فحري بالعاقل أن يغلق دونها كل باب ويسد

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ١٢/٤٤

أمامها كل ذريعة، وإن أردت عموم الفائدة ـ كما تذكر ـ فيمكنك أن تكلف زوجتك أو أختك مثلا لتتواصل هي بدورها مع هؤلاء النسوة وتقوم على دعوتهن وتذكيرهن بالخير.
أما عن محادثة النساء مع الرجال بغير ضرورة ولا حاجة فالأصل أنها غير جائزة، كما بيناه في الفتويين رقم: ٦٢٨٧٤ ، ورقم: ٢١٥٨٢.

فإن وجدت شيئا من هذا المنكر فواجب عليك أن تنهى أصحابه عنه بالحكمة والموعظة الحسنة والأسلوب اللين الرفيق ولا يجوز لك أن تؤخر النهي حتى ينتهي المنكر وينقضي، لأن المقصود من النهي عن المنكر الإعذار إلى الله سبحانه وانتهاء أصحابه عنه، قال سبحانه: وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿الأعراف: ١٦٤﴾ .

فلا يجوز لك أن تترك أصحاب الباطل على باطلهم ثم ترسل إليهم بعد ذلك موعظة، بل عليك بنصحهم في الحال، وهذا كله مقيد بالقدرة وغلبة المصلحة، فإن ظننت أن نهيك لهما وهما على هذه الحال قد يؤدي إلى عكس المقصود من عنادهما أو نفورهما أو يؤدي إلى مفسدة كبيرة فلا مانع حينئذ أن تغير بقلبك وتؤخر التذكير إلى ما بعد ذلك. سواء كان في صورة تذكير مباشر أو إرسال رسالة ونحو ذلك. وقد بينا حكم إنكار المنكر في الفتوى التالية أرقامها: ١٢٣٤٨٣، وبينا معنى إنكار المنكر بالقلب خاصة في الفتوى رقم: ١٠٤٨.

والله أعلم.
٠١ ذو الحجة ١٤٣٠." (١)

٨٣. "علاج الضعف الجنسي ... الروحي ... والمادي

ƒ.[أنا متزوج ولدي أربعة أطفال ولكن أشكو منذ أن بلغت من عدم الرغبة في النساء وقد بذلت كل ما استطيع من العلاج وذالك بالذهاب إلي أطباء نفسيين ولكن دون جدوي؟].

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ٢٥٥٥/١٣

^الحمد لله وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

فعلاج مثل هذا الأمر يكون أولا بالمداومة على طاعة الله، وباللجوء إليه بالتضرع والدعاء، وبلزوم الاستغفار، فإن الله يقول " ومن يتق الله يجعل من أمره يسراً" [الطلاق:٤] ويقول سبحانه " (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر: من الآية٦٠) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: " من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً" رواه أبو داود وابن ماجه.

ثم عليك -مع ذلك - بالأخذ بأسباب العلاج الظاهرة، وذلك بالذهاب إلى المتخصصين في علاج هذه الأمراض مع الصبر على ذلك، والاستعانة عليه ببعض الأسباب التي قد تساعد في العلاج، كالبعد عن الزوجة أياماً بين كل فترة وأخرى، بالسفر ونحوه، لأن كثرة الخلطة بالنساء تضعف الرغبة فيهن، وكذلك أكل الأطعمة وشرب الأشربة التي تقوي الباءة، كالقسط البحري الهندي، والزنجبيل، واللبن مع العسل، ونحوها من الأطعمة والأشربة التي **ثبت بالتجربة** تنشيطها للباءة وتقويتها، مع تنبيه الزوجة إلى التزين والتجمل والتودد للزوج بالشكل الذي ينشطه تجاهها، ولتحرص على معاشرتها بالمعروف -ولو لم ترغب في ذلك- فإن لك أجر إحصانها، وأجر احتساب الولد، وغير ذلك من المقاصد المشروعة.

وينظر في ذلك فتوى برقم:

٦٧٩٥

والله أعلم.

٠٦ جمادي الثانية ١٤٢٢." (١)

٨٤. "حكم إرضاع المرأة للحيوان

ƒ.[ما حكم المراة التي ترضع حيوانا؟].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فالذي يظهر -والله أعلم- أنه لا يجوز للمرأة أن ترضع حيوانا وهذا المنع لاعتبارات، منها:

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ١٣/٨٨٨٢

أولا: أنه ليس في حاجة إلى ذلك، إذ من الممكن أن تقدم له طعاما، فإن طعمه وإلا تركته يأكل من خشاش الأرض، ولو ترتب على ذلك موته فلا حرج عليها في ذلك، لأن الإثم إنما يقع على من حبس الحيوان ويستطيع أن يعيش على خشاش الأرض، ولم يطعمه حتى مات جوعا؛ كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا فدخلت فيها النار. قال: فقال والله أعلم: لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها، ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض. أو حبس عن الحيوان الذي يعيش بالعلف علفه حتى مات، وليس من علف الحيوان لبن الآدمي.

ثانيا: أنه قد **ثبت بالتجربة** أن كثيرا من الأمراض تنتقل من الحيوان إلى الإنسان، فإذا هي أرضعت هذا الحيوان فلا يؤمن أن تصاب بشيء من المرض، والقاعدة الشرعية أن الضرر يزال، ودليل هذه القاعدة الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ضرر ولا ضرار. ورحم الله من قال:

الدين جاء لسعادة البشر * ولانتفاء الشر عنهم والضرر

فكل أمر نافع قد شرعه * وكل ما يضرنا قد منعه.

والله أعلم.

١٣ محرم ١٤٢٩." (١)

٨٥. "دخول الخنزير في الشراب ومقاطعة بضائع الكفار

f.[الإخوة الأفاضل:

قرأت منذ فترة في أحد المواقع الإسلامية عن تمادي العداء للمسلمين حيث تجرأت شركات

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ١٣/١٥٠١٠

البيبسي في رسم كركتيري يرسم المصلين على هيئة زجاجات بيبسي وكتبوا ما معناه أننا لانخاف من مقاطعة العرب والمسلمين لأنهم لا يستطعوا العيش بدون بيبسي ، وكذلك قرأت في نفس الموقع عن القيام بتحليل للبيبسي نظرا للشك الكثير في احتواءها على الخنزير، ألا ينبغي إصدار فتوى بتحريمها أو مقاطعتها بعد تلك الرسومات، أفيدونا أثابكم الله؟].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فمن المعلوم أن أي شراب اختلط به لحم خنزير فإنه يتنجس، وبالتالي فلا يجوز استعماله لمن لم يضطر إليه، لقول الله تعالى في شأن الخنزير: قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿الأنعام:١٤٥﴾ .

فإذا أثبتت التحاليل أن الخنزير يدخل في تركيب البيبسي فالواجب على المسلمين تجنب استعماله.

وإذا لم يثبت شيء من ذلك، فالقاعدة المقررة هي أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يثبت موجب التحريم.

لكن الأولى للمسلم أن يجتنب كل ما يشك في حليته، ليكون قلبه مطمئنا، فقد روى الترمذي في سننه عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

وأما ما ذكرته من أن شركات البيبسي قد رسمت رسما كاريكاتيريا يظهر المصلين على هيئة زجاجات بيبسي، وأنهم كتبوا ما معناه أنهم لا يخافون من مقاطعة العرب والمسلمين لأنهم لا يستطيعون العيش بدون البيبسي، فإنه –في الحقيقة- أمر مستغرب، لأن البيبسي ليس من ضروريات الحياة، وبل وليس من الحاجيات، لما يوجد من البدائل الكثيرة المغنية عنه.

وقد **ثبت بالتجربة** أن كثرة استعماله تضر ببعض الأشخاص، فكيف مع كل هذا يدعي منتجوه أن المسلمين لا يمكن استغناؤهم عنه؟

وعلى أية حال، فإن واجب كل مسلم أن يدافع عن دينه ونبيه -صلى الله عليه وسلم-. وإذا رأى المسلمون أن في مقاطعة بضاعة الكفار أو بعض منهم، مصلحة شرعية، كأن تكون وسيلة للدفاع عن المقدسات، فعليهم أن يفعلوا ذلك وأن يلتزموا به.

والله أعلم.

١٦ رمضان ١٤٢٧." (١)

٨٦. "حديث: "إذا انفلتت دابة أحدكم...." لا يثبت.

ƒ.[السلام عليكم ورحمة الله وبعد الى الاخوة في الشبكة الاسلامية فقد رأيت حديثاً صحيحاً والظاهر فيه أنه يجيز الاستغاثة بغير الله والحديث لا أحفظ نصه إلا أنه يقول: إنه إذا تعثرت دابة أحدكم فليقل ياعباد الله احبسوا أوشيئا على هذه الجهة فأنا لا أحفظه وهل هو صحيح وماهو شرحه والحديث الآخر الأعمى الذي جاء إلى النبي فقال له أن يتوجه بجاهه إلى الله. أريد شرح كل هذه الأحاديث وتقولوا لي شرح هذه الأحاديث وأنواعها لكي لاتزعزع عقيدتنا وجزاكم الله خيرا].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فإن هناك فرقاً بين الاستغاثة بغير الله، وبين التوسل إلى الله سبحانه بأحد من خلقه.

فالاستغاثة من الشرك الأكبر، والتوسل مختلف فيه هل هو بدعة أم لا؟ وللمزيد انظر فتوى رقم ٣٨٣٥.

وأما الحديث المذكور في بداية السؤال فلفظه: "إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا علي، يا عباد الله احبسوا علي، فإن لله في الأرض حاضراً سيحبسه عليكم" رواه الطبراني وأبو يعلى في مسنده، وعنه ابن السني في عمل اليوم والليلة، رووه كلهم مرفوعاً من حديث عبد الله بن مسعود، إلا أنه حديث ضعيف لا تقوم به حجة. قال

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ٤٧٦/١٧

الهيثمي: وفيه معروف بن حسان وهو ضعيف. ونقل ابن علان في شرح أذكار النووي أن الحافظ ابن حجر قال فيه: حديث غريب أخرجه ابن السني والطبراني، وفي السند انقطاع بين ابن بريدة وابن مسعود.

وقال الألباني في السلسلة الضعيفة تحت رقم ٦٥٥ ضعيف. انتهى.

وأما قول البعض: إنه جربه ونفعه، فإن المشروعات لا **تثبت بالتجربة** فحسب، وإنما بثبوتها عن الشارع. قال الشوكاني في تحفة الذاكرين: السنة لا تثبت بمجرد التجربة، ولا يخرج الفاعل للشيء معتقداً أنه سنة عن كونه مبتدعاً، وقبول الدعاء لا يدل على أن سبب القبول ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد يجيب الله الدعاء من غير توسل بسنة، وهو أرحم الراحمين، وقد تكون الاستجابة استدراجاً. ومثل الحديث المذكور ما روى الطبراني أيضا عن عتبة بن غزوان عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا أضل أحدكم شيئاً، أو أراد أحدكم غوثاً وهو بأرض ليس بها أنيس، فليقل: يا عباد الله أغيثوني، يا عباد الله أغيثوني، فإن لله عباداً لا نراهم"، وهذا الحديث أيضاً حكم عليه الحافظ ابن حجر بانقطاع إسناده كما في تخريج الأذكار، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة تحت حديث رقم ٦٥٦: ضعيف ثم قال أيضا: ومع أن هذا الحديث ضعيف كالذي قبله، فليس فيه دليل على جواز الاستغاثة بالموتى من الأولياء الصالحين لأنهما صريحان بأن المقصود بـ عباد الله فيهما خلق من غير البشر، بدليل قوله في الحديث الأول: "فإن لله في الأرض حاضراً سيحبسه عليكم"، وقوله في هذا الحديث: "فإن لله عباداً لا نراهم"، وهذا الوصف إنما ينطبق على الملائكة، أو الجن، لأنهم الذين لا نراهم عادة، وقد جاء في حديث آخر تعيين أنهم طائفة من الملائكة، أخرجه البزار عن ابن عباس بلفظ: "إن لله تعالى ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصابت أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله أعينوني" قال الحافظ كما في شرح ابن علان: هذا حديث حسن الإسناد غريب جداً ... قلت: ورواه البيهقي في الشعب موقوفاً كما يأتي. فهذا الحديث إذا صح يعين أن المراد بقوله في الحديث الأول: "يا عباد الله" إنما هم الملائكة، فلا يجوز أن يلحق بهم المسلمون من الجن أو الإنس ممن يسمونهم برجال الغيب من الأولياء والصالحين، سواء كانوا أحياء أو أمواتا، فإن الاستغاثة، وطلب العون منهم شرك بَيّن لأنهم لا يسمعون الدعاء، ولو سمعوا لما استطاعوا

الاستجابة، وتحقيق الرغبة، وهذا صريح في آيات كثيرة منها قوله تبارك وتعالى: (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) [فاطر: ١٣-١٤] . انتهى.

وقد رجح بعد ذلك الألباني أن الحديث الذي يعيين أنهم طائفة من الملائكة أنه حديث معلول، والأرجح أنه موقوف، وليس هو من الأحاديث التي يمكن القطع بأنها في حكم المرفوع.

وأما حديث الأعمى فهو حديث صحيح، وهو في التوسل، وقد سبق جواب فيه برقم: ٣٨٣٥، ٤٤١٢.

والله أعلم.

٠٢ صفر ١٤٢٢." (١)

٨٧. "حقيقة الطب النبوي وحكم الأخذ به

ƒ.[هل هناك ما يسمى بالطب النبوي؟ وإذا كان هناك ما يسمى بذلك فلماذا لا نتحدث عن الطب لجميع الأنبياء ومنهم عيسى ابن مريم عليه السلام والذي ذكره الله في القرآن في أكثر من موضع؟ وهل يحق لأحد أن يربط بين المهنة وهي الطب بالرسالة والنبوة؟ وما حكم ذلك؟ جزاكم الله خيرا.].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فالطب النبوي موجود وهو مجموع ما ثبت وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم مما له علاقة بالطب، من أحاديث نبوية شريفة فيها إخبار عن منافع وخصائص لبعض المواد مثل قوله -صلى الله عليه وسلم-: " عليكم بهذه الحبة السوداء، فإن فيها شفاء من كل داء ". متفق عليه.

أو كان متضمنا وصفات داوى بها النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، أو دعا إلى التداوي بها. كما أنه يتضمن هديه صلى الله عليه وسلم في كل ما تعلق بصحة الإنسان في

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ١٢٨٨/٣

أحوال حياته من مأكل ومشرب ومسكن ومنكح ...

وقد ثبت بالتجربة عند الأطباء الموثوقين مصداقية ما ثبتت نسبته إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم– مما لها تعلق بالطب. مع أن بعض الباحثين من المسلمين لا يرون أن الطب له تعلق بالنبوة.

يقول ابن خلدون في تاريخه: وكان عند العرب من هذا الطب كثير، وكان فيهم أطباء معروفون كالحارث بن كلدة وغيره. والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل وليس من الوحي في شيء وإنما هو أمر كان عاديا للعرب. ووقع في ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل. فإنه صلى الله عليه وسلم إنما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات. وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال: أنتم أعلم بأمور دنياكم. فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث الصحيحة المنقولة على أنه مشروع فليس هناك ما يدل عليه اللهم إلا إذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الإيماني فيكون له أثر عظيم في النفع ... وما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله معتمدا في ذلك على التجربة كغيره من الناس فهذا الإشكال في أنه يؤخذ منه ويترك وربما يصح وربما لا يصح، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن عدم فائدة تلقيح النحل في الحديث الذي أشار إليه ابن خلدون.

وأما سؤالك: لماذا لا نتحدث عن الطب لجميع الأنبياء ... فجوابه أن الكتب التي أنزلت على أولئك الأنبياء قد بدلت وغيرت، مع أننا إنما أمرنا باتباع محمد –صلى الله عليه وسلم– لا غيره، ولأن أولئك الأنبياء لو كانوا أحياء لاتبعوا ما جاء به هو، وشرعه ناسخ لجميع الشرائع ومهيمن عليها.

والله أعلم.

٠٤ رمضان ١٤٢٧." (١)

٨٨. "دعوة الرجل النساء وكيف تدعى البوذية

ƒ.[أنا معي بنت ولكن للأسف هي بوذية عرضت عليها الإسلام ولكن رفضت ولكني أشك في نفسي لأنه ربما عرضته ليس كما يجب فأريد أن أعرف كيف أعرضه عليها؟ ماذا أقول وماذا لا أقوله الآن؟ أعتقد طريقة العرض تكون مختلفة للبوذية والمسيحية! فماذا أفعل؟ أنا أخاف أن تموت هكذا......].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقبل الجواب عما سألت عنه نريد أولا أن ننبهك إلى أنه قد ثبت بالتجربة أن الرجل في دعوة النساء على خطر كبير، وقلما يرجع سالماً أبداً. بل لا بد أن يصيبه من غبار الفتنة ما يصيبه، وقد يغرق فيها. ففتنة النساء من أعظم الفتن، وأكثرها خطرا وضررا، كما في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء.

وروى مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء.

لذلك فإننا نقول لك أيها السائل الكريم إن هذه البنت إذا لم تكن من محارمك، فالخير في الابتعاد عنها كل البعد. ثم إن وجدت من يقوم عنك بدعوتها من النساء كزوجتك أو إحدى محارمك كان ذلك خيراً لك وأنفع لدينك، فلأن تنفع نفسك وحدها خير لك من أن تنفع غيرك وتتضرر.

وأما كيفية دعوتها إذا وجد من يقوم بذلك، فإنها تختلف باختلاف الفروق الفردية بين الناس.

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ٣/٩٠٢٥

وملخص ذلك هو ما ورد في قول الله تعالى: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿النحل: ١٢٥﴾ .

ثم التركيز على استجلاب عاطفتها بالقصص الشيقة والحكايات النافعة، والهدايا إذا استدعاها الحال ونحو ذلك ...

والله أعلم.

٢٢ رمضان ١٤٢٨." (١)

٨٩. "مشاهدة الأفلام الإباحية في رمضان أشد حرمة

ƒ.[ما حكم مشاهدة المواقع الإباحية فى رمضان؟ هل الفعل ذلك يبطل الصوم؟ وظهور بعض الإعلانات بالصور الخليعة أثناء التصفح؟

أعانكم الله على فعل الخير.

والشكر والحمد لله من قبل ومن بعد.]

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فإنه يحرم على المسلم مشاهدة (المواقع الإباحية) في رمضان، وفي غيره، ولكن مشاهدتها في رمضان أشد حرمة، لما في ذلك من انتهاك حرمة الشهر، ومنافاة لمقصود الصوم، وهو تقوى الله سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة:١٨٣] .

والواجب على من فعل ذلك التوبة إلى الله توبة نصوحاً، وهي التوبة الصادقة التي تتوفر فيها شروط التوبة: من الإقلاع عن الذنب، والندم على ما فات، والعزم على أن لا يعود إليه.

أما سؤلك عن بطلان الصيام بذلك الفعل من عدمه، فالجواب عنه فيه تفصيل: أولاً: إن كانت المشاهدة أثناء الصوم، وخرج منك (منيّ) فقد فسد صوم هذا اليوم، ويلزمك صوم يوم مكانه.

وإن خرج مذي، ففيه خلاف بين العلماء، والراجح أنه لا يفسد الصوم، والأولى صيام يوم

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ٨٩/٥

مكانه احتياطاً.

ثانياً: إن لم يخرج شيء من ذلك، فالصوم صحيح، ولا يلزمك القضاء، لكن يخشى من ذهاب أجر الصوم وثوابه.

وأما سؤالك عن حكم ظهور بعض الإعلانات بالصور الخليعة أثناء التصفح، فالجواب عنه أن يقال: قد **ثبت بالتجربة** أن أهل الخير والصلاح، والحريصين على مرضاة الله سبحانه لا يكثرون من التصفح عبر الإنترنت في المواقع دون ضباط، بل يقتصرون على المواقع النافعة المفيدة للإسلام والمسلمين، وإذا طرأ لهم شيء من هذه الإعلانات، فإنهم لا يدخلون عليها وسرعان ما يغلقونها، وهذا هو الذي ينبغي أن تفعله مع مثل هذه الإعلانات، فإذا لم تستطع التحكم بنفسك، فإننا ننصحك بترك الدخول على الإنترنت أصلاً طلباً للسلامة، ودرءاً للفتنة، والسلامة لا يعادلها شيء.

والله أعلم.

٢٩ رمضان ١٤٢٢." (١)

٩٠. "التداوي بأشعة الأشكال الهندسية ... رؤية شرعية

ƒ.[بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

السؤال / تردد مؤخرا بعض الأخبار عن تأثير الأشكال الهندسية وما ينتج عن ذلك من إشعاع خاص بالشكل الهندسي وتأثيره في علاج بعض الأمراض

وسؤالي هل تعليق أي شكل هندسي أو جسم ما لا يتعارض مع الشرع الإسلامي والسنة النبوية المكرمة؟].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فلا حرج على الإنسان أن يتداوى بأشعة هذه الأشكال إن **ثبت بالتجربة** أو بعلم الطب نفعها؛ لأن علاج الأمراض يجوز بطريقتين:

الأولى: الطريقة القائمة على الرقى المأثورة والاستشفاء بآيات القرآن.

والثاني: الطريقة التجريبية والقائمة على الأخذ بالأسباب المادية التي ثبت نفعها في علاج

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ٦٠٧/٦

الأمراض، إلا إذا كان هذا العلاج بعين أو وسيلة محرمة، فإنه لا يجوز وإن زعم الأطباء أو أهل التجربة نفعه.

لكن إن كانت هذه الأشكال والانتفاع بها مبنياً على الاستدلال بالحوادث الفلكية على الحوادث الأرضية، والمزج بين القوى الفلكية، والقوابل الأرضية، فإن هذا هو التنجيم المحرم الذي يتعاطاه المنجمون والسحرة، فلا يجوز التداوي به.

والله أعلم.

٠٥ جمادي الثانية ١٤٢٣." (١)

٩١. "حكم تناول المنشطات الجنسية

ƒ.[ما رأي الشرع في استخدام الأدوية والمنشطات الجنسية بالنسبه للأزواج من أجل زيادة النشوة والمتعة الجنسية بشكل خاص؟].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فالمواد التي تنشط الغريزة الجنسية إما أن تكون طبيعية كبعض الخضروات أو الفواكه أو بعض البقوليات وما أشبه ذلك من أعشاب الغابات أو غيرها. فتناولها باعتدال دون إسراف، الأصل فيه أنه مباح، ما لم يؤد إلى ضرر معتبر شرعاً، وعندئذ يمنع تناول النوع الضار فقط دون غيره. وإما أن تكون المنشطات مصنعة من مواد كيميائية أو غير ذلك، كالعقاقير، والأقراص (الحبوب) المعدة لهذا الغرض، فحلها أو حرمتها متوقف على وجود الضرر من عدمه وإن كانت لا تخلو في الغالب من آثار جانبية على وظائف البدن المختلفة، فقد **ثبت بالتجربة** أن لها آثاراً سلبية، لأن حقيقة عملها أنها تقوم بمخادعة طبيعة الجسم، وإيهامه أن لديه طاقة مضاعفة، فيتصرف بناء على هذه الحالة، فيقوم بجهد عضلي فوق طاقته، وتبعاً لذلك يتحمل القلب والدورة الدموية جهداً غير مألوف، وبعد الإفاقة يعجز الجسم والقلب عن تحمل النتائج، فتحصل حالات من قبيل انقباض عضلات القلب، والإعياء الشديد. ومنها ماكان سبباً في وفاة عدد من الأشخاص. وعليه فالأصل منعها والامتناع عنها، إعمالاً لقاعدة: لا ضرر ولا ضرار. وسداً لذريعة قتل النفس بغير حق.

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ٦/١٩٥٢

والله أعلم.

١٧ ذو القعدة ١٤٢١." (١)

٩٢. "حقيقة الطب النبوي وحكم الأخذ به

ƒ.[هل هناك ما يسمى بالطب النبوي؟ وإذا كان هناك ما يسمى بذلك فلماذا لا نتحدث عن الطب لجميع الأنبياء ومنهم عيسى ابن مريم عليه السلام والذي ذكره الله في القرآن في أكثر من موضع؟ وهل يحق لأحد أن يربط بين المهنة وهي الطب بالرسالة والنبوة؟ وما حكم ذلك؟ جزاكم الله خيرا.]

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فالطب النبوي موجود وهو مجموع ما ثبت وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم مما له علاقة بالطب، من أحاديث نبوية شريفة فيها إخبار عن منافع وخصائص لبعض المواد مثل قوله -صلى الله عليه وسلم-: " عليكم بهذه الحبة السوداء، فإن فيها شفاء من كل داء ". متفق عليه.

أو كان متضمنا وصفات داوى بها النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، أو دعا إلى التداوي بها. كما أنه يتضمن هديه صلى الله عليه وسلم في كل ما تعلق بصحة الإنسان في أحوال حياته من مأكل ومشرب ومسكن ومنكح ...

وقد **ثبت بالتجربة** عند الأطباء الموثوقين مصداقية ما ثبتت نسبته إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- مما لها تعلق بالطب. مع أن بعض الباحثين من المسلمين لا يرون أن الطب له تعلق بالنبوة.

يقول ابن خلدون في تاريخه: وكان عند العرب من هذا الطب كثير، وكان فيهم أطباء معروفون كالحارث بن كلدة وغيره. والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل وليس من الوحي في

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ١٩٨٨/٦

شيء وإنما هو أمر كان عاديا للعرب. ووقع في ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل. فإنه صلى الله عليه وسلم إنما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات. وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال: أنتم أعلم بأمور دنياكم. فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث الصحيحة المنقولة على أنه مشروع فليس هناك ما يدل عليه اللهم إلا إذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الإيماني فيكون له أثر عظيم في النفع ... وما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله معتمدا في ذلك على التجربة كغيره من الناس فهذا الإشكال في أنه يؤخذ منه ويترك وربما يصح وربما لا يصح، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن عدم فائدة تلقيح النحل في الحديث الذي أشار إليه ابن خلدون.

وأما سؤالك: لماذا لا نتحدث عن الطب لجميع الأنبياء ... فجوابه أن الكتب التي أنزلت على أولئك الأنبياء قد بدلت وغيرت، مع أننا إنما أمرنا باتباع محمد -صلى الله عليه وسلم- لا غيره، ولأن أولئك الأنبياء لو كانوا أحياء لاتبعوا ما جاء به هو، وشرعه ناسخ لجميع الشرائع ومهيمن عليها.

والله أعلم.

٠٤ رمضان ١٤٢٧." (١)

٩٣. "التداوي بتحريك سبع قطع من الملح على رأس المريض

ƒ.[بسم الله الرحمن الرحيم وبعد الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله وبدون مقدمات فلدي سؤال عقدي، هو أنه يوجد في بعض البلاد أن يكون هناك امرأة مثلا أو رجل عندما يصاب شخص بمرض ما (عين، حمى ...) فتقوم هذه المرأة بأخذ سبع قطع من الملح المتماسك وتحركها على رأس المريض يمينا وشمالا وتقول أذكارا كآية الكرسي والمعوذات..إلخ، ثم بعد أن تنتهي من ذلك ترمي هذه القطعات في النار، فما حكم الشرع في ذلك؟ وهل

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ٣١٤٢/٦

للنية التي يقصدها المعالج لهذا المريض أثر في تغيير أو تخفيف الحكم الشرعي؟ مع العلم أنه فيما يغلب على ظني أنه بحسن النية لا بقصد التكهن، مع العلم أيضا أنها ربما طلبت مبلغا يسيرا جدا كما يقولون (كسر نفس المعالج) هكذا يقولون.

وجزاكم الله خيرا.].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن الله قد شرع التداوي بما ثبت بالشرع أو التجربة وعلم الطب والحس نفعه، وشرع إعطاء المعالج جعلا على علاجه، ومما ثبت بالشرع نفعه بإذن الله تعالى زمزم والعسل والحبة السوداء والرقية الشرعية إلى غير ذلك، ويرجع فيما **ثبت بالتجربة** وعلم الطب إلى المتخصصين من الأطباء.

وأما العلاج بما لم يثبت بالشرع أو التجربة ولم يعقل معناه فيتعين طرحه والبعد عنه إذ لا يبعد أن يكون مأخوذا من وحي الشياطين إلى أوليائهم من الدجاجلة والسحرة والمشعوذين، ثم إن اعتقاد أن هذا العمل ينفع بذاته داخل في عموم الشرك ولا يؤثر في ذلك حسن نية المعالج، وأما قراءة القرآن والأذكار المأثورة من دون عمل هذه العملية فهو مشروع. وراجع الفتوى رقم: ٣٢٤٩٤، والفتوى رقم: ٤٣١٠، والفتوى رقم: ٢٨٣٨٠، والفتوى رقم: ٦١٢٥، والفتوى رقم: ٤٩٩٥٣.

والله أعلم.

٠٤ صفر ١٤٢٧." (١)

٩٤. "الحجامة دواء نافع للبدن

ƒ.[هل تفيد الحجامة في علاج شرايين القلب وعضلة القلب وهل لها من آلام موجعة؟].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ٦/٣١٦٥

فإن الحجامة من الأدوية المفيدة لجسم الإنسان، ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما ثبت بالتجربة العملية.

ففي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن كان في شيء من أدويتكم خير، ففي شرطة محجم، أو شربة من عسل، أو لذعة بنار وما أحب أن أكتوي.

وفي رواية البخاري: وأنهى أمتي عن الكي.

والحجامة ليست فيها آلام لأنها مجرد ضغط المحجم بواسطة الهواء.

ولمزيد من الفائدة والتفصيل عن الحجامة نرجو الاطلاع على الفتوى رقم: ١٧٤٧٧.

والله أعلم.

٠٦ جمادي الأولى ١٤٢٤." (١)

٩٥. "التباطؤ في النهي عن المنكر.. رؤية شرعية

ƒ.[سؤالي: أحيانا أرسل بريدا إلكترونيا للزملاء في العمل فيه فائدة أو حكم شرعي، فما حكم إرساله للموظفات أيضا حتى لا أحرمهن من هذا الفضل؟ أم هذا فيه فتح لباب يصعب غلقه؟ وإذا شاهدت موظفا يحدث موظفة في موضوع غير العمل، فهل أرسل لهما بريدا إلكترونيا مشتركا فيه الحكم الشرعي لهذا الخطإ أم لا؟.]

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإرسال مثل هذه الرسائل التي تشتمل على العلم النافع والمواعظ الحسنة الأصل فيه الجواز . سواء كانت للرجال أو النساء . بل هو من الأعمال الصالحة، لأنه من جنس الدعوة إلى الله جل وعلا، ولكن ثبت بالتجربة والواقع أن فتح مثل هذا الباب مع النساء ذريعة قوية للفتنة والشر، وأمر كهذا لن يدعه الشيطان يمر هكذا دون أن يجتهد في إغواء أصحابه . ولكم رأينا وسمعنا عن حرمات انتهكت، وفواحش ارتكبت كانت بدايتها مثل هذه الأمور الطيبة، وما ذلك إلا لأن فتنة النساء فتنة عظيمة كبيرة . فحري بالعاقل أن يغلق دونها كل باب ويسد أمامها كل ذريعة، وإن أردت عموم الفائدة . كما تذكر . فيمكنك أن تكلف زوجتك أو

---

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ٣٢٧٤/٦

أختك مثلا لتتواصل هي بدورها مع هؤلاء النسوة وتقوم على دعوتهن وتذكيرهن بالخير.
أما عن محادثة النساء مع الرجال بغير ضرورة ولا حاجة فالأصل أنها غير جائزة، كما بيناه في الفتويين رقم: ٦٢٨٧٤ ، ورقم: ٢١٥٨٢.

فإن وجدت شيئا من هذا المنكر فواجب عليك أن تنهى أصحابه عنه بالحكمة والموعظة الحسنة والأسلوب اللين الرفيق ولا يجوز لك أن تؤخر النهي حتى ينتهي المنكر وينقضي، لأن المقصود من النهي عن المنكر الإعذار إلى الله سبحانه وانتهاء أصحابه عنه، قال سبحانه: وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿الأعراف: ١٦٤﴾ .

فلا يجوز لك أن تترك أصحاب الباطل على باطلهم ثم ترسل إليهم بعد ذلك موعظة، بل عليك بنصحهم في الحال، وهذا كله مقيد بالقدرة وغلبة المصلحة، فإن ظننت أن نهيك لهما وهما على هذه الحال قد يؤدي إلى عكس المقصود من عنادهما أو نفورهما أو يؤدي إلى مفسدة كبيرة فلا مانع حينئذ أن تغير بقلبك وتؤخر التذكير إلى ما بعد ذلك. سواء كان في صورة تذكير مباشر أو إرسال رسالة ونحو ذلك. وقد بينا حكم إنكار المنكر في الفتوى التالية أرقامها: ١٢٣٤٨٣، وبينا معنى إنكار المنكر بالقلب خاصة في الفتوى رقم: ١٠٤٨.

والله أعلم.

٠١ ذو الحجة ١٤٣٠." (١)

٩٦. "رؤية الله تعالى في المنام

ƒ.[انفصلت عن زوجي بسبب موت الأطفال بالأمراض الوراثية....ورأيت في المنام أني رجعت لزوجي وأن الله ينظر إلينا وهو غير راض على الرجعة لأني حملت أيضا بطفل مريض.... ما هو تفسير رؤية الله

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ١٠٢١/٧

علما بأن طليقي يريدني أرجع له وقلت له الحلم وقال لي هذا من الشيطان.

وجزاكم الله خيرا.].

^الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد اختلف أهل العلم في جواز رؤية الله- عز وجل- في المنام فقال بعضهم:

الله موجود وما به امترا * وكل موجود يصح أن يرى

والخلف في الجواز في الدنيا وفي * نوم وفي الوقوع للهادي قُفي

وقد رجح المحققون جواز الرؤية في النوم، وسبق بيان ذلك وأقوال أهل العلم حوله في الفتوى رقم: ٨٢٧١.

وبخصوص ما رأيت فإننا نعتذر عن تفسيره، وبإمكانك أن تعرضيه على أهل الاختصاص في تعبير الرؤى.

وبخصوص الأمراض الوراثية فإنه إذا **ثبت بالتجربة** أو إخبار الطبيب الثقة أنها تنتقل إلى الأولاد فلا ما نع من رفض رجوع الزوجة إلى مطلقها إذا كانت قد خرجت من العدة، بل إن ذلك قد يكون أولى لها إذا كانت ترجو أن تجد من يتزوج بها، أما إذا كانت لم تخرج من العدة فلا يحق لها رفض الرجوع إذا أراده الزوج.

وللمزيد عن الزواج والأمراض الوراثية نرجو أن تطلعي على الفتوى رقم: ٦٢٣٧٩.

والله أعلم.

٣٠ ربيع الأول ١٤٢٨." (١)

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية؟ مجموعة من المؤلفين ١٤٨٦/٩

٩٧. "تحية المسجد الحرام

ƒ.[ما أقوال المذاهب الأربعة في تحية المسجد الحرام ، هل هي الطواف أم صلاة ركعتين؟ وما الراجح؟ وما صحة حديث: (تحية البيت الطواف) ؟].

^الحمد لله

لا يخلو حال الداخل إلى المسجد الحرام من حالين:

الأول: أن يدخله بقصد الطواف، سواء كان للحج أو العمرة أو تطوعاً:

فهذا أول ما يبدأ به الطواف، ولا يشرع له البدء بركعتي تحية المسجد قبل الطواف، إذ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من أصحابه، وهذا ما عليه جمهور الفقهاء، ولم يخالف في ذلك إلا أفراد، منهم ابن عقيل من الحنابلة – كما نقله عنه ابن تيمية في "شرح عمدة الفقه" –.

ويستثنى من ذلك ما إذا منع مانعٌ كالزحام الشديد عن البدء بالطواف، فيصلي ركعتين تحية المسجد، وينتظر حتى ينجلي الزحام ليشرع في الطواف.

الثاني: أن يدخله بقصد الصلاة أو الجلوس أو حضور حلق العلم أو الذكر أو قراءة القرآن أو غيرها من العبادات:

فيستحب له أن يصلي ركعتي تحية المسجد؛ لعموم حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين)

أخرجه البخاري (١١٦٧) ومسلم (٧١٤)

وأما ما يرويه الناس من حديث (تحية البيت الطواف) فليس له أصل في كتب السنة، ولم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد أصلا، فلا يجوز نسبته إليه.

قال الشيخ الألباني في "سلسلة الأحاديث الضعيفة" (رقم/١٠١٢) :

" لا أعلم له أصلا وإن اشتهر على الألسنة، وأورده صاحب " الهداية " من الحنفية بلفظ: (من أتى البيت فليحيه بالطواف) ، وقد أشار الحافظ الزيلعي في تخريجه إلى أنه لا أصل له، بقوله (٢/٥١) : " غريب جدا "، وأفصح عن ذلك الحافظ ابن حجر، فقال في "الدراية" (ص١٩٢) : " لم أجده ".

قلت – أي الشيخ الألباني -: ولا أعلم في السنة القولية أو العملية ما يشهد لمعناه، بل إن

عموم الأدلة الواردة في الصلاة قبل الجلوس في المسجد تشمل المسجد الحرام أيضا، والقول بأن تحيته الطواف مخالف للعموم المشار إليه، فلا يقبل إلا بعد ثبوته، وهيهات، لا سيما وقد ثبت بالتجربة أنه لا يمكن للداخل إلى المسجد الحرام الطواف كلما دخل المسجد في أيام المواسم، فالحمد لله الذي جعل في الأمر سعة، (وما جعل عليكم في الدين من حرج) .

وإن مما ينبغي التنبه له أن هذا الحكم إنما هو بالنسبة لغير المحرم، وإلا فالسنة في حقه أن يبدأ بالطواف ثم بالركعتين بعده، انظر: بدع الحج والعمرة في رسالتي " مناسك الحج والعمرة " رقم البدعة (٣٧) " انتهى.

وقال الحطاب المالكي في "مواهب الجليل شرح مختصر خليل" (٢/٣٧٥) :

" من دخل مسجد مكة فتحية المسجد الحرام في حقه الطواف بالبيت ، وهذا في حق القادم المحرم، فإنه يطلب منه أنه إذا دخل المسجد الحرام البداءة بطواف القدوم – إن كان محرما بحج أو قران –، وبطواف العمرة – إن كان محرما بعمرة –، وبطواف الإفاضة – إذا دخله بعد الرجوع من عرفة – ، ولا يطلب منه الركوع (أي: الصلاة) عند دخوله. وكذلك غير القادم – إذا دخل المسجد الحرام ونيته أن يطوف عند دخوله – فتحية المسجد في حقه الطواف ، ولا يطلب منه حينئذ الركوع.

وأما غير القادم إذا دخل المسجد الحرام ونيته الصلاة في المسجد أو مشاهدة البيت الشريف ، ولم يكن نيته الطواف، فإنه يصلي ركعتين ...

قال ابن رشد: الطواف بالبيت صلاة ، فإذا دخله يريد الطواف بدأ بالطواف ، وإن دخله لا يريد الطواف في وقت تنفل بدأ بالركعتين " انتهى باختصار.

وجاء في "الموسوعة الفقهية" (١٠/٣٠٦) :

" ذهب جمهور الفقهاء إلى أن تحية المسجد الحرام الطواف للقادم لمكة ، سواء كان تاجرا أو حاجا أو غيرهما ، لقول عائشة رضي الله عنها عنها: (إن النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة توضأ ، ثم طاف بالبيت) وركعتا تحية المسجد الحرام تجزئ عنهما الركعتان بعد الطواف.

وأما المكي الذي لم يؤمر بطواف، ولم يدخله لأجل الطواف، بل للصلاة أو لقراءة القرآن أو

للعلم، فتحية المسجد الحرام في حقه الصلاة، كتحية سائر المساجد" انتهى باختصار.
وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن: هل تحية المسجد الحرام صلاة ركعتين أو الطواف؟
فأجاب: "المسجد الحرام كغيره من المساجد من دخل ليصلي، أو ليستمع الذكر، أو ما أشبه ذلك من الإرادات فإنه يصلي ركعتين كغيره من المساجد، لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ) رواه البخاري (١١٦٧) أما إذا دخل ليطوف كإنسان معتمر دخل ليطوف طواف العمرة، أو ليطوف تطوعاً فهنا يغني الطواف عن ركعتي تحية المسجد؛ لأنه إذا طاف فسوف يصلي ركعتين بعد الطواف" انتهى.
"مجموع فتاوى ابن عثيمين" (٢٢/٢٨٦) .
والله أعلم.
الإسلام سؤال وجواب." (١)

٩٨. "تحية المسجد الحرام

ƒ.[ما أقوال المذاهب الأربعة في تحية المسجد الحرام ، هل هي الطواف أم صلاة ركعتين؟ وما الراجح؟ وما صحة حديث: (تحية البيت الطواف) ؟].
^الحمد لله

لا يخلو حال الداخل إلى المسجد الحرام من حالين:
الأول: أن يدخله بقصد الطواف، سواء كان للحج أو العمرة أو تطوعاً:
فهذا أول ما يبدأ به الطواف، ولا يشرع له البدء بركعتي تحية المسجد قبل الطواف، إذ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من أصحابه، وهذا ما عليه جمهور الفقهاء، ولم يخالف في ذلك إلا أفراد، منهم ابن عقيل من الحنابلة –كما نقله عنه ابن تيمية في "شرح عمدة الفقه" –.
ويستثنى من ذلك ما إذا منع مانعٌ كالزحام الشديد عن البدء بالطواف، فيصلي ركعتين تحية المسجد، وينتظر حتى ينجلي الزحام ليشرع في الطواف.

---

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب؟ محمد صالح المنجد ٥/١٣٣٣

الثاني: أن يدخله بقصد الصلاة أو الجلوس أو حضور حلق العلم أو الذكر أو قراءة القرآن أو غيرها من العبادات:

فيستحب له أن يصلي ركعتي تحية المسجد؛ لعموم حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين)

أخرجه البخاري (١١٦٧) ومسلم (٧١٤)

وأما ما يرويه الناس من حديث (تحية البيت الطواف) فليس له أصل في كتب السنة، ولم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد أصلا، فلا يجوز نسبته إليه.

قال الشيخ الألباني في "سلسلة الأحاديث الضعيفة" (رقم/١٠١٢) :

" لا أعلم له أصلا وإن اشتهر على الألسنة، وأورده صاحب " الهداية " من الحنفية بلفظ: (من أتى البيت فليحيه بالطواف) ، وقد أشار الحافظ الزيلعي في تخريجه إلى أنه لا أصل له، بقوله (٥١/٢) : " غريب جدا "، وأفصح عن ذلك الحافظ ابن حجر، فقال في "الدراية" (ص١٩٢) : " لم أجده ".

قلت – أي الشيخ الألباني –: ولا أعلم في السنة القولية أو العملية ما يشهد لمعناه، بل إن عموم الأدلة الواردة في الصلاة قبل الجلوس في المسجد تشمل المسجد الحرام أيضا، والقول بأن تحيته الطواف مخالف للعموم المشار إليه، فلا يقبل إلا بعد ثبوته، وهيهات، لا سيما وقد **ثبت بالتجربة** أنه لا يمكن للداخل إلى المسجد الحرام الطواف كلما دخل المسجد في أيام المواسم، فالحمد لله الذي جعل في الأمر سعة، (وما جعل عليكم في الدين من حرج)

.

وإن مما ينبغي التنبه له أن هذا الحكم إنما هو بالنسبة لغير المحرم، وإلا فالسنة في حقه أن يبدأ بالطواف ثم بالركعتين بعده، انظر: بدع الحج والعمرة في رسالتي " مناسك الحج والعمرة " رقم البدعة (٣٧) " انتهى.

وقال الحطاب المالكي في "مواهب الجليل شرح مختصر خليل" (٣٧٥/٢) :

" من دخل مسجد مكة فتحية المسجد الحرام في حقه الطواف بالبيت ، وهذا في حق القادم المحرم، فإنه يطلب منه أنه إذا دخل المسجد الحرام البداءة بطواف القدوم – إن كان محرما بحج أو قران –، وبطواف العمرة – إن كان محرما بعمرة –، وبطواف الإفاضة – إذا دخله

بعد الرجوع من عرفة – ، ولا يطلب منه الركوع (أي: الصلاة) عند دخوله. وكذلك غير القادم – إذا دخل المسجد الحرام ونيته أن يطوف عند دخوله – فتحية المسجد في حقه الطواف ، ولا يطلب منه حينئذ الركوع.

وأما غير القادم إذا دخل المسجد الحرام ونيته الصلاة في المسجد أو مشاهدة البيت الشريف ، ولم يكن نيته الطواف، فإنه يصلي ركعتين ...

قال ابن رشد: الطواف بالبيت صلاة ، فإذا دخله يريد الطواف بدأ بالطواف ، وإن دخله لا يريد الطواف في وقت تنفل بدأ بالركعتين " انتهى باختصار.

وجاء في "الموسوعة الفقهية" (١٠/٣٠٦) :

" ذهب جمهور الفقهاء إلى أن تحية المسجد الحرام الطواف للقادم لمكة ، سواء كان تاجرا أو حاجا أو غيرهما ، لقول عائشة رضي الله عنها عنها: (إن النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة توضأ ، ثم طاف بالبيت) وركعتا تحية المسجد الحرام تجزئ عنهما الركعتان بعد الطواف.

وأما المكي الذي لم يؤمر بطواف، ولم يدخله لأجل الطواف، بل للصلاة أو لقراءة القرآن أو للعلم، فتحية المسجد الحرام في حقه الصلاة، كتحية سائر المساجد" انتهى باختصار.

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن: هل تحية المسجد الحرام صلاة ركعتين أو الطواف؟

فأجاب: "المسجد الحرام كغيره من المساجد من دخل ليصلي، أو ليستمع الذكر، أو ما أشبه ذلك من الإرادات فإنه يصلي ركعتين كغيره من المساجد، لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ) رواه البخاري (١١٦٧) أما إذا دخل ليطوف كإنسان معتمر دخل ليطوف طواف العمرة، أو ليطوف تطوعاً فهنا يغني الطواف عن ركعتي تحية المسجد؛ لأنه إذا طاف فسوف يصلي ركعتين بعد الطواف" انتهى.

"مجموع فتاوى ابن عثيمين" (٢٢/٢٨٦) .

والله أعلم.

الإسلام سؤال وجواب." (١)

٩٩. "إذا استيقظ الصائم وفي فمه طعام

ƒ.[كنت في السابق أدخن السجائر، والآن ولله الحمد تركتها، ولكن لدي مشكلة هي أني إذا رغبت في التدخين آخذ قطعة من السيجارة وأمضغها لكي تذهب هذه الرغبة وهي غير مجدية ، المهم كنت في ليلة من ليالي رمضان أمضغ هذه الوصلة ونمت وهي في فمي، فلم أستيقظ إلا بعد صلاة الفجر فقمت وغسلت فمي. هل أنا مفطر أم لا؟].

^الحمد لله

أولا:

إذا طلع الفجر وفي فم الصائم شيء، فلفظه، ولم يبتلع منه شيئا باختياره، صح صومه.

قال النووي رحمه الله في "المنهاج": " ولو طلع الفجر وفي فمه طعام فلفظه: صح صومه ".

وجاء في شرحه "مغني المحتاج" (٢/١٦١) : "لأنه لو وضعه في فمه نهارا لم يفطر، فبالأولى إذا جعله فيه ليلا. ولو ابتلع منه شيئا باختياره فإنه يفطر" انتهى بتصرف واختصار.

ثانيا:

حَذَّر الأطباء والباحثون من مضغ التبغ، وقرروا أن هذا لا يعد بديلاً آمناً عن التدخين، بل هو أخطر وأكثر ضرراً على الجسم من التدخين من بعض الوجوه، إذ يجعل الجسم عرضة للإصابة بمرض السرطان أكثر من التدخين.

والذي ينبغي لصاحب العزيمة والإرادة أن يترك الدخان ولا يلتفت إليه، وليستعن بالله تعالى في ذلك، وقد **ثبت بالتجربة** والمشاهدة أن ترك الدخان ممكن، وأن الإقلاع عنه يسير، والمهم هو صدق التوبة، مع قوة العزيمة.

نسأل الله لنا ولك التوفيق والسداد والرشاد.

والله أعلم.

الإسلام سؤال وجواب." (٢)

---

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب؟ محمد صالح المنجد ٥/٢١٠٠

(٢) موقع الإسلام سؤال وجواب؟ محمد صالح المنجد ٥/٣٠٤٠

١٠٠.   "تحية المسجد الحرام

ƒ.[ما أقوال المذاهب الأربعة في تحية المسجد الحرام ، هل هي الطواف أم صلاة ركعتين؟ وما الراجح؟ وما صحة حديث: (تحية البيت الطواف) ؟].

^الحمد لله

لا يخلو حال الداخل إلى المسجد الحرام من حالين:

الأول: أن يدخله بقصد الطواف، سواء كان للحج أو العمرة أو تطوعاً:

فهذا أول ما يبدأ به الطواف، ولا يشرع له البدء بركعتي تحية المسجد قبل الطواف، إذ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من أصحابه، وهذا ما عليه جمهور الفقهاء، ولم يخالف في ذلك إلا أفراد، منهم ابن عقيل من الحنابلة – كما نقله عنه ابن تيمية في "شرح عمدة الفقه" –.

ويستثنى من ذلك ما إذا منع مانعٌ كالزحام الشديد عن البدء بالطواف، فيصلي ركعتين تحية المسجد، وينتظر حتى ينجلي الزحام ليشرع في الطواف.

الثاني: أن يدخله بقصد الصلاة أو الجلوس أو حضور حلق العلم أو الذكر أو قراءة القرآن أو غيرها من العبادات:

فيستحب له أن يصلي ركعتي تحية المسجد؛ لعموم حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين)

أخرجه البخاري (١١٦٧) ومسلم (٧١٤)

وأما ما يرويه الناس من حديث (تحية البيت الطواف) فليس له أصل في كتب السنة، ولم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد أصلا، فلا يجوز نسبته إليه.

قال الشيخ الألباني في "سلسلة الأحاديث الضعيفة" (رقم/١٠١٢) :

" لا أعلم له أصلا وإن اشتهر على الألسنة، وأورده صاحب " الهداية " من الحنفية بلفظ: (من أتى البيت فليحيه بالطواف) ، وقد أشار الحافظ الزيلعي في تخريجه إلى أنه لا أصل له، بقوله (٢/٥١) : " غريب جدا "، وأفصح عن ذلك الحافظ ابن حجر، فقال في "الدراية" (ص١٩٢) : " لم أجده ".

قلت – أي الشيخ الألباني –: ولا أعلم في السنة القولية أو العملية ما يشهد لمعناه، بل إن

عموم الأدلة الواردة في الصلاة قبل الجلوس في المسجد تشمل المسجد الحرام أيضا، والقول بأن تحيته الطواف مخالف للعموم المشار إليه، فلا يقبل إلا بعد ثبوته، وهيهات، لا سيما وقد **ثبت بالتجربة** أنه لا يمكن للداخل إلى المسجد الحرام الطواف كلما دخل المسجد في أيام المواسم، فالحمد لله الذي جعل في الأمر سعة، (وما جعل عليكم في الدين من حرج) .

وإن مما ينبغي التنبه له أن هذا الحكم إنما هو بالنسبة لغير المحرم، وإلا فالسنة في حقه أن يبدأ بالطواف ثم بالركعتين بعده، انظر: بدع الحج والعمرة في رسالتي " مناسك الحج والعمرة " رقم البدعة (٣٧) " انتهى.

وقال الحطاب المالكي في "مواهب الجليل شرح مختصر خليل" (٣٧٥/٢) :

" من دخل مسجد مكة فتحية المسجد الحرام في حقه الطواف بالبيت ، وهذا في حق القادم المحرم، فإنه يطلب منه أنه إذا دخل المسجد الحرام البداءة بطواف القدوم - إن كان محرما بحج أو قران -، وبطواف العمرة - إن كان محرما بعمرة -، وبطواف الإفاضة - إذا دخله بعد الرجوع من عرفة - ، ولا يطلب منه الركوع (أي: الصلاة) عند دخوله. وكذلك غير القادم - إذا دخل المسجد الحرام ونيته أن يطوف عند دخوله - فتحية المسجد في حقه الطواف ، ولا يطلب منه حينئذ الركوع.

وأما غير القادم إذا دخل المسجد الحرام ونيته الصلاة في المسجد أو مشاهدة البيت الشريف ، ولم يكن نيته الطواف، فإنه يصلي ركعتين ...

قال ابن رشد: الطواف بالبيت صلاة ، فإذا دخله يريد الطواف بدأ بالطواف ، وإن دخله لا يريد الطواف في وقت تنفل بدأ بالركعتين " انتهى باختصار.

وجاء في "الموسوعة الفقهية" (٣٠٦/١٠) :

" ذهب جمهور الفقهاء إلى أن تحية المسجد الحرام الطواف للقادم لمكة ، سواء كان تاجرا أو حاجا أو غيرهما ، لقول عائشة رضي الله عنها عنها: (إن النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة توضأ ، ثم طاف بالبيت) وركعتا تحية المسجد الحرام تجزئ عنهما الركعتان بعد الطواف.

وأما المكي الذي لم يؤمر بطواف، ولم يدخله لأجل الطواف، بل للصلاة أو لقراءة القرآن أو

للعلم، فتحية المسجد الحرام في حقه الصلاة، كتحية سائر المساجد" انتهى باختصار.
وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن: هل تحية المسجد الحرام صلاة ركعتين أو الطواف؟
فأجاب: "المسجد الحرام كغيره من المساجد من دخل ليصلي، أو ليستمع الذكر، أو ما أشبه ذلك من الإرادات فإنه يصلي ركعتين كغيره من المساجد، لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ) رواه البخاري (١١٦٧) أما إذا دخل ليطوف كإنسان معتمر دخل ليطوف طواف العمرة، أو ليطوف تطوعاً فهنا يغني الطواف عن ركعتي تحية المسجد؛ لأنه إذا طاف فسوف يصلي ركعتين بعد الطواف" انتهى.
"مجموع فتاوى ابن عثيمين" (٢٨٦/٢٢) .
والله أعلم.
الإسلام سؤال وجواب." (١)
١٠١. "هل بقاء المرأة في بيتها تعطيل لنصف المجتمع؟
ƒ.[ما رأيكم فيمن يقول: إن الإسلام لما أمر المرأة بالبقاء في البيت قد حرم المجتمع من عملها، وترك نصف المجتمع معطلاً.].
^الحمد لله
أولاً:
رأينا في ذلك: أنه لا يمكن أن يقول هذا الكلام مؤمن، يؤمن بأن القرآن كلام الله، وأنه حق، وأن الله تعالى أمر فيه المؤمنين بما يصلحهم ويحقق سعادتهم في الدنيا والآخرة.
لأن الله تعالى خاطب أمهات المؤمنين، وهن أطهر النساء – وسائر نساء الأمة تبع لهن في هذا الأمر – بقوله: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) الأحزاب/٣٣.
فلا يمكن أن يعترض على حكم الله وأمره إلا رجل منافق، أو كافر، أو رجل انغمس في الجهل والشبهات والشهوات، حتى صار يقدم رأيه على كلام الله، وهو يظن أنه يحسن صنعاً.

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب؟ محمد صالح المنجد ٣٦٨٣/٥

ثانياً:

إذا نظرنا إلى واقع الدول الإسلامية، فإننا نتعجب كثيراً من ظهور هذه الدعوة، ونتعجب من المتحمسين لها.

وذلك أن هذه الدعوة قد تُقبل في مجتمع قد تعطلت مصانعه ومزارعه وشؤون حياته لكونهم لا يجدون من يقوم بها من الرجال، فحينئذ اتجهوا إلى المرأة، ودعوها إلى الخروج من البيت من أجل العمل، المتوقف عليها.

قد يكون هذا الكلام مقبولاً إلى حد ما، وبشروط وضوابط معينة.

لكن.. كيف راجت هذه الدعوة في بلاد فيها الملايين من الرجال لا يجدون العمل، ويعانون من البطالة؟!

ثم خرجت المرأة تنافسهم العمل، مما ضاعف البطالة وزادها.

فدعوى هؤلاء أن ترك النساء في البيوت تعطيل لنصف المجتمع عن العمل.

فيقال لهم: أي عمل هذا، الذي تعطل ببقاء المرأة في بيتها! وأنتم لا تجدون لأنفسكم ولا لأبنائكم عملاً ـ في الغالب ـ إلا بـ "الرشوة" أو "الواسطة" و "المحسوبية"!

فالبطالة التي تعاني منها أكثر الدول الإسلامية ـ إن لم نقل كلها ـ تنادي بكذب هؤلاء.

ثالثاً:

إن بقاء المرأة في بيتها ليس تعطيلاً لها عن العمل، بل هو تفريغ لها لتقوم بأعظم عمل، وهو تربية الجيل، وتنشئة رجال الأمة، فالمرأة هي أم العلماء، والمجاهدين، والدعاة، والمخترعين، والقادة، والأطباء، والمهندسين، والمعلمين.... إلخ.

فكيف يكون إعداد هؤلاء تعطيلاً عن العمل، وهل هناك عمل للمرأة أفضل من هذا!

ما هو دور المرأة الأهم؟ وهل هناك مجال للمقارنة بين العائد الاجتماعي الذي يحصده المجتمع من تأدية المرأة دورا رئيسا في بيتها، والعائد الاجتماعي من أدوار أخرى ثانوية وهامشية، تمارسها المرأة خارج بيتها: مضيفة طيران، أو سكرتيرة، أو مندوبة مبيعات!

لقد **ثبت بالتجربة** أن خروج المرأة من بيتها للعمل له آثار سلبية أكثر من المنافع التي قد تكون فيه، ومنها:

١- إهمال الأطفال من العطف والرعاية والتربية.

إن المرأة التي تعمل خارج البيت تقوم في كثير من الحالات بعمل يستطيع الرجل القيام بأفضل منه، وفي مقابل ذلك تترك المرأة في بيتها مكاناً خالياً لا يملؤه أحد.

فلا شك أن خروج المرأة للعمل، سيكون على حساب بيتها وزوجها وأولادها.

يقول ميخائيل جورباتشوف الرئيس السابق للاتحاد السوفيتي: "إن المرأة تعمل في مجال البحث العلمي، وفي الإنتاج والخدمات، وتشارك في النشاط الإبداعي، ولم يعد لديها وقت للقيام بواجباتها اليومية في المنزل (العمل المنزلي) ، وتربية الأطفال، وإقامة جو أسري طيب". ثم يقول:

"لقد اكتشفنا أن كثيراً من مشاكلنا في سلوك الأطفال والشباب وفي معنوياتنا وثقافتنا وإنتاجنا تعود جميعاً إلى تدهور العلاقات الأسرية، وهذه نتيجة طبيعية لرغبتنا الملحة والمسوَّغة سياسياً بضرورة مساواة المرأة بالرجل".

٢- عمل المرأة خارج المنزل، ولساعات طوال، يعرض المرأة لأنواع من الأمراض،

ففي مؤتمر للأطباء عقد في ألمانيا قال الدكتور كلين رئيس أطباء مستشفى النساء: إن الإحصاءات تبين أن من كل ثمانية نساء عاملات تعاني واحدة منهن مرضاً في القلب وفي الجهاز الدموي، ويرجع ذلك في اعتقاده إلى الإرهاق غير الطبيعي الذي تعاني منه المرأة العاملة، كما تبين أن الأمراض النسائية التي تتسبب في موت الجنين أو الولادة قبل الأوان قد تعود إلى الوقوف لمدة طويلة أو الجلوس المنحني أمام منضدة العمل أو حمل الأشياء الثقيلة، بالإضافة إلى تضخم البطن والرجلين وأمراض التشوه.

وفي الولايات المتحدة ٤٠٪ من النساء العاملات، وفي السويد ٦٠ ٪ منهن، وفي ألمانيا ٣٠٪، وفي الاتحاد السوفييتي سابقاً ٢٨ ٪ يعانين من التوتر والقلق، وأن نسبة ٧٦٪ من المهدئات تصرف للنساء العاملات.

٣- عمل المرأة وخروجها من البيت، وتعاملها مع الزميلات — أو الزملاء — والرؤساء، وما يسببه العمل من توتر ومشادات - أحياناً-، يؤثر في نفسيتها وسلوكها، فيترك بصمات وآثاراً على تصرفاتها، فيفقدها الكثير من هدوئها واتزانها، ومن ثم يؤثر بطريق مباشر في أطفالها وزوجها وأسرتها.

ولا يخفى أن الأم بعد عودتها من عمل يوم طويل مضن في أشد حالات التوتر والتعب؛ مما

يؤثر على تعاملها مع طفلها مزاجياً وانفعالياً.

٤- عمل المرأة غير نافع اقتصاديا!

ففي (١٩٨٥/١٢/٢٣م تقدم مجموعة من أطباء الأطفال بمذكرة للدكتور عاطف عبيد وزير شؤون مجلس الوزراء تدعو إلى مساعدة الأم المصرية للقيام بأهم وظائفها المتمثلة في رعاية الأطفال وتنشئتهم التنشئة الصحية السليمة ... وأيضاً: حمايةً للاقتصاد المصري من استنزاف ميزانيته في استيراد الألبان الصناعية..) .

وفي (١٩٨٧/٣/٢١م: أصدر رئيس هيئة القطاع العام للغزل والنسيج في مصر قراراً بمنع تعيين النساء في ثلاثين شركة غزل ونسيج، وقال: إنه استند في قراره هذا إلى أن العائد من عمل المرأة لا يتجاوز ٢٠٪ مما يحققه الرجل) .

فما هي الجدوى الاقتصادية إذاً من عمل المرأة؟

٥- عمل المرأة بدون قيود يساهم مساهمة فعالة في زيادة عدد البطالة.

فإذا أضفنا إلى تلك الأضرار: نسبة البطالة المرتفعة بين الشباب التي تسهم المرأة العاملة في ارتفاعها بينهم، والتي يتعاظم أثرها على الرجل أكثر المرأة في مجتمعاتنا، وما ينتج عن الفراغ المصاحب لذلك من مشكلات نفسية واجتماعية وأمنية ... لوقفنا حائرين أمام الإصرار على خروج المرأة إلى العمل.

وقد أثبتت التجربة الغربية فشل خروج المرأة للعمل، وبدأت النساء في الغرب يرجعن إلى بيوتهن.

فقد توصلت نتائج دراسات أذاعتها وكالات أنباء غربية في ١٩٩١/٧/١٧م إلى أنه خلال العامين السابقين هجرت مئات من النساء العاملات في ولاية واشنطن أعمالهن وعدن للبيت. ونشرت مؤسسة الأم التي تأسست عام ١٩٣٨ م في الولايات المتحدة الأمريكية أن أكثر من ١٥ ألف امرأة انضممن إلى المؤسسة لرعايتهن بعد أن تركن العمل باختيارهن. وفي استفتاء نشرته مؤسسة أبحاث السوق عام ١٩٩٠م، في فرنسا أجري على ٢,٥ مليون فتاة في مجلة ماري كير كانت هناك نسبة ٩٠٪ منهن ترغبن العودة إلى البيت لتتجنب التوتر الدائم في العمل، ولعدم استطاعتهن رؤية أزواجهن وأطفالهن إلا عند تناول طعام العشاء.

فهذه الأضرار . وغيرها كثير مما لم نذكره . تبين أن دعوة هؤلاء المرأة للخروج للعمل ليست

من أجل ما يترتب عليها من منافع اقتصادية أو اجتماعية، بل لهم مآرب أخرى يخفونها من وراء هذه الدعوة.

نسأل الله تعالى أن يصلح أحوال المسلمين، ويرد كيد الخائنين.

والله تعالى أعلم.

الإسلام سؤال وجواب." (١)

١٠٢. "ما هو حد الصعق الكهربائي الذي يقتل الحيوان فلا يحل بعده؟

ƒ.[نسكن في أوروبا ونجد صعوبة في الحصول على اللحم الحلال ... إن تم الصعق العادي، أقصد الصعق بالكهرباء العالية – عند الذبح - كيف لنا أن نعرف أن الخروف لم يقتله الصعق؟ هل توجد هناك علامة معينة؟].

^الحمد لله

صعق الحيوان بالكهرباء قبل ذبحه قد يؤدي إلى قتل الحيوان إذا كان بدرجة عالية، وقد يفقده الوعي من غير قتل إذا كان بدرجة خفيفة أو متوسطة.

فإذا قتله لم يحل أكله لأنه ميتة باتفاق الفقهاء، أما إذا لم يقتله وذكي بعدها مباشرة الذكاة الشرعية فهو حلال ويجوز أكله.

قال الدكتور محمد الأشقر حفظه الله:

" إن كانت الصعقة قاتلة فالحيوان موقوذ، وإن كانت مفقدة للوعي دون أن تقتل، فإن أُدرك الحيوان بعدها فذبح على الطريقة الشرعية حل، وإن لم يذبح ولكن بدئ بسلخه وتقطيعه دون ذبح فإنه لا يكون حلالا " انتهى.

"مجلة مجمع الفقه الإسلامي" (العدد العاشر، بحث للدكتور محمد الأشقر بعنوان: " الذبائح والطرق الشرعية في إنجاز الذكاة ") .

ويبقى السؤال: ما هو حد الصعق الكهربائي القاتل من غيره؟

الجواب على ذلك بما جاء في قرار مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، رقم (٩٥) ، مستندا على تقارير الخبراء المختصين في هذه الشؤون:

---

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب؟ محمد صالح المنجد ٦٧٥٣/٥

" الحيوانات التي تذكى بعد التدويخ ذكاة شرعية يحل أكلها إذا توافرت الشروط الفنية التي يتأكد بها عدم موت الذبيحة قبل تذكيتها، وقد حددها الخبراء في الوقت الحالي بما يلي:

١- أن يتم تطبيق القطبين الكهربائيين على الصدغين أو في الاتجاه الجبهي - القذالي (القفوي) .

٢- أن يتراوح الفولت ما بين (١٠٠ - ٤٠٠ فولت) .

٣- أن تتراوح شدة التيار ما بين (٧٥. إلى ١ أمبير) بالنسبة للغنم، وما بين (٢ إلى ٢,٥ أمبير) بالنسبة للبقر.

٤- أن يجري تطبيق التيار الكهربائي في مدة تتراوح ما بين (٣ إلى ٦ ثوان)

ج- لا يجوز تدويخ الحيوان المراد تذكيته باستعمال المسدس ذي الإبرة الواقذة أو بالبلطة أو بالمطرقة، ولا بالنفخ على الطريقة الانجليزية.

د- لا يجوز تدويخ الدواجن بالصدمة الكهربائية، لما **ثبت بالتجربة** من إفضاء ذلك إلى موت نسبة غير قليلة منها قبل التذكية.

هـ- لا يحرم ما ذكي من الحيوانات بعد تدويخه باستعمال مزيج ثاني أكسيد الكربون مع الهواء أو الأكسجين، أو باستعمال المسدس ذي الرأس الكروي بصورة لا تؤدي إلى موته قبل تذكيته " انتهى.

وبناء على ما سبق: فالصعق الكهربائي الذي يخالف الشروط الواردة في القرار السابق يعد وقذا، لا تحل به الذبيحة، فيجب على من يحتاج إلى هذا الأمر الاجتهاد في تحديد انطباق الشروط من عدمها.

وانظر جواب السؤال رقم: (٨٣٣٦٢) .

وذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله علامة أخرى ظاهرة يُعلم بها أن الحيوان قد مات من الصعق أم تم ذبحه قبل الموت، فقال:

" إذا كان ينزل الدم بعد قطعه فمعنى ذلك أن الذبيحة لم تمت بالصعق، إنما خُدِّرت ثم ذبحت، وعلى هذا تكون حلالاً؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل) ولا يمكن أن يجري الدم الجري العادي إلا والذبيحة حية.

أما إذا ماتت فإن الدم يتغير ويتخثر، ولا يمكن أن يخرج، اللهم إلا شيئاً يسيراً.

وعلى كل حال إذا كان هذا الصعق الذي ذكره الأخ لا يصل بها إلى حال الموت فإن ذبحها قبل خروج روحها يعتبر تذكيةً شرعية، لقوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ) كل هذه الأشياء التي استثني منها (إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ) وجد بها سبب الموت، لا سيما المنخنقة، فإنها أشبه ما تكون بالصعق الكهربائي، ومع ذلك استثنى الله سبحانه وتعالى من تحريمها ما إذا ذكيت أي ذبحت قبل أن تموت فإنها تكون حلالاً، وعلى هذا فيكون هذا الصعق وسيلةً لتسهيل الذبح فقط، فإذا جرى الذبح عليها قبل خروج الروح فهي حلال، أما إذا كان الصعق يؤدي إلى موتها فإنها لا تباح حينئذ " انتهى.

"نور على الدرب" (فتاوى الجنايات/الأطعمة والذكاة والصيد)

والله أعلم.

الإسلام سؤال وجواب." (١)

١٠٣. "يذبح كميات من الدجاج ولا يستطيع التسمية على كل دجاجة

ƒ.[أعمل بشركة ساديا بالبرازيل لذبح الدجاج نحن نذبح الدجاج مع الصعق الكهربائي وبسرعة ٩٠٠٠ دجاجة بالساعة مع وجود ذباحين غير مسلمين فهل يحل أكل الدجاج؟ وأريد استفسارا آخر فأنا قد تركت العمل وعملت في شركة أخرى ولكن المسؤول طلب منا أن نقسم على القرآن بأن نسمي على كل دجاجة نذبحها، والتي لا نستطيع التسمية عليها نتركها تذهب إلى الماء الساخن وهي حية، والذي لا يقسم سوف يترك العمل. فعملنا بذلك وأقسمنا ولكن لم أستطع التسمية على كل الدجاج ولا أستطيع ترك الدجاج يموت بالماء الساخن، ولسرعة الدجاج صرت (استغفر الله) ألفظ اسم الجلالة خطأ. فتركت العمل هناك ورجعت أعمل بساديا ولكن الدجاج هنا أسرع بكثير لا أستطيع أن أسمي على كل دجاجة. فماذا أعمل؟ أين الحلال وأين الحرام؟ فأنا خائف جدا أن أكون أقسمت على القرآن خطأ.].

^الحمد لله

أولاً:

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب؟ محمد صالح المنجد ٨٠٠٦/٥

صعق الحيوان بالكهرباء قبل ذبحه قد يؤدي إلى قتل الحيوان إذا كان بدرجة عالية، وقد يفقده الوعي من غير قتل إذا كان بدرجة خفيفة أو متوسطة.

فإذا قتله لم يحل أكله لأنه ميتة باتفاق الفقهاء، أما إذا لم يقتله وذكي بعدها مباشرة الذكاة الشرعية فهو حلال ويجوز أكله.

قال الدكتور محمد الأشقر حفظه الله:

" إن كانت الصعقة قاتلة فالحيوان موقوذ، وإن كانت مفقدة للوعي دون أن تقتل، فإن أُدرك الحيوان بعدها فذبح على الطريقة الشرعية حل، وإن لم يذبح ولكن بدئ بسلخه وتقطيعه دون ذبح فإنه لا يكون حلالا " انتهى.

"مجلة مجمع الفقه الإسلامي" (العدد العاشر، بحث للدكتور محمد الأشقر بعنوان: " الذبائح والطرق الشرعية في إنجاز الذكاة ") .

ويبقى السؤال: ما هو حد الصعق الكهربائي القاتل من غيره؟

الجواب على ذلك بما جاء في قرار مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، رقم (٩٥) ، مستندا على تقارير الخبراء المختصين في هذه الشؤون:

" الحيوانات التي تذكي بعد التدويخ ذكاة شرعية يحل أكلها إذا توافرت الشروط الفنية التي يتأكد بها عدم موت الذبيحة قبل تذكيتها، وقد حددها الخبراء في الوقت الحالي بما يلي:

١- أن يتم تطبيق القطبين الكهربائيين على الصدغين أو في الاتجاه الجبهي - القذالي (القفوي) .

٢- أن يتراوح الفولت ما بين (١٠٠ - ٤٠٠ فولت) .

٣- أن تتراوح شدة التيار ما بين (٧٥. إلى ١ أمبير) بالنسبة للغنم، وما بين (٢ إلى ٢,٥ أمبير) بالنسبة للبقر.

٤- أن يجري تطبيق التيار الكهربائي في مدة تتراوح ما بين (٣ إلى ٦ ثوان)

ج- لا يجوز تدويخ الحيوان المراد تذكيته باستعمال المسدس ذي الإبرة الواقذة أو بالبلطة أو بالمطرقة، ولا بالنفخ على الطريقة الانجليزية.

د- لا يجوز تدويخ الدواجن بالصدمة الكهربائية، لما **ثبت بالتجربة** من إفضاء ذلك إلى موت نسبة غير قليلة منها قبل التذكية.

هـ- لا يحرم ما ذكي من الحيوانات بعد تدويخه باستعمال مزيج ثاني أكسيد الكربون مع الهواء أو الأكسجين، أو باستعمال المسدس ذي الرأس الكروي بصورة لا تؤدي إلى موته قبل تذكيته " انتهى.

وسئلت اللجنة الدائمة للإفتاء: ما حكم أكل لحوم الذبائح التي تذبحها الدولة المسلمة بطريق الآلة الكهربائية؟ علماً بأن البهيمة تسلط عليها الآلة الكهربائية حتى تسقط في الأرض ثم يتولى الجزار ذبحها فور سقوطها على الأرض.

فأجابت: "إذا كان الأمر كما ذكر من ذبح الجزار بهيمة الأنعام فور سقوطها على الأرض من تسليط الآلة الكهربائية عليها، فإذا قُدِّر ذبحه إياها وفيها حياة جاز أكلها، وإن كان ذبحه إياها بعد موتها لم يجز أكلها، وذلك أنها في حكم الموقوذة، وقد حرمها الله إلا إذا ذكيت، والذكاة لا أثر لها إلا فيما ثبتت حياته بتحريكِ رِجْل أو يد أو تدفق الدم ونحو ذلك مما يدل على استمرار الحياة حتى انتهاء الذبح، قال الله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلا مَا ذَكَّيْتُمْ) المائدة/٣، فأباح ما أصيب من بهيمة الأنعام بخطر بشرط تذكيته، وإلا فلا يحل أكلها" انتهى من "فتاوى اللجنة الدائمة" (٢٢/٤٥٥) .

وينظر جواب السؤال رقم (٨٣٣٦٢) .

ثانيا:

التسمية شرط لحل الذبيحة، لا تسقط سهوا ولا جهلا، على الراجح من أقوال أهل العلم، وانظر جواب السؤال رقم: (٨٥٦٦٩) .

وعليه؛ فإن كانت الآلة تذبح الدجاج واحدة واحدة، اشترط التسمية عند ذبح كل دجاجة، فإذا لم يسم عليها لم تحل، ولا يجوز وضع الدجاجة وهي حية في الماء الساخن لأنه تعذيب لها، لكن إن قتلت بالآلة، ولم يسمّ عليها، فلا حرج في وضعها في الماء الساخن أو غيره، بشرط أن تعزل عن بقية الدجاج المذكّى.

وإن كانت الآلة تذبح مجموعة من الدجاج دفعة واحدة، اكتفي بتسمية واحدة.

فقد سئل علماء اللجنة الدائمة للإفتاء: ما حكم الذبح الآلي؟ وهو أن تذبح الآلات في وقت واحد عشرات الدجاج بتسمية واحدة طبعا، وإذا كان شخص واحد يذبح بيده كمية

كبيرة من الدجاج فهل يكفيه تسمية واحدة أم يجب أن يسمي على كل واحدة بعينها؟

فأجابوا:

"أولا: يجوز الذبح بالآلات الحديثة بشرط كونها حادة، وأن تقطع الحلقوم والمريء.

ثانيا: إذا كانت الآلة تذبح عددا من الدجاج في وقت واحد متصل فتجزئ التسمية مرة واحدة ممن يحرك الآلة حين تحريكه إياها بنية الذبح بشرط كون الذابح المحرك مسلما، أو كتابيا.

ثالثا: إذا كان الشخص يذبح بيده فيجب أن يسمي تسمية مستقلة على كل دجاجة يذبحها لاستقلال كل دجاجة بنفسها.

رابعا: يجب أن تكون التذكية في محل الذبح، وأن يقطع المريء والودجان، أو أحدهما " انتهى.

"فتاوى اللجنة الدائمة" (٤٦٣/٢٢) .

ثالثا:

إذا أقسمت على القرءان أن تسمي على كل دجاجة تذبحها، فهذا القسم مؤكد لما ذكرنا من لزوم التسمية، وعليك أن تعزل ما عجزت عن التسمية عليه كما سبق.

رابعاً:

إذا كان الذابح كتابياً (يهوديا أو نصرانياً) فذبيحته حلال كذبيحة المسلم، لقول الله تعالى: (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ) المائدة/٥، وإذا كان غير كتابي فذبيحته حرام نجسة ميتة، لا يجوز أكلها.

والله أعلم.

الإسلام سؤال وجواب." (١)

١٠٤. "ما هو حد الصعق الكهربائي الذي يقتل الحيوان فلا يحل بعده؟

ƒ.[نسكن في أوروبا ونجد صعوبة في الحصول على اللحم الحلال ... إن تم الصعق العادي، أقصد الصعق بالكهرباء العالية – عند الذبح - كيف لنا أن نعرف أن الخروف لم يقتله

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب؟ محمد صالح المنجد ٨٠٨٠/٥

الصعق؟ هل توجد هناك علامة معينة؟].

[^] الحمد لله

صعق الحيوان بالكهرباء قبل ذبحه قد يؤدي إلى قتل الحيوان إذا كان بدرجة عالية، وقد يفقده الوعي من غير قتل إذا كان بدرجة خفيفة أو متوسطة.

فإذا قتله لم يحل أكله لأنه ميتة باتفاق الفقهاء، أما إذا لم يقتله وذكي بعدها مباشرة الذكاة الشرعية فهو حلال ويجوز أكله.

قال الدكتور محمد الأشقر حفظه الله:

" إن كانت الصعقة قاتلة فالحيوان موقوذ، وإن كانت مفقدة للوعي دون أن تقتل، فإن أُدرك الحيوان بعدها فذبح على الطريقة الشرعية حل، وإن لم يذبح ولكن بدئ بسلخه وتقطيعه دون ذبح فإنه لا يكون حلالا " انتهى.

"مجلة مجمع الفقه الإسلامي" (العدد العاشر، بحث للدكتور محمد الأشقر بعنوان: " الذبائح والطرق الشرعية في إنجاز الذكاة ") .

ويبقى السؤال: ما هو حد الصعق الكهربائي القاتل من غيره؟

الجواب على ذلك بما جاء في قرار مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، رقم (٩٥) ، مستندا على تقارير الخبراء المختصين في هذه الشؤون:

" الحيوانات التي تذكي بعد التدويخ ذكاة شرعية يحل أكلها إذا توافرت الشروط الفنية التي يتأكد بها عدم موت الذبيحة قبل تذكيتها، وقد حددها الخبراء في الوقت الحالي بما يلي:

١- أن يتم تطبيق القطبين الكهربائيين على الصدغين أو في الاتجاه الجبهي - القذالي (القفوي) .

٢- أن يتراوح الفولت ما بين (١٠٠ - ٤٠٠ فولت) .

٣- أن تتراوح شدة التيار ما بين (٠.٧٥ إلى ١ أمبير) بالنسبة للغنم، وما بين (٢ إلى ٢,٥ أمبير) بالنسبة للبقر.

٤- أن يجري تطبيق التيار الكهربائي في مدة تتراوح ما بين (٣ إلى ٦ ثوان)

ج- لا يجوز تدويخ الحيوان المراد تذكيته باستعمال المسدس ذي الإبرة الواقذة أو بالبلطة أو بالمطرقة، ولا بالنفخ على الطريقة الانجليزية.

د- لا يجوز تدويخ الدواجن بالصدمة الكهربائية، لما **ثبت بالتجربة** من إفضاء ذلك إلى موت نسبة غير قليلة منها قبل التذكية.

هـ- لا يحرم ما ذكي من الحيوانات بعد تدويخه باستعمال مزيج ثاني أكسيد الكربون مع الهواء أو الأكسجين، أو باستعمال المسدس ذي الرأس الكروي بصورة لا تؤدي إلى موته قبل تذكيته " انتهى.

وبناء على ما سبق: فالصعق الكهربائي الذي يخالف الشروط الواردة في القرار السابق يعد وقذا، لا تحل به الذبيحة، فيجب على من يحتاج إلى هذا الأمر الاجتهاد في تحديد انطباق الشروط من عدمها.

وانظر جواب السؤال رقم: (٨٣٣٦٢) .

وذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله علامة أخرى ظاهرة يُعلم بها أن الحيوان قد مات من الصعق أم تم ذبحه قبل الموت، فقال:

" إذا كان ينزل الدم بعد قطعه فمعنى ذلك أن الذبيحة لم تمت بالصعق، إنما خُدِّرت ثم ذبحت، وعلى هذا تكون حلالاً؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل) ولا يمكن أن يجري الدم الجري العادي إلا والذبيحة حية.

أما إذا ماتت فإن الدم يتغير ويتخثر، ولا يمكن أن يخرج، اللهم إلا شيئاً يسيراً.

وعلى كل حال إذا كان هذا الصعق الذي ذكره الأخ لا يصل بها إلى حال الموت فإن ذبحها قبل خروج روحها يعتبر تذكيةً شرعية، لقوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ) كل هذه الأشياء التي استثني منها (إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ) وجد بها سبب الموت، لا سيما المنخنقة، فإنها أشبه ما تكون بالصعق الكهربائي، ومع ذلك استثنى الله سبحانه وتعالى من تحريمها ما إذا ذكيت أي ذبحت قبل أن تموت فإنها تكون حلالاً، وعلى هذا فيكون هذا الصعق وسيلةً لتسهيل الذبح فقط، فإذا جرى الذبح عليها قبل خروج الروح فهي حلال، أما إذا كان الصعق يؤدي إلى موتها فإنها لا تباح حينئذ " انتهى.

"نور على الدرب" (فتاوى الجنايات/الأطعمة والذكاة والصيد)

والله أعلم.

الإسلام سؤال وجواب." (١)

١٠٥. "تحديد جنس الجنين باستعمال نظام تغذية خاص

ƒ.[هل هناك نظام غذائي معين للرجل أو للمرأة حتى ينجبا ولداً؟].

^الحمد لله

تحديد جنس الجنين هو مِن قدر الله سبحانه وتعالى، يُؤمر المَلك بكتبه كما أراده سبحانه وتعالى في قضائه الأزلي، وهو القائل سبحانه وتعالى: (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) الشورى/٤٩.

وكما أن من أراد أن يرزقه الله بالذرية الصالحة لا بد أن يأخذ الأسباب أولاً، بالزواج والجماع الحلال، فكذلك لا حرج على من أراد أن تكون ذريته ذكراً أو أنثى بخصوصه أن يتخذ الأسباب التي تثبت بالتجربة أو بالعادة أو بالعلم الحديث.

وقد جاء قرار مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي مقررا هذه الجزئية، فكان مما جاء فيه:

" يجوز اختيار جنس الجنين بالطرق الطبعية؛ كالنظام الغذائي، والغسول الكيميائي، وتوقيت الجماع بتحري وقت الإباضة؛ لكونها أسبابًا مباحة لا محذور فيها " انتهى.

وللاطلاع على القرار كاملا، يرجى النظر في هذا الرابط:

http://www.themwl.org/Fatwa/default.aspx?d=١&cidi=١٦٨&l=AR&cid=١٢

فمن أراد الاطلاع على الطرق الطبيعية الصحيحة في تحديد جنس الجنين، يمكنه مراجعة كلام الأطباء والمتخصصين في هذا الشأن، ونحن نساعد القارئ الكريم بنقول من بحث علمي للدكتور عبد الرحمن اليحيي، يقول فيه: " يؤثر الغذاء على عملية تحديد جنس الجنين من ناحيتين:

الأولى: يغير الوسط الحمضي والقاعدي في عنق الرحم والمهبل. فالبوتاسيوم والصوديوم يحول الوسط إلى قاعدي، وبالتالي أكثر فرصة لإنجاب الذكور.

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب؟ محمد صالح المنجد ٥/٨٠٨٣

أما المغنيسيوم والكالسيوم يجعل الوسط حامضياً، وبالتالي أكثر فرصة لإنجاب الإناث.

الثانية: التغير في جدار البويضة لزيادة مدى استقبالية البويضة للحيوان الذكري أو الأنثوي.

أثبتت الأبحاث بأن تغذية المرأة كان لها تأثير في عملية اختيار جنس المولود، وذلك بتأثيره على المستقبلات التي ترتبط بها الحيوانات المنوية في جدار البويضة ، والتي عن طريقها تخترق الجدار ويحدث التلقيح.

إن للتوازن الأيوني للصوديوم والبوتاسيوم مقابل الكالسيوم والمغنيسيوم تأثير حيوي على هذه المستقبلات، مما يؤدي إلى حدوث تغييرات على مركبات الجدار، والذي بدوره يؤثر على انجذاب الحيوانات المنوية الذكرية أو الأنثوية.

وتأثير هذه الأيونات بصورة مبسطة، فإن زيادة نسبة الصوديوم والبوتاسيوم في الغذاء وانخفاض نسبة الكالسيوم والمغنيسيوم يحدث تغييرات على جدار البويضة لجذب الحيوان المنوي الذكري، واستبعاد الحيوان المنوي الأنثوي، وبالتالي نتيجة التلقيح تكون ذكراً. والعكس صحيح، فإن زيادة نسبة الكالسيوم والمغنيسيوم في الدم، وانخفاض الصوديوم والبوتاسيوم: يجذب الحيوان المنوي الحامل للكروموسوم الأنثوي، ويستبعد الحيوان المنوي الحامل للكروموسوم الذكري، وبالتالي تكون نتيجة التلقيح والحمل أنثى.

ولاتباع هذه الطريقة فعلى السيدة اتباع حمية غذائية لمدة زمنية لا تقل عن الشهرين، تدعم بها المخزون الغذائي الذي يشجع الجنس المرغوب به، ونرفق جدولاً غذائياً يوضح المصادر الغذائية للكالسيوم والمغنيسيوم والبوتاسيوم والصوديوم.... .

وعلى المرأة التي تريد تحديد جنس المولود مسبقاً أن تتبع الحمية لمدة شهرين إلى ثلاثة أشهر على الأقل قبل الحمل (بدون استعمال موانع حمل هرمونية، وإنما باستعمال موانع ميكانيكية مثل الكبوت للرجل) ، ويستحسن أن يتبع الزوج كذلك هذا النظام الغذائي، وذلك إن لم يكن ضرورياً بالنسبة له، فعلى الأقل يكون عاملاً مساعداً نفسياً للزوجة لتتقيد بالنظام الغذائي. كما يجب على المرأة أن تستمر في النظام الغذائي حتى تتأكد من الحمل ، فإذا حملت يجب فوراً ترك هذا النظام الغذائي، وأخذ جميع المواد الضرورية لجسمها وجسم جنينها حسب ما يصفه الطبيب " انتهى.

"المختصر المفيد في تحديد جنس الوليد للدكتور عبد الرحمن اليحيى" (ص/٢٥-٢٦) .

وللاطلاع على النظام الغذائي المقترح من الدكتور، يرجى مراجعة بحثه المنشور على هذا الرابط:

٨٣http://saaid.net/book/open.php?cat=
٤٣٨٤&book=

وللفائدة ينظر جواب سؤال في الموقع (١١١٨٤٩) .

والله أعلم.

الإسلام سؤال وجواب." (١)

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب؟ محمد صالح المنجد ٥/٨٢٠٢